

وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ

المجلد السادس



سَمَاءُ خَيْرٌ لَّكَ لَمْ يَكُنْ لَكَ خَيْرٌ

إِنَّ اللَّهَ الرَّحِيمَ الْحَكِيمَ مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ

اَللّٰهُمَّ اِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ نَفْسٍ مُرِيَّةٍ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُبْدِي

[illegible]








بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هُوَ الْعَلِيمُ

دَوْنُ الْعُلَمَاءِ وَالْعَارِفِينَ الْمُسْتَعْرِضِينَ
٣

مَعْرِفَةُ الْمَعَارِدِ

لِجُزءِ السَّادِسِ

تَأَلِيفُ

سَمَاحَةِ الْعَلَمَةِ الرَّاحِلِ

آيَةَ اللَّهِ الْحَاجَّ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ الْحُسَيْنِ الْحُسَيْنِيِّ الظَّهْرَانِيِّ

أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ بَرَكَاتِهِ نَفْسَهُ الْقَدِيرَةَ

تَعْرِيفُ

عَبْدِ الرَّحِيمِ مُبَارَكِ

عَلَّامِ الْحُجَّةِ الْبَيضاءِ

الحسيني الطهراني ، السيد محمد الحسين ، ١٣٤٥ - ١٤١٦ هـ .
معرفة المعاد / لمؤلفه السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني . - بيروت :
دار المحجة البيضاء ، ١٤١٥ هـ . ق .
١٠ ح . ٢١٥ ص . . - (دورة العلوم والمعارف الإسلامية ؛ ٣)
الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ . ق .

العنوان .

٢٩٧/٤٤

BP٢٢٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مؤسسة ترجمة ونشر (دورة العلوم والمعارف الإسلامية)

من تأليفات

العلامة آية الله الحاج السيد محمد بن الحسين الطهراني

دورة العلوم والمعارف الإسلامية (٣)

معرفة المعاد

الجزء السادس

المؤلف : سماحة العلامة الزّاحل آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني
الطهراني قدس الله نفسه الزكية

تعريب : عبد الرحيم مبارك

الطبعة الأولى : ١٤١٨ هجرية قمرية

عدد النسخ : ٢٠٠٠

الناشر : دار المحجة البيضاء

تمت ترجمة وطبع هذا الكتاب بإشراف «مؤسسة ترجمة ونشر دورة العلوم والمعارف
الإسلامية» من تأليفات العلامة آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني
وجميع حقوق الطبع محفوظة للمؤسسة . مشهد المقدسة - إيران ص ١١٣٧٥/٦١٤٩٦

الفهرست

فهرس مطالب وموضوعات

معرفة المعاد

الجزء السادس

الصفحات

المطالب

المجلس الخامس والثلاثون :

المعاد حتمي ، والبعث بواسطة اسم «المُحيي»

الصفحة ٣ إلى الصفحة ٢٨

يشمل المطالب التالية :

- | | |
|----|---|
| ٥ | ساعة الساعة لا يمكن أن تكون متحصنة |
| ٧ | قدرة الله تعالى على حدّ سواء لآحاد الخلقة |
| ٩ | بعث الأموات ليس بأعجب من اسيقاظ أصحاب الكهف |
| ١٥ | إحياء الطور المذبوحة على يد النبي إبراهيم الحليل عليه السلام |
| ١٧ | معجزات الأنبياء تظهر من نفوسهم بإذن الله تعالى |
| ٢١ | كيفية تجلّي نور الحق في الشجرة ، ونداء : إِيَّيْ أَنَا آلَلَهُ |
| ٢٥ | كلّ شيء لا إله إلا الله ؛ والتهليلات الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام |
| ٢٧ | جميع الموتى صاروا لا إله إلا الله |

معرفة المعاد (٦)

الصفحات

المطالب

الدرس السادس والثلاثون :

هطول أمطار الحياة لإحياء الموتى

الصفحة ٣١ إلى الصفحة ٥٦

يشمل المطالب التالية :

- ٣٣ هطول أمطار الحياة أربعين يوماً لحشر الموتى
- ٣٥ أقوال المتكلمين في معاد الإنسان
- ٣٧ إحياء الموتى ليس بالأمر العجيب
- ٣٩ العجائب في نظام الخلقة أكثر منها في المعاد والحشر
- ٤١ أمر الله بإحياء الموتى بلفظ «كُنْ»
- ٤٣ أدلة منكري المعاد الجسماني
- ٤٥ كلمات ابن سينا في المعاد الجسماني .
- ٤٧ كلمات ابن سينا في المعاد النفساني
- ٥١ نظرية الفارابي في أن الأبدان بعد الموت، في الأفلاك
- ٥٣ في أقسام تصورات المعاد الجسماني

الدرس السابع والثلاثون :

شيئية الأشياء بصورتها لا بالمادة

الصفحة ٥٩ إلى الصفحة ٨٦

يشمل المطالب التالية :

- ٦٣ رد صدر المتألهين الشيرازي شبهة الأكل والمأكل
- ٦٥ الرد على شبهة الأكل والمأكل بافتراق الصور لا بالمواد
- ٦٩ المادة أمر مبهم ، وصورة الموجودات باقية على الدوام
- ٧١ الأشياء في عالم الوجود باقية دوماً

فهرس المطالب والموضوعات

المطالب	الصفحات
جميع أعمال الإنسان حاضرة يوم القيامة	٧٧
روح الإنسان مجزدة ، ولذلك فهي مُلازمة لجميع الأعمال	٧٩
في الرد على شبهة الآكل والمأكل	٨١
الآيات الواردة في الرد على شبهة الآكل والمأكل	٨٣

الدرس الثامن والثلاثون :

في الرد على الشبهات الواردة على المعاد الجسماني

الصفحة ٨٩ إلى الصفحة ١١٧

يشمل المطالب التالية :

بيان المرحوم صدر المتألهين الشيرازي بشأن العقائد المختلفة في مسألة المعاد	٩١
في الرد على الفخر الرازي الذي يعتبر المعاد طبيعياً مادياً	٩٥
استدلال الفخر الرازي على المعاد الطبيعي ، والرد عليه	٩٧
رد المتكلمين على شبهة الآكل والمأكل	٩٩
الرد المخري للمتكلمين على شبهة الآكل والمأكل	١٠٥
بحث علمي في أن جميع أجزاء البدن أصلية	١١١

الدرس التاسع والثلاثون :

الرد على شبهة المعاد الجسماني وبيان حقيقته

الصفحة ١٢١ إلى الصفحة ١٥٦

يشمل المطالب التالية :

إجابة صدر المتألهين على شبهات المعاد الجسماني	١٢٣
كلام صدر المتألهين في أن الآخرة هي باطن الدنيا	١٢٥
نصيحة صدر المتألهين في اجتناب خوض المسائل العقلية والعقائدية	١٢٧

معرفة المعاد (٦)

الصفحات

المطالب

١٢٩

بيان مقدمات سع للمعاد الجسماني العنصري لدى المؤلف

الدرس الأربعون :

المعاد الجسماني العنصري ، وعالم عرض وحشر جميع الموجودات

الصفحة ١٥٩ إلى الصفحة ١٩٠

يشمل المطالب التالية :

١٦١

عالم العرض وحضور الإنسان في ساحة الله عز وجل

١٦٣

مقام عرض الكفار على نار جهنم

١٦٥

كلام صدر المتألهين في «الأسفار» في حشر جميع الموجودات

١٦٧

كلام صدر المتألهين في «رسالة الحشر» في حشر جميع الموجودات

١٧١

حشر الروح الأعظم والملائكة المقربين والأسماء والصفات الكلية

١٧٥

صعود الروح والملائكة إلى الله وحشرهم في خمسين ألف سنة

١٧٧

حشر الشيطان والجن والكفار ومعادهم

١٧٩

حشر الحيوانات والنباتات والجمادات

١٨٥

كلام صدر المتألهين في حشر جميع الموجودات إلى الله عز وجل

١٨٧

في بقاء الموجودات بالله بعد الفناء في الله

الدرس الحادي والأربعون :

تطهير الكتب وصفة صحيفة الأعمال

الصفحة ١٩٣ إلى الصفحة ٢١٠

يشمل المطالب التالية :

١٩٥

في معنى تطهير الكتب وصفة صحيفة الأعمال يوم القيامة

١٩٧

كيفية تدوين عالم التكوين لصحيفة الأعمال

فهرس المطالب والموضوعات

المطالب	الصفحات
النبور محلّ الواردات في الدنيا ، ومحلّ الصادرات في الحشر	١٩٩
إصلاح صحيفة أعمال الإنسان ممكن في الدنيا فقط	٢٠١
كيفية إراءة الأعمال في يوم القيامة	٢٠٣
تفسير آية : «وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ»	٢٠٥
آثار أعمال الإنسان تسجل في صحيفته إلى يوم القيامة	٢٠٧
في حقائيه أم الكتاب واللوح المحفوظ	٢٠٩
فهرس تأليفات المؤلف	٢١٣

الجلس الخامس والثلاثون

المعاد حتمي، والبعث بواسطة اسم المحيي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ
لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ^١.

لقد كانوا يلحون بالسؤال : متى تقوم القيامة ؟ وهو سؤال خاطئ
وكلام لا معنى له . لأنّ الذين يتوقفون في هذه الدنيا يردون عالم البرزخ
بمجرد موتهم ، فقيامتهم الصغرى هي ورودهم إلى البرزخ . ثم إنهم يمكثون
في البرزخ حتى تقوم القيامة الكبرى ، فيموتون آنذاك من البرزخ ويُبعثون
في القيامة الكبرى . وهكذا فإنّ جميع الذين ماتوا وارتحلوا إلى البرزخ ،
الواحد تلو الآخر ، سينتقلون من البرزخ إلى عالم الحشر والقيامة الكبرى .
فإن كان الموت هو المعنى بهذا السؤال (متى هذا الوعد) فإنّه سيكون
الآ فارغاً لا معنى له ، إذ إنّ جميع البشر يموتون ويرحلون عن الدنيا في
مِيعَةٍ . وسواء كانت تلك الساعة مشخصة للإنسان أم لم تكن ، فما
علاقة ذلك بأصل المطلب ؟! وما الفائدة في هذا التشكيك ؟ وإن كانت

١- الآيتان ٢٩ و ٣٠ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

القيامة هي المراد بوعده الله ، فهي أساساً غير مشخّصة وليست قابلة للتعيين والتحديد بلحاظ عرض الزمان .

افرضوا - على فرض المحال - أنّ النبي ! الأكرم يجيب على هذا السؤال : ستقوم القيامة الكبرى بعد أربعين ألفاً وخمس وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وأربعة أيام ؛ أفكنتم ستقتنعون بذلك ؟ أم كنتم ستقولون : وهذا أيضاً أحد الأكاذيب التي يقولها ، إذ إنّ أحداً لن يمكنه طيّ هذه الفترة الزمنية المديدة خلال عمره المحدود ، لذا فإنّ كذبه لن يفتضح وسيكون مفيداً وناجعاً للبسطاء والعوام السذج .

وهكذا سيُنكر مَنْ هو في صدد الإنكار الأمور البديهيّة ، ويكذب المعجزات ويعزوها إلى السحر . أفيقبل امرؤ كهذا إخبار رسول الله بهذه المدة الطويلة للقيامة ؟ أبداً .

وعلاوة على هذا ، فإنّ قيام القيامة هو العبور من البرزخ إلى عالم القيامة الكبرى ، وليس ذلك زمناً .

إنّ كلّ مَنْ يرحل عن هذا العالم يمتلك سيراً طويلاً صوب الله تعالى ، أي أنّه سيحصل على تجرّد من المادّة فيرد عالم البرزخ والصورة - عالم البرزخ والمثال هو عالم الصورة - وحين تحين القيامة الكبرى فإنّه سيموت مرّة أخرى فيعبر من البرزخ والصورة إلى عالم مجرّد عن الصورة ، وهو عالم النّفس . وليس معنى التدرّج والزمان على هيئة الزمان المعهود لدنيا ، بل إنّ التدرّج له معنى آخر هناك .

وعلى كلّ تقدير ، فإنّ الله سبحانه قد أوضح لنا بشواهد وأمثلة أنّ القيامة أمر حتمي ، وأنّ إحياء الموتى ليس أمراً عسيراً ، بل هو سهل يسير ، وإنّما يُحتسب يُسر العمل وعُسره بالنسبة إلى الموجودات التي تمتلك قدرة محدودة . فإن كان العمل الذي ننتظره منها ممكناً لها ، وإن كان

ضمن تحملها وقدرتها ووسعها ، كان ذلك العمل سهلاً لها يسيراً ، أما لو خرج من دائرة قدرتها ، صار صعباً عسيراً .

وحين يمكن للإنسان أن يحمل خمسين كيلو غراماً مثلاً ، فإننا نقول إن هذا العمل يسير لديه ؛ لكنه حين ينوء بثقل مائة كيلو غرام ، فإننا سنقول إنه أمر عسير عليه وفوق قدرته وطاقته .

وأسطوانات هذا المسجد - مثلاً - يمكنها تحمل ثقل ثلاثين طناً ، وهو وزن ضمن حدود قدرتها وتحملها ، بيد أنها ستعجز عن تحمل ثقل ثلاثين ألف طن . فإن حملناها ثقلاً بهذا الوزن ، فإن من المسلم أنها ستنهار وتتداعى ، وسيقال حينئذٍ لمثل هذا الوزن إنه يفوق قدرتها ويتخطى حدود تحملها .

وعليه فإن تخطي مدى القدرة أو الكون ضمن حدودها ، إنما هو بالنسبة للموجودات التي تمتلك قدرة مشخصة محدودة . أما بالنسبة إلى الله سبحانه ذي القدرة اللامتناهية الخارجة عن الحد والحدود ، القدرة التي لا تُقاس مُدةً وعدةً وشدةً وكثرةً ، فليس هناك من معنى للسهل والعسير إن قدرات غير الحق جلّ وعلا متفاوتة بلحاظ الجهات المادية أو الملكوتية ، الظاهرية والباطنية ؛ يصدق عليها جيّداً القياس والمقارنة والترتب في درجات معينة ، كما يصدق عليها عنوان السهولة والصعوبة . أما قدرة الحق تعالى فغير متناهية ، أي أنّ جميع القدرات التي تُفترض مندكة في قدرته . فكيف يمكن - والحال هذه - تصوّر السهولة والصعوبة ؟ ما الذي تعنيه الصعوبة ؟ وما الذي تعنيه السهولة ؟ وما الذي يعنيه الأسهل ؟ وما الذي يعنيه الأصعب ؟

ليس هناك أبداً من سبيل لهذه المفاهيم ، فهي مفاهيم إذا ما أرادت التحقق وإيجاد مصداقها في الذات القدسية للباري تعالى شأنه العزيز ، فإنها

ستواجه نفير الطرد والإبعاد والمنع .

وعلى ذلك ، فإن أراد الله تعالى أن يخلق بعوضةً لا وزن لها ، أو أن يخلق فيلاً والذي هو أثقل الحيوانات البرية ، فإنه يُعمل قدرته بدرجة واحدة ، أي أن مشيئته وإرادته هي نفس إيجاده .

كم سيعمل الله قدرته حين يوجد جبل «هالاي» أكثر من أعماله لها حين يوجد ذرة تراب واحدة ؟ الجواب : لا شيء .

إن نزول قطرة مطر واحدة من السماء ، وإيجاد محيط كبير ذي أمواج متلاطمة هادرة يحصلان كلاهما بيد الله تعالى ، فهو يوجد ههما ويحرّ كهما على منوال واحد وأسلوب واحد . كما أن جميع الموجودات ، الصغير منها والكبير ، المادي منها والمعنوي ، الملكي والملكوتي سواسية بالنسبة إلى قدرته كأسنان المشط ، كما أنها سواسية كذلك بالنسبة إلى علمه وحياته .

وهكذا فإن إحياء الموتى بالنسبة إلى الله كابتداء خلقهم ، ليس هناك أبداً من صعوبة أو سهولة ، ولا عُسر وحرص ، ولا يُسر ولا معاناة ، ولا من ثقل وخفة ، ولا من إمكان واستحالة . كلّ ما هناك إرادة واحدة فقط : إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^١ .

لذا فقد ورد الخطاب إلى النبي في بعض الآيات بأن يقول لهم : لماذا تشكّون في القيامة ؟ لقد خلقكم الله من عدمٍ محض ، ثمّ إذا شاء أعاد خلقكم من جديد .

وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ^٢ .

إننا نرى في أفهامنا وإدراكاتنا ، بحسب الأنس الذهني ، أن إيجاد

١- الآية ٨٢ ، من السورة ٣٦ . يس .

٢- مقطع من الآية ٢٧ ، من السورة ٣٠ : الروم .

شيءٍ ما من موجودات متفرقة ، أسهل من إيجاد ذلك الشيء من العدم المحض . فانظروا في خلق الإنسان وتصمّر العمر ؛ أكان الإنسان شيئاً في الحقيقة ؟ أبداً . فلقد خلق الله الإنسان فطوى مراتب معينة ، حتى صيّرهُ إنساناً فوهبه عيناً وأذناً وقلباً وفكراً وإحساسات وتعقلاً . وهو أمر يبدو في نظر الإنسان أعسر بكثير من إماتة الإنسان ، ثم جمع ذراته - مهما تفرقت وتبددت في العالم - وإحيائه من جديد .

ذلك لأنّ الإنسان مهما كان مفزقاً مبدّداً ، إلّا أنّ هناك شيئاً موجوداً منه في نهاية الأمر ؛ وجمّع الأشياء المتفرقة أسهل من أصل الخلقة حيث أوجده الله دونما شيء مُسبق ، بل من العدم المحض الصرف . ولقد جاء التعبير بالهتين في الآية الشريفة تبعاً لإدراكاتنا ومشاعرنا ، من أجل تقريب ذهننا لهذا الأمر ، وإزالة عجب الإنسان ليصبح تصديق الأمر سهلاً لديه .

إنّ عليكم أن تعجبوا من خلقكم وصعوبته ، أمّا إحياء الموتى فليس أمراً عسيراً . بيد أنّ حقيقة الأمر ، ليس بينهما من تفاوت أبداً . ثمّ إنّّه تعالى يضرب لنا مثلاً أصحاب الكهف ، وذلك للاعتبار بهم وإجراء الحكم المشابه بينهم وبين سائر الناس :

وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِیَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا .^١

ولقد كانت قصّة عجيبة حقّاً ، مع أنّها في نظر الله وفي حقيقة الأمر وفي نظر حكم الأمثال والمشابهات غير عجيبة أصلاً .

فلقد نام أصحاب الكهف وكلبهم (ومجموعهم ثمانية نفر) ثلاثمائة وتسع سنين ثمّ استيقظوا ، ثمّ جاء أحدهم إلى المدينة ليشتري طعاماً ،

١- النصف الأول من الآية ٢١ ، من السورة ١٨ : الكهف .

ولم يكن ليُعلم بما جرى ، فشاهد أنّ العالم قد تغيّر وتبدّل ، وأنّ المدينة صارت مدينة أخرى بأبنيةٍ مختلفة ، ولاحظ أنّ لا وجود لأفراد تلك المدينة الأولى ، فعجب وتساءل : لقد نمنا ساعتين أو ثلاثاً ، فلماذا تبدّل العالم ! ولم يكن ليُدرك أنّ ثلاثمائة سنة شمسيّة قد مرّت عليهم وهم رقاد ، أي ثلاثة قرون شمسيّة ، وهو يعني تصرّم ستّة أو سبعة أو ثمانية أجيال . فتأملوا : لو حصل أنّ ذهبتم إلى المنزل ظهراً فرقدتم ساعة بعد تناولكم الطعام كعادتكم ، فطال نومكم ثلاثمائة سنة ، ثم نهضتم من نومكم بعد هذه المدة في يومٍ مشابه للذي نمتم فيه وفي ساعة تتقدّم على التي رقدتم فيها بساعة واحدة . فما الذي كنتم ستشاهدونه ؟ أين ستكون زوجتكم ؟ وأين سيكون أولادكم ؟ لا يوجد أحد من أعمامكم وأبناء أعمامكم ، ولا من أبويكم ، ولا من سائر أرحامكم ومعارفكم . وسيكون أفراد آخرون بدلاً منهم قد ملأوا بيوت المدينة . ومهما تكلمتم معهم وذكّرتهم لم يفهموا شيئاً ، ثم إنّ النقود والعملّة صارت عملة أخرى .

وهذه الأمور جميعاً في حالة أنّهم لم يدفنوا تحت الأرض ؛ إذ حين ينقضي زمن بسيط على موعد استيقاظ المرء دون أن يستيقظ - في حالة انعدام حسّ الإنسان وحركته ونبض قلبه - فإنّ عائلته سيتصوّرون أنّه قد مات ، فيأخذونه إلى المغتسل فيغسلونه ويكفّنونه ويدفنونه .

أمّا لو كان له حسّ وحركة ، وكان قلبه ينبض في وهن ، وباعتبار أنّه لا يجيبهم ولا يستيقظ من نومه ، فإنّهم سيتصوّرون أنّه مريض ، فيصّبون في فمه السوائل بأمر الطبيب ويضعون له الحقنة حتّى يموت .

ولو جرى ذلك في أيّامنا هذه ، لنقلوه فوراً إلى المستشفى فغرزوا في بدنه حقن الدواء ، ولداروا به من هذه الغرفة إلى تلك لالتقاط الصور الشعاعيّة وللقيام بالتحاليل الطبيّة ، ولربّما أجروا له عمليّة جراحية أو

عمليتين حتى يقتلون ذلك المسكين حياً .

ومن ثم فلو حصل - مثلاً - لبعض أولياء الله أن صارت له حالة خلع في هذه الأيام ، ولم يكن مرافقوه يعلمون بذلك ، فما أحراهم أن يظنونه قد أسلم الروح ، فيأخذونه إلى المقبرة ويدفنونه .

وعلى هذا الأساس ، ولأجل صون أولئك الفتية أصحاب الكهف ، فقد أخرجهم الله من المدينة وأنامهم في كهف بحيث لا يطلع على أحوالهم أحد ، وإلا لقتلهم أصدقاؤهم فضلاً عن أعدائهم . تماماً كالأفراد الذين يتهمهم الناس هذه الأيام ، فإنهم لو كانوا أحراراً طليقين لتعرض لهم الناس بسوء ، فتقوم الدولة والحكومة بنقلهم إلى مكان آخر - ولو كان ذلك المكان سجنًا - ليبقوا في حرز ومأمن من أيدي الناس . وهكذا فقد كان الكهف محلاً خالياً هادئاً لاستراحة أولئكم دونما إزعاج .

فانظروا لو صادف أن حصلت لكم قصة أصحاب الكهف وقصة ذلك الذي جاء إلى المدينة لشراء الطعام ، فأدر كنتم بعمق ولمستم أنكم كنتم طيلة هذه المدة المديدة في نوم عميق . فكيف كان ذلك سيبدو لكم عجباً مدهشاً بحيث إن قصة الموت والإحياء لن تفوقه في العجب والغرابة . إذ ما الفرق بين النوم والاستيقاظ بعد ثلاثمائة سنة ، وبين الموت والبعث من جديد بعد ثلاثمائة سنة ؟ أو ليس النوم موتاً ؟ ولقد فعلنا ذلك ليطلع الناس على الوعد الحق الذي قطعه الله ليوم الجزاء .

لقد سيطر بختنصر (نبوخذ نصر) على اليهود فقتلهم عن آخرهم ، وجاء في التاريخ أن الناس كانوا قد خرجوا من بيوتهم وأماكنهم ، فأدر كنهم جيش بختنصر (نبوخذ نصر) في العراء فضرب رقابهم جميعاً ، حيث قتل من اليهود سبعين ألف نفرًا ، وهذه القصة مدونة في التواريخ . وكان عزيز النبي قد فر من يده فتوارى في عين ماء وغاب عن الأنظار إلا أنه

لم يمت ، فقد حفظه الله تعالى .

ثم إنَّ النبيَّ إرميا مَرَّ على تلك الصحراء بعد سنوات متمادية ، وكانت أجساد اليهود قد تلاشت ولم يبقَ منها في تلك الصحراء إلا العظام الملقاة ، فشهد عجباً ، صحراء تملؤها عظام مبددة مشتتة متداخلة ، فحار في ذلك ؛ قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ أَللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا .^١

فأماته الله وحماره معه ، ثم أحياهما بعد مائة عام ، فشهد إرميا بأَمِّ عينيه كيف أنه وحماره كانا يرتديان لباس المادّة ، وكيف أنَّ الأجزاء المشتتة كانت تجتمع فيكسوها اللحم ، فأراه الله بذلك كيفية إحياء الموتى . ولقد طلب النبيَّ إبراهيم عليه السلام من ربّه أن يعلم الجهة الفاعلة وإعمال القدرة في إحياء الموتى ، فقال : كَيْفَ تُحْيِي أَلْمَوْتَى .^٢

وهو غير سؤال إرميا ، فقد كان سؤال إرميا عن نحو الفعل بينما كان سؤال إبراهيم عن نحو الفاعل . ذلك أنهم يأخذون المرء أحياناً إلى المختبر فيرونه تلك المطالب التي قرأها ، كما يحصل أحياناً أن يقولوا له : اعمل بنفسك وحقّق بيدك عملياً المطالب العلميّة واخلع عليها رداء التحقق . يقول إبراهيم : ربّ أرني كيف تُحي الموتى .

ولقد بحثنا هذا الموضوع في المجلس الخامس والعشرين تحت عنوان التحقق بوجه الله ، وسنقتصر في البحث الآن - لمزيد من الوضوح - على الجهة الفاعليّة لإحياء الموتى .

ربّ كيف تُحي الموتى ؟ أريد أن أفهم ما هي تلك الجهة الفاعلة فيك التي تُحيي بها الموتى .

١- مقطع من الآية ٢٥٩ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- مقطع من الآية ٢٦٠ ، من السورة ٢ : البقرة .

أَو لَمْ تَوْمِنْ بِهَذَا الْأَمْرِ يَا إِبْرَاهِيمَ ؟
قال : بلى ! أعلم أَنَّكَ تُحْيِي المَوْتَى بِقُدْرَتِكَ الْكَامِلَةِ وَبِاسْمِ الْمُحْيِي
الَّذِي هُوَ مِنْ أَسْمَائِكَ الْحُسْنَى ، وَلَكِنْ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي .
فَمَا الَّذِي كَانَ يَعْنِيهِ ؟ يَعْنِي أَنَّنِي الْآنَ خَلْفَ السِّتَارِ ، فَأَرْخُ هَذَا السِّتَارَ
جَانِباً لِأُشَاهِدَ دُونَمَا حِجَاب .

وَلَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ نَبِيّاً مِنْ الْأَنْبِيَاءِ أُولَى الْعِزْمِ أَصْحَابِ الشَّرِيعَةِ
وَالْكِتَابِ ، وَقَدْ حَازَ دَرَجَاتٍ وَمَقَامَاتٍ ، وَطَوَى مَدَارِجَ وَمَعَارِجَ ، وَسَارَ فِي
عَالَمِ الْوَلَايَةِ وَوَصَلَ إِلَى الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ، لَكِنَّ جَانِبَ الْإِحْيَاءِ
وَاسْمِ الْمُحْيِي لَمْ يَظْهَرْ بَعْدُ فِي إِبْرَاهِيمَ نَفْسِهِ ، فَلَمْ يُحْيِي المَوْتَى بِنَفْسِهِ ،
وَلَمْ يَكُنْ لِيَعْلَمَ كَيْفِيَّةَ إِحْيَاءِ المَوْتَى مِنْ جِهَةِ حَيْثِيَّتِهَا الْفَاعِلَةِ .

ذَلِكَ أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ حِينَ يَصْلُونَ إِلَى مَقَامِ الْقُرْبِ ، فَإِنَّ جَمِيعَ أَسْمَاءِ
اللَّهِ وَصِفَاتِهِ تَتَجَلَّى فِي وَجُودِهِمْ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُ عِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ : وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ^١ .

لَيْسَ الْأَمْرُ بِأَنْ أَقِفَ جَانِباً فَأَدْعُو : رَبِّ أَحْيِي المَوْتَى ! فَيَسْتَجِيبُ اللَّهُ
فِيُحْيِي مَيِّتاً . بَلْ إِنِّي أُحْيِي المَوْتَى بِنَفْسِي بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ . أَنَا عَبْدٌ وَكَلٌّ
حِظٌّ وَقُوَّةٌ فِيَّ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، لَكِنَّ الْعَمَلَ
عَمَلِي أَنَا .

افرضوا - مثلاً - أَنَّنِي أَدْعُو وَأَنَا جَالِسٌ هُنَا : يَا إِلَهِي ! لِيَسْقُطَ هَذَا الْقَلَمُ
عَنْ هَذِهِ الْوَرَقَةِ ! فَيَسْتَجِيبُ اللَّهُ الدُّعَاءَ وَيَحْصُلُ عَمَلٌ خَارِجِيٌّ ، كَأَنْ تَهَبَ
رِيحٌ أَوْ يَأْتِيَ زَيْدٌ فَيَضَعُ هَذَا الْقَلَمَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَآنَذَاكَ فَإِنَّ حَرَكَةَ الْقَلَمِ
وَسُقُوطَهُ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يَكُونَا بِإِرَادَتِي أَنَا . وَقَدْ يَحْصُلُ أحياناً أَنْ أَرْفَعُ

١- مقطع من الآية ٤٩ ، من السورة ٣ . آل عمران .

معرفة المعاد (٦)

المعاد حتمي ، والبعث بواسطة اسم «المُحيي»

القلم بيدي فأضعه على الأرض . فالفعل في الحالين هو فعل الله وقد حصل بحوله وقوّته ، ولولا مشيئته وإذنه لما تحرّك القلم من مكانه إلى ما بعد ألف سنة . أمّا في الحالة الثانية حيث وضعتُ القلم على الأرض بيدي فإنّ الفعل فعلي ومنسب لي .

لقد وصل إبراهيم عليه السلام إلى مقامات وطوى مدارج معيّنة ، لكن اسم المحيي ، أي كَيْفِيَّةُ الإحياء وتلك القوّة التي تظهر في أولياء الله في مقام القرب بواسطة تجلّي اسم المُحيي لم تكن قد ظهرت فيه بعد . وإجمالاً فإنّ إبراهيم لم يكن قد قام بنفسه بإحياء الموتى . لذا فهو يسأل : كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ؟

أي كيف يتجلّى فيك هذا الاسم فتُحيي بواسطته الميت ؟
قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ بهذه الحقيقة يا إبراهيم ؟ قال : بلى ! آمَنْتُ ، وأعلم أنّك تقوم بهذا العمل باسمك المقدّس ، تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ وَعَلَتْ صِفَاتُكَ ، لكنّي أريد أن أرى كما يرى التلميذ حين يختبر بنفسه في المختبر ويرى رأي العين . فقال له الله : فافعل هذا العمل بنفسك . خذ أربعة من الطير فاجعلهنّ يأنسن إليك ، ثمّ اذبحهنّ واخلط أوصالهنّ وضّع قدراً منهنّ على قمّة كلّ جبل ، ثمّ ادعهنّ فسيأتينك سعيّاً ، واعلم أنّك أنّ الله عزيزٌ حكيم . فأخذ إبراهيم أربعة طيور ، وهي على ما في تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي : الطاووس ، الغراب ، الحمامة والديك ؛ فطحنها معاً بحيث تداخلت جميع ذرّاتها ، ثمّ ورّع أجزاءها على قمم عشر جبال ، فوضع على كلّ جبلٍ منهنّ جزءاً .

فلتدعهنّ الآن يا إبراهيم بنفسك ! ماذا يعني ذلك ؟ أي ادعهنّ بنفسك الملكوتيّة ، فإنّهنّ سيحببنك ويلبّين نداءك .

ومن هنا ، فإبراهيم يُحيي الموتى لأنّه لم يعد إبراهيم ، بل حول الله

وقوته ، لا غير . ولقد ظهرت إرادة الله ومشيتته من نافذة نفس إبراهيم ، وصار لإبراهيم الاسم الأعظم ، وظهر اسم المحيي في وجوده فعلاً .
لقد تخطى إبراهيم نفسه خارجاً ، وصار فانياً في اسم الحق ، فليس هناك من إبراهيم بعد ، بل هناك الله تعالى لا غير .
ثم إن إبراهيم أمسك مناقير الطيور واحداً بعد آخر فنادها واحداً فواحداً : أيها الديك ! تعال . أيها الغراب ! تعال . أيها الطاووس ! تعال . أيتها الحمامة ! تعالي .

فسبحت ذرات كل واحد من هذه الطيور في الهواء من فوق الجبال العشر وجاءت فلبقت بمناقيرها في يد إبراهيم ، فمما اللحم فوق عظامها فوراً ، ونما الريش والأجنحة فوق اللحم ، فصارت الطيور الأربعة كاملة الخلقة مستوية أمام إبراهيم .

وعلى كل حال ، فقد كان نداء إبراهيم الملكوتي هو الذي أحيا الطيور ، ولقد أحيا إبراهيم باسم الله ؛ واسم الله هو أمره وإذنه تعالى .
ولقد ورد في الرواية أن إبراهيم جاء إلى قمة جبل أبي قبيس حين بنى الكعبة فأذن في الناس بالحج ، فأجابه بالتلبية كل من سمع نداءه ولو كان في أصلاب الآباء ، فوقق للحج من أجابه . فمنهم من لبى مرة واحدة ، ومنهم من لبى مرتين فحج مرتين . وهكذا فإنهم سيوقعون للحج ولزيارة بيت الله الحرام بعدد تليبتهم . ومن الجلي أن نداء إبراهيم هذا كان ملكوتياً هو الآخر ، وإلا لما سمعه من كان في أصلاب الآباء . كما أن التليبات كانت ملكوتية هي الأخرى . ولقد وفق إلى الحج كل من لبى وأجاب . وإلا فإن التليبات الظاهرية ليس لها تلازم مع التشرف بالحج .

وهكذا فقد اطمأن إبراهيم ، أي أن ذلك الاطمئنان القلبي ! الذي كان ينشده ويصبو إليه قد حصل له ، لأنه قد فعل ما فعل بيده وإرادته .

ولو تحقق أمرٌ ما في وجود الإنسان ، فلمسه الإنسان وشاهده ،
لانتقل بالطبع من مقام التردد والشك أو عدم الاطمئنان على أقل تقدير ،
إلى مقام اليقين والاطمئنان .
ولو قلت : إنني لا يمكنني أن أفهم كيف يُضيء هذا المصباح
الكهربائي !

فقلنا : إن التيار الكهربائي يجب أن يسير في السلك ؛ والكهرباء ،
نولدها بواسطة أمر فيزيائي أو كيميائي ، كالحركة والاحتكاك أو الفعل
والانفعال ، أي أننا نوجد قطبين كهربائيين موجباً وسالباً بواسطة مولد أو
بطارية ، بحيث يحصل كذا وكذا ... وهكذا نشرح جميع ذلك ونرسم دائرته
الكهربائية ، ثم نقول : أفصّدت الآن ؟

وستجيب : لقد صدّقتُ ، ولكن لم يحصل لي اليقين واطمئنان
الخاطر .

فنقول : هاتِ بنفسك أيها السيّد وعاءً فاسكب فيه قدراً من محلول
الأمونيوم ثم ضع فيه قطعتي فحم الغرافيت بعنوان قطبين ، ثم صل
الفحمتين بسلكين ، وصلهما بمصباح ، وضع مفتاحاً للوصل في طريقيهما ،
فسترى أنّ المصباح سيتوهج . وها أنت تنجز هذه الأعمال بيدك ، فترى أنّ
المصباح يتوهج . إنّ جميع معجزات الأنبياء ، من إحياء الموتى ، وشفاء
الكُمه الذين وُلدوا عُمياناً . وشفاء البرص ، واليد البيضاء ، وقلب العصا
ثعباناً وشق القمر ، وغير ذلك ، كانت بأجمعها غير خارجة من دائرة
إرادتهم ونفوسهم . ولم يكن الأمر بحيث إنهم يعتبرون أنفسهم منفصلين
عن الحول والمشية الإلهية ، ثم يدعون : إلهي ! شقّ القمر ! واقلب هذه
العصا ثعباناً ! وسلّط هذا الأسد المنقوش على الستار على مهرج المأمون !
فيقوم الله تعالى باستجابة دعائهم خارج مجلى ومجرى نفوسهم ، بل إنّ

المعجزات تتجلى من جهة نفوسهم . فلقد أشار النبي فانشق القمر نصفين ، وتكلم مع الحصى في كفه . ولقد جاء أمير المؤمنين إلى المقبرة بناء على طلب شاب حديث العهد بالإسلام قديم من أماكن بعيدة راغباً في الحديث مع أبيه المتوفى ، فأمر أمير المؤمنين فانشق القبر وخرج منه شيخ ينفض التراب عن وجهه ورأسه ، فتحدث مع ابنه عدة جملات .

كما أن الشخص ذا النفس الطاهرة والروح الطيبة ، حين يذهب لعيادة مريض فيرغب في شفائه أشد الرغبة ، فإنه يشفى فوراً بتأثير تلك النفس الطاهرة بإذن الله تعالى . والشخص الذي يحسد الطفل فيمرض الطفل أو يموت ، إنما يفعل ذلك لنفسه الخبيثة الدنسة ، حتى لو كان ذلك الطفل ابنه ، فالموت والمرض وسوء الحظ وأمثالها هي من آثار النفوس الخبيثة . كما أن تأثير النفوس في البركة والعافية والصحة وطول العمر يحصل بواسطة طهارة تلك النفوس .

فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ^١

إن آثار السوء تذهب كالزبد الذي يعلو الماء ، وأما ما ينفع الناس ويصلهم بالخير والرحمة فيبقى ويمكث في الأرض . وجميع هذه التأثيرات والتأثرات التي نشاهدها في العالم متعلقة بالنفوس ، بيد أنها تحصل بإذن الله تعالى ، ذلك لأن أي موجود لا يرتدي رداء الوجود في ذاته وفي فعله وفي أثره إلا بإذن الله سبحانه .

وليس هذا الإذن إذناً اعتبارياً كسائر العقود والعهود التي تحصل في عالم الدنيا والاعتبار . كأن يقول الإنسان : إلهي استجرت منك ؛ فيجيبه : عَبْدِي أَجَزْتُ لَكَ ؛ بل هو إذن تكويني وحقيقي في النفوس ، من أثره

١- مقطع من الآية ١٧ ، من السورة ٢٣ : الرعد .

إمكان تأثير النفوس في المُجاز .

إنّ النفس تصل بظرف التكوين والواقعية إلى مرتبة تتجلى فيها الذات القدسية للحق تعالى . وبهذه الوسيلة تتحق إرادته تعالى في الخارج وترتدي لباس الوجود . فاذهب وكن مجرداً لترى المجرد ولتعمل المجرد؛ وهو إشارة إلى تحقّق حالة الانقطاع هذه هي النفوس .

نحن الآن جالسون في المسجد بأجمعنا ، فنحن نرى كلّ شيء ، ونتطلّع إلى جميع الإصدقاء والإخوة في الدين ، لكننا لا نرى أنفسنا . أفرى طلعتنا يا ترى ؟ كلا .

ومع أنّ جميع شرائط الإبصار موجودة ، فلدينا أعين ، والمصباح مضاء ، لكننا ننظر فلا نرى أنفسنا . وننظر إلى هذا المذّيع فلا نرى أنفسنا ؛ وننظر إلى صفحة الورقة ، وإلى البساط ، وإلى السقف ، فلا نرى أنفسنا . أمّا حين ننظر إلى حجر المرمر المتلألئ هذا فإننا نرى أنفسنا .

لماذا ؟ لأنّ هذا الحجر قد اكتسب فعليّة تجلّي وعكس الإشعاع بواسطة بروز قابليّته واستعداده ، فإن زيد في صقله قدرّاً ، تبدّل إلى صفحة مرآة نرى فيها أنفسنا بصورة كاملة . وهكذا فإنّ أحد شروط الإبصار والرؤية قابليّة عكس الشعاع .

ولو كان هذا البساط الملقى على الأرض في شرائط معيّنة ، فاستطعنا صقله ليتلألأ كالمرآة ، لأرانا هذا البساط طلعتنا هو الآخر . ولأرانا إيّاها الكتاب ، والمذّيع أيضاً ، وجميع الأشياء التي تُحاذينا وتقابل وجوهنا .

إنّ الموجودات التي خلقها الباري تعالى مظهره لقدرة وعظمة وعلم وحياة الحضرة الأبديّة كلّاً بحسب سعة ماهيّته وقابليّته ، وعلى الأخصّ نفس الإنسان التي خلقت بقابليّة أكثر بحيث إذا ما تنوّرت بنور العلم

والتقوى والتزكية ، وتخطت غرورها ونظرها إلى نفسها فصارت ترى الحق ، فإنها تستطيع بواسطة الصفاء الذي ستكتسبه أن تكون عاكسة للأسماء والصفات الكلية الإلهية ، وباعتبارها مصفاة من الأكار النفسانية ، فإن الأعمال التي تصدر منها ستكون طاهرة نقيّة مائة في المائة .

ومن هذا القبيل معجزات الأنبياء والأئمة عليهم السلام وكرامات أولياء الله ، فهذه المعجزات منتسبة إلى الله تعالى في عين انتسابها واستنادها إلى أولئك الأنبياء . ومن ثم فإن الفعل له نسبتان ، فله - بلحاظ نزوله من جهة منبع الجود وأصل الجود - اختصاص حقيقي بالذات القدسيّة للحضرة الأحديّة ، أما بلحاظ عبوره من هذه الجهة والنافذة النفسانيّة وكونه محدوداً بهذا العدّ ومقيّداً بهذا القيد ، فإنه مستند لصاحب ذلك الفعل كزيد وعمرو والأنبياء والأولياء وغيرهم .

يقول المرحوم الحكيم السبزواري قدس الله نفسه في استناد أفعال الإنسان إلى الله تعالى ، وذلك في مبحث «عموم قدرته تعالى لكل شيء» :

١ - وَالشَّيْءُ لَمْ يُوجَدْ مَتَى لَمْ يُوجَدْ

وَبِاخْتِيَارٍ اخْتِيَارٍ مَا بَدَا

٢ - وَكَيْفَ فَعَلْنَا إِلَيْنَا فُوضَا

وَإِنَّ ذَا تَفْوِيضُ ذَاتِنَا اقْتَضَى

٣ - إِذْ خُمِرَتْ طَيِّبَتُنَا بِالْمَلَكَةِ

وَتِلْكَ فِينَا حَصَلَتْ بِالْحَرَكَةِ

٤ - لَكِنْ كَمَا التَّوَجُّودُ مَنْسُوبٌ لَنَا

فَالْفِعْلُ فِعْلُ اللَّهِ وَهُوَ فَعَلْنَا

١ - «غرر الفرائد» المنظومة السبزواريّة ، ص ١٧٤ ، طبعة ناصري .

١- إن الأشياء ما لم تكن موجودة ، فلن يمكنها أن توجد أثراً أو فعلاً منها . (وعليه فحين يكون أصل وجود الإنسان وسائر الموجودات غيرياً ومختصاً ومربطاً بذات الحق تعالى ، فكيف يمكن أن لا يكون أثرها وفعالها غيرياً ، وأن لا يتعلق بذات الحضرة القيومية ؟) كما أن اختيارنا لا يمكن أن يكون مستنداً إلى اختيار الغير .

٢- وكيف تكون أفعالنا مفوضة إلينا ؟ أولم يكون ذلك تفويضاً لذاتنا ؟ وهو أمرٌ مسلمٌ بالطلان !

٣- ذلك لأن طينتنا قد خُمرت بملكاتنا ، وجلِّي أن ملكاتنا قد ظهرت فينا بواسطة تكرر الحركات والسكنات ، فإن كانت الحركات قد فُوضت إلينا ، فإن الملكات - التي هي نتيجة الأفعال - ستكون بالطبع والملازمة قد فُوضت إلينا هي الأخرى ، وستكون طينتنا - من ثم - قابلةً للتفويض ، وهو أمر خاطئ .

٤- فلا يظن أحد أن هذا الأمر مقتضى للجبر ، لأننا في مقام نقض التفويض .

ولإيضاح المطلب وبيان حقيقة الأمر نقول إن أفعالنا ووجوداتنا تنسب إلينا ، وتُنسب في الوقت نفسه إلى الله تعالى . وإن الفعل في عين كونه فعلنا ، فإنه كذلك فعل الحي القيوم تعالى .

إن الإنسان من بين أفراد الموجودات له القابلية والقوة لتحقيق الاسم الأعظم للحق ، لذا فهو يجلي ظهورات الحق تعالى أكثر من باقي الموجودات ، وخاصة الأنبياء العظام والأئمة الكرام ، وبالأخص الوجود المبارك لرسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ، فهو المصدق الأعلى والمرآة الأتم والأكمل لأسماء الله وصفاته الكلية ، حققها بجمعها في نفسه وأوصلها إلى الفعلية . يقول المرحوم الحكيم السبزواري قدس الله

سره في هذا الشأن :

وَكَمَا أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ التَّدْوِينِي ، كَذَلِكَ أُوتِيَ لُجُودِهِ الَّذِي هُوَ
رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ التَّكْوِينِي ، كَيْفَ لَا .

أنكه شد اول پديد ار جيب غيب بود نور پاك او بى هيچ ريب
بعد از آن آن نور مطلق زد عَلم گشت عرش وكرسى و لوح و قلم
يك عَلم از نور پاكش عالم است يك عَلم ذرّيت است و آدم است^١
أجل ، حين تتجلى هذه المعاني في الإنسان فإنه يصبح إنساناً كاملاً ،
أي أن جميع جهات قابليته ستصل إلى الفعلية ، فتصبح أرجاء مرآة
وجوده مظهرًا لله تعالى .

وما أجمل ما أنشد العارف الجامي :

تا بود باقى بقاءى وجود كى شود صاف از كدر جام شهود
تا بود پیوند جان و تن بجای كى شود مقصود كل برقع گشای
تا بود قالب غبار چشم جان كى توان دیدن رخ جانان عیان^٢
و على كل حال فإن كيفية تجلي ذات الحق ليس مختصاً بالملائكة
والأنبياء والأولياء والإنسان ، بل إن كل موجود يرتدي رداء الوجود أو
يُظهر من نفسه أثراً ، إنما يفعل ذلك إثر تجلي وظهور ذات الحق تعالى في

١- «غرر الفرائد» للسبزواري ، حاشية ص ١٧٨ .

يقول : «إنّ أول ظاهر من جيب الغيب هو بلا شكّ نوره الطاهر .

ثمّ ظهر بعده ذلك النور المطلق ، فصار العرش والكرسى واللوح والقلم .
العالم عَلم من نوره الطاهر ، و آدم وذريته عَلم آخر» .

٢- نقول : «متى يصفو كأس الشهود من الكدر مادامت ثمالة الوجود باقية .
وأئني يسفر قبلة الكل فيضع برقعته جانباً مادام اتصال الروح والبدن قائماً ؟!
وما دام البدن غبار عين الروح ، فمتى سيتمكن رؤية طلعة الحبيب عياناً ؟» .

ذلك الموجود .

وعلى سبيل المثال فأنا الآن مشغول في الحديث ، وهذا التحدث هو إذن الله تعالى في ، وإلا لما تحرّكت شفتي . فما الذي يعنيه الإذن ؟ أهو بمعنى أنّ الله قد قال لي : إني أُجيزك بالحديث . فأجبتُه بالقبول لفظاً ؟ كلا ، ليس هذا معنى الإذن ، وإلاّ فإننا نرى الكثيرين يعملون دون هذا الإذن اللفظي ، فيجب - إذاً - أن يكون عمل أولئك دون إذن الله تعالى . مع أننا نعلم أنّ ورقة لا تسقط من الشجرة دون إذنه سبحانه .

فمعنى الإذن هو أنّ الله قد خلقنا ومنّ علينا بالإدراكات ، وخلق أجزاء بدننا وأعضاءنا وجوارحنا ، وعين قوانا وقابلياتنا بحيث إنّ هذه الجهات والمعاني يمكنها في شرائط خاصّة أن تدرك المعاني الكلّية بإذن الله وتجليه وبقوّته وحوله ورحمته ، وأن تصبّ تلك المعاني - من ثم - في قالب الألفاظ ، فتلقّيها بصورة منتظمة مرتّبة . والله في كلّ حال مهيمن على جميع هذه الأمور ، تفيض هذه المعاني وهذه الألفاظ من معدن وجوده وعلمه على هذا الفكر ، فتسري إلى الخارج .

هذا هو معنى الإذن ، ولولا ذلك لما كان للشفة قدرة على الحركة ولو انقضى عليها ألف سنة ، فهي قد تحرّكت حين تحركت بإذن الله . فما الذي يعنيه ذلك ؟

أي أنّه ما لم تحصل جميع الأسباب والشروط التي قزّرها الله سبحانه وما لم تتعلّق إرادته تعالى بإيجاد موجود من هذه الأسباب والشرائط والمقدّمات ، لما حصل إذنه سبحانه .

افرضوا أنّنا نضع ساعة ونضع لها زجاجة وعجلة مستنّة ورقاصاً وعقرباً ولولباً ، ونراعي في صنعها جميع الجهات ، لكنّ هذه الساعة لا تتحرّك ، فلماذا يا ترى ؟ ذلك لأنّ أحد المسامير اللولبية لم يثبّت جيّداً

بعْدُ ، وَحِينَ يَتَوَقَّرُ ذَلِكَ الشَّرْطَ الْأَخِيرَ فَيُحْكَمُ بِرَمِ الْمَسْمَارِ اللَّوْلِبِيِّ فَإِنَّ السَّاعَةَ سَتَبْدَأُ بِالْعَمَلِ .

كَمَا أَنَّ جِهَازَ الْمَذِياعِ لَا يَعْمَلُ وَلَا يَنْقَلُ لَنَا خَبِراً ، وَذَلِكَ لِخِلَلِ فَنِّي فِيهِ ، فَهَنَّاكَ سَلَكُ مَقْطُوعٍ فِيهِ ، وَحِينَ يُعَادُ وَصْلُ ذَلِكَ السَّلَكِ ، فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَسْبَابِ وَالشَّرَائِطِ سَتُؤَثِّرُ مِنْ حَيْثُ الْمَجْمُوعِ فِي ذَلِكَ الْمَفْعُولِ ، فَيَحْصُلُ ذَلِكَ الْقَصْدُ وَالنَّتِيجَةُ .

هَذَا هُوَ إِذْنُ اللَّهِ ، أَيِ السَّنَةِ الْحَتْمِيَّةِ وَالنَّامُوسِ الَّذِي وَضَعَهُ بِحَيْثُ يَظْهَرُ الْأَثَرُ تَبَعاً ؛ وَهَذِهِ حَقِيقَةُ تَجَلَّى اللَّهِ وَظُهُورِهِ وَإِذْنُهُ . فَقَدْ كَانَتْ فِي هَذَا الْمَذِياعِ بِحَيْثُ إِنَّ الْأَسْبَابَ وَالشَّرَائِطَ يَجِبُ أَنْ تَنْظَمَ بِحَيْثُ تُبَدَّلُ الْمَوْجَةُ إِلَى صَوْتٍ ، فَيَمْنَحُنَا صَوْتاً مَسْمُوعاً مِنْ جَنْسِ الْمَلْفُوظِ .

فَهَذَا الصَّوْتُ - إِذَا - هُوَ صَوْتُ اللَّهِ . وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ بِصَوْتِ اللَّهِ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ فَمَنْحُنَا إِيَّاهُ فِي الْخَارِجِ ، بَلْ إِنَّ نَفْسَ هَذَا الصَّوْتِ هُوَ صَوْتُ اللَّهِ وَظُهُورُ اللَّهِ ، وَقَدْ ظَهَرَ بِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ وَبِهَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ فِي هَذِهِ الْآلَةِ .

لَقَدْ كَانَ مُوسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ يَسِيرُ فِي عَمْقِ الصَّحْرَاءِ . فِي ذَلِكَ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الْمَدْلَهَمِ ، وَفِي الْجَوِّ الْبَارِدِ الْقَارِسِ ، يَطْلُبُ نَاراً لَزَوْجَتِهِ الَّتِي جَاءَهَا الْمَخَاضُ وَانْتَابَتْهَا آلَامُ الطَّلُقِ ، وَحِيداً فَرِيداً لَا مَعِينَ لَهُ وَلَا نَاصِرَ ، بَلَا طَعَامَ وَلَا دَوَاءَ ، وَلَا مَاءَ وَلَا نَارَ ، يَسِيرُ حَائِراً هُنَا وَهَنَّاكَ ، قَدْ انْقَطَعَتْ عَنْهُ جَمِيعُ الْأَسْبَابِ ، فَحَصَلَتْ لَهُ حَالَةُ الْاضْطِرَارِ وَالْاِلْتِجَاءِ الْحَقِيقِيِّ لِذَا فَقَدْ تَجَلَّى نُورُ اللَّهِ فِي الشَّجَرَةِ ، فَصَدَرَ مِنْهَا نَدَاءٌ : يَٰمُوسَى إِنِّي أَنَا إِلَهُ .^١

١- وَرَدَتْ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ فِي كَلَامِ الشَّجَرَةِ بِـ «إِنِّي أَنَا إِلَهُ» فِي ثَلَاثِ سُورٍ :

يقول البعض : إنَّ الله قد خلق نوراً في تلك الشجرة وأوجد صوتاً :
إِنِّي أَنَا اللَّهُ . فماذا يعني ذلك ؟ أكان ذلك الصوت صوتاً مسموعاً
ملفوظاً ؟ أو أين أوجد ؟ إنَّ الشجرة لن يتحقق فيها إِنِّي أَنَا اللَّهُ بمجرد إيجاد
صوت فيها من : إِنِّي أَنَا اللَّهُ . فلمن - يا ترى - يعود الضمير في «إِنِّي» ؟
وكيف يمكن قبول هذا الكلام ؟

تقول الشجرة : إِنِّي أَنَا اللَّهُ . وصوت الله يأتي منها لا من شجرة
أخرى ، قد ستر نفسه خلف الستار وأوجد الكلام في الشجرة مجازاً . لقد
كانت هذه الشجرة تجلّي الله . أفكانت مأمورة لله أم لا ؟ أكانت مأذونة من
قبل الله أم لا ؟

إنَّ جميع وجود الشجرة ، ظاهرها وسرّها ، جذورها وأوراقها .
وجميع ذرات وجودها وقطرات الماء المتحرّك داخلها هو بأجمعه في قبضة
الله وفي قدرته وعلمه ، وكان ظهوراً لله وتجلّ له . كما أنَّ الله سبحانه حقّاً

﴿ الأولى : السورة : طه ، الآيات ٩ إلى ١٤ ؛ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ
لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا
نُودِيَ يَمُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ
فَأَسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّبِئْنَا أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي .

الثانية : السورة : النمل ، الآيات ٧ إلى ٩ : إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
سَاءَ مَا يَحْكُمُ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ
مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * يَمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .
والثالثة في السورة : القصص ، الآيات ٢٩ و ٣٠ :

فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا
إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا
نُودِيَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ .

وحقيقةً أقرب إلى هذه الشجرة من كل ذرة فيها ؛ الله أولاً ثم هذه الشجرة :
الله مع هذه الشجرة وقبل هذه الشجرة وبعدها . كل ذرة من هذه الشجرة
قائمة بالله أولاً ثم بنفسها ، بل قل إنها قائمة بالله أولاً وبالله آخرًا ، فهذه
الشجرة هي بنفسها آية لله ومُظْهِرَةٌ له ، فهي تُشير : إِنِّي أَنَا اللَّهُ .
وما أجمل قول الحكيم السبزواري :

شورش عشق تو در هیچ سری نیست که نیست
منظر روی تو زیب نظری نیست که نیست
چشم ما دیده خفاش بود ورنه ترا
پرتو حسن به دیوار و دری نیست که نیست
موسنی نیست که دعویّ أنا الحقّ شنود
ورنه این رمرمه در هر شحری نیست که نیست^١
وما أروع إنشاد العارف الشبستريّ :
روا باشد أنا الله از درختی
چرا نبود روا از نیکبختی^٢
کما استشهد السبزواريّ بهذين البيتين :

١- «لغت نامه دهخدا» مجلد حرف السين ، ص ٢٣٧ .

يقول : « ليس من رأسٍ إلّا وفيه فتنة عشقك ، وليس من نظرٍ إلّا وطلعتك زينته .
لقد كانت أعيننا أعين الخفاش ، وإلّا فلبس من جدار ولا باب إلّا وشعاع جمالك ساطع
عليه .

لبس هناك من موسى ليسمع نداء أنا الحقّ ، وإلّا فلبس من شجرة تحلو من هذه
الزمزمة والترنم ! » .

٢- «گلشن راز» :

يقول : «لقد صحّ من الشجرة أن تقول أنا الله ، فلم لا يصحّ ذلك ممّن حالفته
السعادة ؟» .

غافل از خویش خدا می طلبی ای غلط کرده کرامی طلبی
مخزن گنج معانی دل تست مقصد هر دو جهان حاصل تست^١
إنّ هنا في هذا المسجد حالياً آلاف الأمواج الصوتية قادمة من
أطراف الدنيا وأكنافها، إذ إنّ أجهزة البثّ منهمكة في البثّ. لكننا لا نسمع
أياً منها، وعلينا أن نجلب جهاز استلام وننظّم محوّله مع طول تلك الموجة
الخاصّة لتصبح مسموعة، فإن فعلنا ذلك سمعنا وإلا فلا.
ومن ثمّ فإنّنا لا نستطيع القول الآن بعدم وجود صوت في هذا
المسجد، فهناك صوت فعلاً إلا أنّنا لا نسمعه.

يقول الشاعر: ليس هناك من موسى لسمع نداء الحق، وإلاّ فإنّ هذا
النداء موجود في كلّ شجرة، بل في كلّ موجود. فليست في تلك الشجرة
خصوصيّة معيّنة، بل هي شجرة كسائر الأشجار؛ وجميع أشجار العالم هي
مركز تجلّي الله تعالى ومركز نور الحق وظهوره، وآيات لأسماء الله
وصفاته، غاية الأمر أنّ ذلك الذي يسمع يجب أن يكون موسى. وحين
يصبح الإنسان موسى فإنّه سيسمع ذلك الصوت، سواء من تلك الشجرة أم
من شجرة أخرى.

لقد تحقّقت في وجود موسى على نبيّنا وآله وعليه الصلاة والسلام،
بسبب الصفاء والطهارة والتزكية، شرائطُ تحقّق تجلّيات نور التوحيد،
فشاهد توحيد الحقّ تعالى.

فانظروا إلى ما يقوله القرآن وإلى ما يبيّنه رسولنا من منظر الوحي:

١- «المنظومة» حاشية ص ٣٠١؛ طبعة ناصري.

يقول: «أيّها الغافل عن نفسه أتطلب الله لقد أخطأت فمن الذي تطلبه؟
إنّ قلبك خزينة كنوز المعاني، وثمرتك وحاصلك غاية العالمين معاً».

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^١.
فليست تلك الشجرة لوحدها ، بل إن جميع الأشجار وجميع الأحجار
وجميع الأراضي هي بأجمعها لا إله إلا الله .
وما أجمل تلك التهليلات المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام ،
والتي تقرأ في العشرة الأولى من شهر ذي الحجة الحرام :

- ١- لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَدَدَ اللَّيَالِي وَالْدُّهُورِ .
 - ٢- لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَدَدَ أَمْوَاجِ الْبُحُورِ .
 - ٣- لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَرَحْمَتُهُ خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ .
 - ٣- لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَدَدَ الشُّوكِ وَالشَّجَرِ .
 - ٤- لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَدَدَ الشَّعْرِ وَالْوَبَرِ .
 - ٥- لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَدَدَ الْحَجَرِ وَالْمَدَرِ .
 - ٦- لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَدَدَ لَمَحِ الْعُيُونِ .
 - ٨- لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي اللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ .
 - ٩- لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَدَدَ الرِّيَّاحِ فِي الْبَرَارِيِّ وَالصَّخُورِ .
 - ١٠- لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمٍ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ^٢ .
- إن كل وردة تنمو ، وكل ذرة ، وكل حجر ، وكل حبة رمل تذروها
الرياح في الفضاء هي لا إله إلا الله وآية لذاته واسمه وصفته تعالى ، غاية

١- الآية ٣ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

٢- روى هذه التهليلات عن أمير المؤمنين عليه السلام ، السيد ابن طاووس في
«الإقبال» ص ٣٢٤ ، بسنده عن أبي جعفر بن بابويه ، عن كتاب ابن اشناس وغيره ، بأنها تقرأ
في العشرة الأولى لشهر ذي الحجة الحرام ، ونقل في فضلها ثواباً عجبياً . كما ذكرها المرحوم
المجلسي في «زاد المعاد» ص ١٩٧ و ١٩٨ ، عن الشيخ الطوسي وابن بابويه والسيد ابن
طاووس ، وأورد ثواب قراءتها مفصلاً .

الأمر أنها آية في حدود سعتها وقابليتها . فجميع العالم - إذاً - هو لا إله إلا الله ، وهو عالم الملك والملكوت . كما أن أول ذكرٍ نقوله هو لا إله إلا الله ؛ نقول عند الإسلام : لا إله إلا الله ، كما نقول عند الموت : لا إله إلا الله . إلا أن من المؤسف أن الإنسان لا يُدرك معنى هذا الذكر ، ولا يسعى إلى فهم تفسيره بالتأمل والعناية ، ولا يُجرّبه على لسانه . أمّا حين يموت فتُحمل جنازته فإنّهم سينادون على جنازته بنداء لا إله إلا الله .

أي : أيّها المسكين ! أفهمتَ الآن أن لا إله إلا الله ؟ أفهمتَ أن ليس غير الله من معبود ؟ وأن ليس سواه من مؤثّر ؟

مهما قيل لك في حياتك : لا إله إلا الله ، فإنّك لم تدرك ولم تفهم ولم تتخطّ الاستكبار والتشخص خارجاً . ولم تضع قدمك على جادة العبودية . نزوعاً^١ إلى الاستقلال والربوبية ! وها قد صار مسلماً لك وجلياً أن لا إله إلا الله .

إنّ من المستحبّ أن يسلم الإنسان إذا ورد المقبرة ، على من ؟ على أهل لا إله إلا الله ، على أولئك الذين صاروا من زمرة لا إله إلا الله ومن أهل التوحيد ، أولئك الذين أسلموا كلّ ما لديهم عند ظهور جلالة وعظمة الحضرة الأحديّة بقبض الروح ، والذين خرجوا من التفرعن وعبادة الشخصية ، وأقرّوا واعترفوا - طوعاً أو كرهاً - بوحدانية ذات الحقّ تعالى ، فرقدوا في هذه المقبرة سواسية لا تفاوت بينهم ، الرجل والمرأة ، الشيخ والشاب ، الصغير والكبير ، العالم والعامّي ، الغني والفقير ، الرئيس والمرؤوس ، صاحب الشهرة والخالل الذكر ؛ تصافوا جميعاً فلا خصام ولا حرب ، ولا استكبار ولا فخر ؛ رقدوا جميعاً في مصاف بعضهم ، قد ملأ فضاء المقبرة سكوت مطبق محض له دلالة على لا إله إلا الله .

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه : إذا وردت المقبرة فقل :

١- نزوعاً : اشتياقاً إلى الوطن الأصلي . (المنجد).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ أَهْلِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ يَا أَهْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! كَيْفَ وَجَدْتُمْ قَوْلَ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟
يَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! اغْفِرْ لِمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، عَلَيَّ وَلِيُّ
اللَّهِ .^١

يقول شيخ ذو ضمير مُضَاء لا يزال على قيد الحياة فعلاً : سنحت لي
حال طيبة حسنة في شهر رمضان ، فشاهدتُ في إحدى الليالي نور التوحيد
في جميع الموجودات ، فقد كان كل شيء لا إله إلا الله ؛ ثم رأيتُ في تلك
الحال قطرة تقفز من جدار إلى آخر ، فكانت القطرة لا إله إلا الله ، وكانت
قفزتها لا إله إلا الله .

وما أبدع ما أنشد العارف الرباني الفيض الكاشاني :

سكينة دل و جان لا إله إلا الله

نتيجة دو جهان لا إله إلا الله

ز شوق دوست به بانگ بلند می گویند

همه زمين و زمان لا إله إلا الله

تو گوش باش تا بشنوی ز هر ذره

چو آفتاب عیان لا إله إلا الله^٢

١- أورد المجلسي هذا الدعاء في «بحار الأنوار» ج ٢٢ ، ص ٣٠٢ .

٢- «ديوان فيض» تصحيح پيمان ، ص ٣٧٢ .

يقول : «سكينة القلب والروح لا إله إلا الله ؛ وثمره العالمين . لا إله إلا الله .
ينادي الأرض والزمان جميعاً نداءً عالياً من شوقهما للحبيب أن : لا إله إلا الله .
فكنْ أذنًا صاغيةً لتسمع من كل ذرة عياناً كالشمس : لا إله إلا الله» .

به گلستان گذری کن به برگ گل بنگر
 ز رنگ و بوی بخوان لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 به برّ و بحر گذر کن به خشک و تر بنگر
 شنو ز این و زان لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 بکن تو پنبه غفلت ز گوش پس بشنو
 ز نطق خُرد و کلان لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 سحر ز هاتف غیبم ندا به گوش آمد
 که اَيُّهَا الثَّقَلَانِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 به گفتن دل جان فیض اقتصار مکن
 بگو به نطق زبان لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ^۱

۱- يقول : «وإن مررتَ بالبستان فانظر إلى أوراق الورد واقراً من لونها وعبيرها : لا إله إلا الله .

واعبر البرّ والبحر ، وانظر الرطب واليابس ، واسمع من ذا وذاك : لا إله إلا الله .
 واترك تغافلک واستمع من نطق الصغير والكبير : لا إله إلا الله .
 طرق سمعي نداء هاتف الغيب سَحَرًا أن : اَيُّهَا الثَّقَلَانِ ، لا إله إلا الله .
 فيا فيض لا تقتصر على نطق القلب والروح وقل بلسانك : لا إله إلا الله .
 فيض : اسم الشاعر ، وهو الفيض القاساني .

الْمَجْلِسُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ

مَطُولُ أَمْطَارِ الْحَيَاةِ لِإِخْيَاءِ الْمَوْتَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
 وصلى الله على محمد وآله الطاهرين
 ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :
 نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ
 أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ .^١

يروى الشيخ الصدوق في كتابه «الأمالى» عن أحمد بن زياد الهمداني
 رحمة الله عليه ، قال : حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن
 محمد بن أبي عمير ، عن جميل بن دراج ، عن الإمام جعفر الصادق عليه
 السلام ، قال : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ الْخَلْقَ أَمْطَرَ السَّمَاءَ عَلَى الْأَرْضِ
 أَرْبَعِينَ صَبَاحًا فَاجْتَمَعَتِ الْأَوْصَالُ وَبَتَّتِ اللَّحُومُ .^٢

وينقل المجلسي هذه الرواية في «بحار الأنوار» عن تفسير علي بن
 إبراهيم ، وفي تتمتها يقول الإمام الصادق عليه السلام :
 أتى جبرائيل رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذه فأخرجه إلى
 البقيع فأنتهى به إلى قبر فصوت بصاحبه فقال : قُمْ يَا ذَنِي اللَّهِ !

١- الآيتان ٦٠ و ٦١ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٢- «أمالى الصدوق» ، ص ١٠٧ .

فخرج منه رجل أبيض الرأس واللحية يمسح التراب عن وجهه وهو يقول : الْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ . فقال جبرائيل : عُدْ بِإِذْنِ اللَّهِ . ثم انتهى به إلى قبر آخر فقال : قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ! فخرج منه رجل مسود الوجه وهو يقول : يَا حَسْرَتَاهُ ! يَا ثُبُورَاهُ ! ثم قال له جبرائيل : عُدْ إِلَى مَا كُنْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ . فقال : يَا مُحَمَّد ! هَكَذَا يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالْمُؤْمِنُونَ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ ، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ مَا تَرَى ؟^١

وتشعر بعض آيات القرآن بأن الله تعالى حين يريد إحياء الموتى فإنه يُرْسِلُ الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ فَيَكْتَسِبُ الْمَوْتَى بِذَلِكَ حَيَاةً جَدِيدَةً :
وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ.^٢

وبالطبع فليس معنى هذه الآية الشريفة والحديثين السابقين أن المطر الذي يهطل من السماء فيبعث الموتى بسببه هو هذا المطر الذي نشاهده ، والذي تخضر الأرض بواسطته وتزهو ، بل إنه من باب التمثيل . أي كما أن هذا المطر يهطل من السماء فيحيي الأرض التي لو رآها في همودها وذبولها وبرودتها، من لم يسبق له علم بطراوة الأشجار وتساقط الشلالات واخضرار البساتين وينعها ، لما صدق ولما تصوّر أنها ستحيى من جديد ، وأن هذه الأشجار القديمة التي بدت كقطع الحطب المقطع الملقى في

١- «بحار الأنوار» ج ٧ ، ص ٣٩ ، الطبعة الحروفية .

٢- الآيات ٥ إلى ٧ ، من السورة ٢٢ : الحج .

الصحراء ، عارية بلا أثر ولا خاصية ، ستخضر من جديد وتقدم لأفراد البشر عالماً من البهجة والأثر والحركة والخاصية . لكننا نرى أنّ الله يُرسل المطر من السماء فيوجب الحياة وينفخ روحاً جديدة في شرايين الأرض . فكَذَلِكَ هُنَاكَ مَطَرٌ يَسْتَبِيعُ الْمَوْتَى ، هَذَا فِي مَجَالِهِ وَذَاكَ فِي مَجَالِهِ .

ولقد جعل الخالق العظيم الشأن هذا الأثر في هذا المطر فصار يُحيي الأرض ، كما جعل الله رفيع الدرجات ذلك الأثر في ذلك المطر فصار يمنح الحياة للموتى ، وحين يصل إلى عظامهم وأعضائهم وأوصالهم المختلطة ببعضها ، فإنه سيحييها جميعاً فيدفع بها في عالم الحياة الجديدة .

هناك في هذا المطر ذلك الاسم للخالق الذي يؤثر بواسطته في حياة الأرض الميتة : مُحْيِي الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا ؛ كما أنه في ذلك المطر اسماً آخر لله تعالى تُبعث بواسطته أبدان الموتى وأجسادهم المبددة المشتتة فتبدأ حياتها من جديد ، وهو اسم : مُحْيِي الْأَمْوَاتِ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَبِاعِثُ الْمَوْتَى بَعْدَ أَنْ كَانُوا فِي الْقُبُورِ .

ذلك المطر نوع من إفاضة الرحمة من جانب الله تعالى ، وله تأثير وميزة نتيجتها جمع ذرات أجساد الناس ووصل العظام وإكساؤها لحماً ، وإحيائها لتحضر في المحشر . وهذا العمل كمثل خلق سائر الموجودات ونشأة باقي الممكنات ، فليس بينهما أي اختلاف أو تفاوت ، ولا يجب أن يُنظر إليه كعمل عجيب مُدهش .

وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَعِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^١

١- الآية ٥ ، من السورة ١٣ : الرعد .

قال الشيخ الطبرسي في تفسير «مجمع البيان» في تفسير هذه الآيات :
(وَإِنْ تَعَجَّبَ) يا محمد من قول هؤلاء الكفار في إنكارهم البعث مع إقرارهم بابتداء خلق الخلق ، فقد وضعت التعجب موضعه ، لأنّ هذا قول عجب ومعناه عجب للمخلوقين ، فإنّ معنى العجب في صفات الله لا يجوز ، لأنّ العجب أن يشتبه عليه سرّ أمره فيستطرفه (فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ) أي فقولهم عجب (أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) أي أنبعث ونُعَاد بعدما صرنا تراباً ، هذا ممّا لا يمكن ! وهذا منهم ، فإنّ الماء إذا حصل في الرحم استحال علقه ثم مضغه ثم لحماً ، فإذا مات ودُفن استحال تراباً ؛ فإذا جاز أن يتعلّق الإنشاء بالاستحالة الأولى ، فلم لا يجوز تعلّقه بالاستحالة الثانية ؟ وسمّى الله تعالى الإعادة خلقاً جديداً . واختلف المتكلّمون فيما يصحّ عليه الإعادة ، فقال بعضهم : كلّ ما يكون مقدوراً للتقديم سبحانه خاصّةً ويصحّ عليه البقاء يصحّ عليه الإعادة ، ولا يصحّ الإعادة على ما لا يقدر على جنسه غيره تعالى . وهذا قول أبي عليّ الجبائي .

وقال آخرون : كلّما كان مقدوراً له وهو ممّا يبقى يصحّ عليه الإعادة ؛ وهو قول أبي هاشم ومن تابعه ، فعلى هذا يصحّ إعادة أجزاء الحياة .

ثم اختلفوا فيما يجب إعادته من الحيّ ، فقال أبو القسم البلخي : يعاد جميع أجزاء الشخص . وقال أبو هاشم (الجبائي) : يعاد الأجزاء التي تسميّز الحيّ من غيره ويعاد التأليف ثم رجع عن ذلك وقال : تعاد الحياة مع البنية . وقال القاضي أبو الحسن : تعاد البنية وما عدا ذلك يجوز فيه التبديل . ثم قال المرحوم الطبرسي رحمه الله عليه : وهذا هو الأصحّ^١ .

١- «مجمع البيان» ج ٣ ، ص ٢٧٧ و ٢٧٨ ، الطبعة ذات المجلّدات الخمسة ، مطبعة

وروى أحمد بن محمد أبو عبد الله البرقي في كتاب «المحاسن» عن
أبان ، عن عبد الرحمن بن سنيابة ، عن أبي نعمان ، عن أبي جعفر (الباقر)
عليه السلام قال :

الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِلشَّأْنِ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ ، وَهُوَ يَرَى خُلُقَ اللَّهِ .
وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِلْمُكَذَّبِ بِالنَّشْأَةِ الْآخَرَى ، وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ
الْأُولَى .

وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِلْمُصَدِّقِ بِدَارِ الْخُلُودِ ، وَهُوَ يَعْمَلُ لِدَارِ
الْغُرُورِ .

وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِلْمُخْتَالِ الْفَخُورِ الَّذِي خُلِقَ مِنْ نُطْقَةٍ ، ثُمَّ
يَصِيرُ جِيفَةً ؛ وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَا يَدْرِي كَيْفَ يَصْنَعُ !^١

كما أنه يروي نظير هذه الرواية باختلاف يسير في اللفظ عن علي بن
الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن الإمام السجاد عليه
السلام بزيادة فقرة أخرى ، وهي قوله عليه السلام :

وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمَوْتَ وَهُوَ يَرَى مَنْ يَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ
وَلَيْلَةٍ !^٢

نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ؛ وَسِيدِرْكُمْ هَذَا
الْمَوْتَ ، لِأَنَّهُ يَسْتَتِيعُ كَمَا لَكُمْ . عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ ؛ إِذْ يَجِبُ أَنْ نُبَدِّلَكُمْ
وَنُغَيِّرَكُمْ ، فَلَا نَبْقِيَكُمْ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ ، بَلْ نَأْخُذْكُمْ مِنْ صَفِّ دِرَاسِي إِلَى
آخِرِ ، وَالْمَوْتُ هُوَ عُبُورُكُمْ وَسَبَبُ تَكَامُلِكُمْ . وَلَوْ شِئْنَا إِبْقَاءَكُمْ فِي الدُّنْيَا
دَوَماً ، لَأَوْجَبَ ذَلِكَ فَسَادَكُمْ وَلَبِثْتُمْ عَلَى تَوَقُّفِكُمْ وَاضْمَحْلَالِكُمْ . فَنَحْنُ

☞ العرفان - صيدا .

١ و ٢ - «محاسن البرقي» ج ١ ، ص ٢٤٢ .

- إذاً - نبذلكم ونبدل الرداء الذي ترتدونه ونسوقكم للأمام حتى نوصلكم إلى حيث : **وَنُنْشِئُكُمْ فِيهَا لَا تَعْلَمُونَ** ؛ إلى حيث لا تعلمون أصلاً ما الذي سيحدث ، ونبدلكم في تلك الخلقة . وهنا أسرار جمّة ، إلا أنّ الإنسان الغافل يتخيل أنّ الموت يعني الفناء والانعدام ، لأنّه يتصوّر أنّ وجوده ليس إلاّ هذا البدن ، وأنّ جميع مراتب وجوده منحصرة في البدن ، هذا البدن الذي يُدفن تحت الأرض فيصبح رميماً ، فليس هناك - إذاً - من خبر ! لكن الأمر ليس كذلك ، إذ إنّ الإنسان يعود إلى الله تعالى ، ومعه يحصل بجميع أرجاء وجوده ، فهو يعود بروحه ويعود ببدنه أيضاً .

ومن ثمّ ، وكما أنّ روح الإنسان تعود إلى الله سبحانه ، فإنّ بدنه يعود هو الآخر ، ويجب ألاّ يعجب الإنسان من كيفة إحياء الله الموتى ، فهذا الأمر - كما ذكرنا سابقاً - ناشئ من التوهّم الباطل . ويتلخص إشكال الطبيعيتين من الزمان السابق إلى يومنا هذا في جملة واحدة وهي مجزّد الاستبعاد . **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ^١**

لقد ذهب ذلك الأعرابي وسط المقبرة ، فتناول عظماً بالياً وجاء به عند رسول الله ، ثمّ فته بيده ونثره على الأرض أمام رسول الله وقال :

يا محمّد ! أتزعم أنّ الله يبعث هذا ؟!

لكنّ هذا الرجل المسكين نسي **خَلْقَهُ** . هذا الإنسان الذي يهزأ بنا ، فيُلقي برميم العظام على الأرض ويعجب من تقدير قدرتنا ، أن كيف في قدرتنا مثل هذه القوّة التي يمكننا بها إحياء ذلك العظم ، لكنّه نسي نفسه . من أيّ شيء كان ؟ وأيّ مراحل طواهاحتّى صار إنساناً ؟ وما كانت

١- الأيتان ٧٨ و ٧٩ ، من السورة ٣٦ : يس .

خلقته الأولى ؟ لو أنه نظر في خلقته الأولى لغرق في الحيرة والتفكير ولما سمح له وجدانه أن يفعل ما فعل .
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ .

فقل أيها النبي إن الذي يُحيي هذه العظام هو الذي أوجدها في الوهلة الأولى ، ذلك القادر المتعال الذي جاء بهذه العظام من العدم إلى الوجود ، وخلع عليها رداء الوجود ، ذلك الله هو الذي يُحييها ثانياً . لماذا ؟ لأنه :
وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ .

فليس علم الله محدوداً بحد معين ، وليس منبعثاً من سبب خاص ، بحيث إننا لو منعنا ذلك السبب لما كان هناك من سبيل لعلم الله وقدرته بعد .
الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقِدُونَ .^١
 فما العلاقة بين الماء والاختضار مع النار ؟ ما علة اخضرار الأشجار ؟
 الماء هو العلة ، فإن لم يصلها الماء جفت ويبست ، ومع ذلك فإننا نرى أن
 هذه الشجرة الخضراء هي مصدر النار .

أو أن نقول إن بعض الأشجار تعمل كالشرارة وكمثل حجر الزناد ، بحيث تبعث النار حين تُقَدَح ببعضها . وهناك شجرتان تُدْعيان بـ (المرخ والعفار) من خصائصهما إيجاد النار حين تُقَدَح أوراقها ببعضها كمثل حجر الزناد . لذا فإن وجود هذه الأشجار في الغابة من دواعي خطر الحريق ؛ إذ بمجرد هبوب الريح فإن أوراقها تحتك ببعضها فتسبب انقذاح النار كما يفعل الزناد . ولأن هذه الأشجار تشتعل فإنها تسبب احتراق جميع الغابة التي تجاوزها .

ذلكم الله الذي خلق لكم من الشجر الأخضر نارا ، فإذا أنتم منه

١- الآية ٨٠ ، من السورة ٣٦ : يس .

تُوقِدُونَ. لقد كانت البيوت تخلو في السابق من النفط والبنزين والكبريت فكانوا يستفيدون من حجر الزناد للحصول على النار ، فيقدحون قطعتين منه ببعضهما فتنبعث شرارة يشعلون بها فتيلة ، ثم يشعلون بالفتيلة ما يشاؤون ، ويشعلون الحطب فيطبخون الطعام . أو أنهم كانوا يأخذون خشب المرخ والعفار إلى بيوتهم ، فإن شاؤوا إشعال نار قدحوا قطعيتين من ذلك الخشب ببعضهما ، فيشتعل كالكبريت فإذا أنتم منه تُوقِدُونَ .
أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ^١.

تأملوا كم يكون الإنسان بعيداً عن الإنصاف ، حين يرى خلق السماوات والأرض ، وهذه الصناعات البديعة ، وهذه الحركات والدورات ، وهذه التغيرات والتبدلات ، وهذا النظام العجيب المحير المدهش ولا يعجب ، ثم يعجب لمجرد إحياء الموتى فيُنكر قدرة الله تعالى !

يقول الله تعالى على الفور وبلا فصل : بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ؛ إِنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِقَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَ الْإِنْسَانِ . بلى هو قادر أن يخلق ؛ فليس هو خالقاً فقط ، بل وخلاقاً أيضاً ، أي أستاذ الخلقة والتمكّن المهيمن في الخلق والقدرة دون حصر ولا حد ولا قياس . قدرته في الخلق عجيبة ، وعمله محير مدهش كذلك ، وكلاهما دون حد ولا نهاية .
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^٢.

فهو ليس محتاجاً إلى زمان ومكان وقوة واستعداد ومادة وتدرّج

١- الآية ٨١ ، من السورة ٣٦ : يس .

٢- الآية ٨٢ ، من السورة ٣٦ : يس .

وإعداد وشرط وغير ذلك .

إن خلق الطفل في بطن الأم يستغرق تسعة أشهر ، وذلك لأن إرادة الله تعلقت بأن يتحقق ذلك الأمر « كُنْ » بهذه الكيفية . أي بأن يقول للنطفة أولاً : كن ! ثم يقول : كن ! ثم يقول : كن ! وهكذا يصدر من ذاته المقدسة أوامر متعددة كل لحظة ، فتحصل إثر تلك الأوامر تغييرات في تلك النطفة ، حتى يستغرق الأمر تسعة أشهر .

على أن الله تعالى يمكنه أن يخلق البشر بلفظ « كن » واحد ؛ أفلم تُخلق ناقة النبي صالح بكلمة « كن » واحدة ؟ أو لم يتمخض الجبل عن الناقة ؟ أجل ؟ لقد انفتحت بطن الجبل فخرجت منها ناقة كاملة تامة .

أو لم يُخلق النبي عيسى على نبتنا وآله وعليه السلام بكلمة « كن » واحدة دون أن يكون له أب ؟ أو لم يُخلق آدم أبو البشر وحواء أم البشر بكلمة « كن » واحدة ؟

وإجمالاً ، فإن أمر الله ليس زمانياً ، بل هو زمني حسب نظرنا نحن الواقعين في دائرة حركة التدرج والزمان ، أما تبعاً للواقع في ذلك العالم الربوبي ، فليس هناك من معنى للزمان ، وكلمة « كن » هي نفسها كلمة « يكون » ، أي عين التحقق الخارجي ، وعين عالم التكوين ، ونفس المشيئة العينية والخارجية للخالق لا منفصلة عنها .

فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَهُ كُلَّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ^١
وَالَّذِي قَالَ لِّلْوَلَدِيهِ أَفِ لَكُمْ أَنِّي أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ
مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفْهِمَانِ اللَّهَ وَبَلَكَ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا
إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فَمِنْ أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ

١- الآية ٨٣ ، من السورة ٣٦ : يس .

مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ^١
 قيل إن الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر ، قال له أبواه ليُسلم
 وألحّا عليه ، فقال : أحيوا لي عبد الله بن جدعان ومشايخ قريش حتى
 أسألهم عمّا تقولون ، عن ابن عباس وأبي العالية والسديّ ومجاهد .
 وقيل الآية عامّة في كلّ كافر عاقّ لوالديه ، عن الحسن وقتادة
 والزجاج ، قالوا : ويدلّ عليه أنّه قال عقيبتها أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ
 فِي أُمَمٍ^٢ .

وقال العلامة الطباطبائيّ مدّ ظله الساميّ في البحث الروائيّ :
 وفي «الدرّ المنثور» أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن عبد الله
 قال : إنني لفي المسجد حين خطب مروان فقال : إن الله قد أرى
 أمير المؤمنين (معاوية) في يزيد رأياً حسناً ، وإن يستخلفه فقد استخلف
 أبو بكر وعمر . فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : أهرقليّة ؟ إنّ أبا بكر والله
 ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته ، ولا جعلها معاوية إلّا
 رحمة وكرامة لولده .

فقال مروان : ألسنّ الذي قال لوالديه أفّ لكّما ؟
 فقال عبد الرحمن : ألسنّ ابن اللعين الذي لعن أباك رسول الله
 صلّى الله عليه وآله وسلّم ؟
 قال : وسمعتها عائشة فقالت : يا مروان ! أنت القائل لعبد الرحمن كذا
 وكذا ؟ كذبت والله ما فيه نزلت . نزلت في فلان بن فلان .
 وفيه (أيّ في «الدرّ المنثور») أخرج ابن جرير عن ابن عباس في الَّذِي

١- الآيتان ١٧ و ١٨ ، من السورة ٤٦ : الأحقاف .

٢- «مجمع البيان» ج ٥ ، ص ٨٧ ، طبعة صيدا .

قَالَ لَوْلَدَيْهِ أَفٍّ لَكُمْمَا - الآية - قال : هذا ابنٌ لأبي بكر .

ثم يقول العلامة الطباطبائي : وروي ذلك أيضاً عن قتادة والسدي . وقصة رواية مروان وتكذيب عائشة له مشهورة . قال في «روح المعاني» بعد ردّ رواية مروان : ووافق بعضهم كالسهيلي في «الأعلام» مروان في زعم نزولها في عبد الرحمن ، وعلى تسليم ذلك لا معنى للتعيير ، لا سيما من مروان ، فإنّ الرجل أسلم وكان من أفاضل الصحابة وأبطالهم ، وكان له في الإسلام عناء يوم اليمامة وغيره ، وَالْإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ ، فالكافر إذا أسلم لا ينبغي أن يعتبر بما كان يقول انتهى - كلام «روح المعاني» -

وقد أشكل العلامة الطباطبائي على هذا القول بقوله :

وفيه أنّ الروايات لو صحّت ، لم يكن مناص عن صريح شهادة الآية عليه بقوله : أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ - إلى قوله - إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ، ولم ينفع شيء ممّا دافع عنه به .^١

وقد أنكر البعض المعاد فقالوا : ليس لنا من معاد .

مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ.^٢

ليس هناك إلّا الأكل والشرب والنوم وإطفاء الشهوة ، وليس هناك إلّا المعيشة الحيوانية البهيمية ، ثم يموت الإنسان بعدها فيهلكه الدهر ، فليس من سرّ ولا حقيقة وراء ذلك .

ويقول الله سبحانه : إِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ .

ويقول البعض : إنّ لنا معاداً ، لكنّه معاد روحاني لا جسماني . فليإنسان عقل ونفس هما من المجردات ، وإنّ هذه النفس المجردة تتحرّك

١- «تفسير الميزان» ، ج ١٨ ، ص ٢٢٥ و ٢٢٦ .

٢- النصف الأوّل من الآية ٢٤ ، من السورة ٤٥ : الجاثية .

إلى مبدئها ، كما يُدفن البدن تحت الأرض فيتخذ لنفسه صوراً متبدّله ومتغيرة في القبر ، ومن ثمّ فإنّ المعاد روحانيّ فقط .

ويقول البعض : إنّ المعاد جسمانيّ فقط وليس روحانيّاً أبداً ، فما يعود إلى الله تعالى هو البدن واللذات البدنيّة ، كالأكل وإطفاء الشهوة والتفريج وأمثال ذلك . أمّا تلك الكمالات العقلانيّة والفناء في أسماء الحيّ القيوم ذي الجلال وصفاته وذاته فقد أنكروها ، كما تجاهلوا تلك الأرزاق والأغذية العقليّة المختصة بالروح ، والتي تفوق وتفضل هذه الأغذية الجسميّة بمئات الآلاف من المرات .

كما يقول البعض الآخر : إنّنا نمتلك كلا المعادين ، فالروح لها معاد ، والبدن له معاد .

يقول المرحوم الفيلسوف الشهير الحاج الملا هادي السبزواري رضوان الله عليه :

مَنْ قَصَرَ الْمَعَادَ فِي الرُّوحَانِيّ قَصَرَ كَالْحَاصِرِ فِي الْجِسْمَانِيّ
وَجَامِعٌ بَيْنَهُمَا جَا فَائِزًا وَقَصَبَاتِ السَّبْقِ كَانَ حَائِزًا

والدليل الذي أقامته تلك الطائفة من الفلاسفة والحكماء على أنّ المعاد روحانيّ فقط لا جسمانيّ هو أنّ حقيقة الإنسان بالعقل وبالنفس ، وهما مجرّدان . وحين جمع الله تبارك وتعالى بين النفس والعقل من جهة والبدن من جهة أخرى ، فإنّهما اجتماعاً سوياً وتصافياً وتآلفاً مثل روح الإنسان وبدنه ، فهبطت الروح وحلّت في قالب البدن ، أشبه بطائر الورقاء ذات التعرّز والتمنّع .

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ وَرَقَاءُ ذَاتِ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعٍ

١- «المنظومة السبزواريّة» بحث المعاد ، ص ٣٣٥ ، طبعة ناصري .

ولقد هبط طائر القدس الساكن في السدرة ، المتعالي الدرجات . رفيع المنزلة . من المحلّ الأرفع إلى البدن ، فحلّ في قالب البدن وعاش فيه مدة ، ثم إن عليه التحليق والعودة إلى محلّه الأول ، إذ سيُفتح له باب القفص فيطير ذلك الطائر ويرحل ، ويسقط القفص جنب المنزل .

لقد أرسل الله الروح إلى البدن لتسعى إلى كمالاتها بواسطة هذا البدن المستخر لها ، وبعد الحصول على الكمالات فإنّ الافتراق يحلّ بينها وبين البدن ، فتعود الروح إلى محلّها ، ويحلّ بدن الإنسان في أعماق التراب الذي كان أصله منه ، فيتبدّل تدريجياً إلى التراب . أمّا الروح فإنّ محلّها - باعتبارها مجرّدة وملكوّتيّة - سيكون عالم التجرد والملكوت . فما يمكن تصوّره من المعاد ، أي الرجوع والعودة إلى الله ، هو معاد الروح لا معاد البدن .

كان هذا هو حصيلة استدلالهم ، وقد أوردوا دليلاً على عدم معاد الجسم بأنّ الروح مجرّدة ، وأنّ غذاءها الأغذية العقلانيّة التي تتناولها عند ربّها . وبأنّ البدن يتبدّل تحت الأرض إلى صورة أخرى ، وليس لدينا شيء آخر غير الروح والبدن .

ولو قيل لهم إنّ الإنسان يمتلك قوّة خيال وعالم مثال ، لأجابوا بأنّ قوّة الخيال والمثال هي نفس إحساسات الإنسان وعواطفه ؛ فالذهن يلتذّ بالتفرّج على الصور الجميلة ، كما يصيبه الأذى والألم من مواجهة المزعجات ، وهي أمور قائمة بأجمعها بالبدن ، فإن كان البدن موجوداً ، وُجدت هذه الصورة والخيال ، أمّا لو انعدم فأين ستكون الصورة والمثال يا ترى ؟

ومن باب المثال ، فإذا ما شاء الإنسان أن يرسم صورة على الجدار ، فإنّ هذا مبتنٍ على كون الجدار حجريّاً صلباً ليرسم عليه الصورة ؛ بيّد أنّ

الإنسان لا يمكنه أن يرسم صورةً على الهواء ، ولا على الماء .
وهكذا فإن وُجد البدن ، وُجدت فيه القوى المتخيلة والمفكرة
والإحساسات والعواطف وغيرها ، وإن زال البدن زالت تبعاً له قوة الخيال
والحس المشترك . وحين يزول البدن فإننا لن نستطيع بعد أن نتصور عالماً
يقف على قدميه يلتذ بتلك الصور المبهجة ، أو يتأذى ويتعذب من تلك
الصور القبيحة المنكرة .

ومجمل الأمر أن كيفية استدلالهم كانت بأن جهنم والجنة قائمتان
بواسطة تصورات الذهن ، والذهن متوقف على وجود البدن وقائم به ، فإن
انعدم البدن انعدم الذهن .

وأجاب البعض بأن الله تعالى حين يُزيل البدن ، فإن من الممكن أن
يخلق بدنًا آخر فتقوم به تلك الصور والإحساسات . كما أجاب بعض
المتكلمين بأن الله تعالى يُعيد نفس البدن الذي أعدمه مع جميع تلك
الشرائط ، وليس هذا بأمر ذي بال بالنسبة لله تعالى ؛ كما أجابوا بإجابات
أخرى جميعها مخدوشة ولا يمكن قبولها .

والإجابة الصحيحة هي أولاً : أن نفس الإنسان بالرغم من أنها تذهب
إلى عالمها تلقائياً فتبتهج هناك وتُسّر ، إلا أن النفس تمتلك بذاتها سمعاً
وبصراً وإدراكاً . أي علاوة على القوة المتخيلة التي هي آلة مسخرة
للنفس ، وعلى القوى الذهنية التي هي آلة رقيتها وتكاملها ، فإن النفس
بصيرة في ذاتها وعليمة وممثلة لسائر صفات الكمال .

وعليه فإن النفس حين تذهب إلى عالمها ، فإنها ستكون مبهجة
ومسرورة ومتمتعة بتلك اللذات بواسطة هذه القوى المعنوية في ذاتها ،
وهذا غير تمتعها باللذات العقلانية المختصة بعالم الفناء .

وثانياً : فإن نفس قوة الخيال وعالم المثال مجردة أصولاً ، وأن قولهم

بأنّ البدن يجب أن يوجد حتماً لتقوم به قوّة خيال الإنسان وتصوّراته ، لا يعدو كونه كلاماً خاطيئاً . فقد ثبت بالأدلة والبراهين الفلسفيّة أنّ قوّة الخيال مجرّدة ، وأنّ الإنسان يستطيع إثّر التكامل والترقي أن يخلع خياله من البدن ، وأنّ الإنسان موجود بالوجود الروحانيّ في عالم المثال والصورة الذي ينعلم فيه البدن . كما أنّ القوى المتخيّلة والمفكّرة ليست مجرّدة لوحدها . بل إنّ الحس المشترك والقوّة الحافظة وسائر قوى الإنسان النفسانيّة مجرّدة بأجمعها .

وتبعاً لأدلة تجرّد قوّة الخيال هذه ، فقد أثبتوا عالم المثال ، وهو ذلك العالم المائل بين عالم الدنيا وعالم القيامة . فعالم الدنيا عالم المادّة ، في حين أنّ عالم القيامة عالم المعنى والتجرّد المحض . أمّا عالم المثال فبين هذين العالمين ، فليس بمادّة لها ثقل ، ولا بمعنىّ صرف ليكون خارجاً عن الصورة والتشكّل ، واللذات والآلام الصوريّة .

وهكذا فإنّ عالم المثال ، هو عالمٌ بنفسه قائمٌ بذاته ، يقع بين هذا العالم وذلك العالم . إذ إنّ هناك عالم الصورة حيث لا مادّة ، إلّا أنّ آثار المادّة موجودة . هناك اللذّة وهناك العذاب والألم ، والبكاء والضحك ، والحرارة والبرودة ، والكميّة والكيفيّة .

وفي هذه الحال التي تكون فيها قوّة الخيال بسيطة ومجرّدة ، فإنّ الإنسان حين يكون حيّاً فإنّه سيكون حيّاً بالبدن ، أمّا حين يموت فيترك البدن ، فإنّ قوّة الخيال هذه لن تموت ، بل هي موجودة في عالمها وفي واقعيتها وكيونيتها . فإن قبلنا بهذا المطلب فإنّ المسألة ستكون قد حلّت .

افرضوا أنّ البدن قد تلاشى ، لكنّ قوّة الخيال موجودة في نهاية الأمر ، موجودة تماماً بهذه اللذات والآلام التي هي محمول لقوّة الخيال . وبناء على ذلك ، فإنّ الإنسان موجود في عالم المثال بمجرّد موته ؛

يعيش دوماً ويبتهج بالصور الملائمة للنفس ، ويتعذب بالصور المُنكرة الكريهة التي تشقُّ على النفس . والخلاصة فإنَّ لنا مطلباً دقيقاً في المعاد الجسمانيّ مُبتنٍ على مقدّمات متينة ، سيأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وكان الشيخ الرئيس ابن سينا لا يقول بعالم البرزخ ، وكان يستدلُّ بأنَّ عالم البرزخ المجزّد لا معنى له ، وأنَّ لدينا عالمين لا أكثر ، أحدهما عالم الطبع والمادّة ، والآخر عالم المعنى المجزّد .

وبالرغم من أنّه يُستفاد من بعض استدلالاته في «الشفاء» أنّه عدّ عالم الخيال مجزّداً ، وأننا إذا ما عددنا عالم الخيال مجزّداً ، فإنَّ علينا أن نقول بعالم البرزخ حتماً ، لا مفرّ لنا من ذلك ولا حيلة .

إلا أنّه علاوة على عدم تصريحه بوجود عالم البرزخ ، فإنّه كذلك قد صرح بعدمه ، ومن ثمَّ فإنَّ إشكالاً سيُعرضه في أمر المعاد الجسمانيّ ،^١ فهذه القوى والصور التي اكتسبها الإنسان لنفسه من الكمالات ، أو التي اكتسبها من الأعمال القبيحة ، يقع عالم صورتها في العذاب ، وهو أمر يجب وقوعه حتماً حين يكون البدن موجوداً ، لأنَّ الصورة قائمة بالبدن وعديمة التجزّد . أمّا حين يفنى البدن فإنَّ الصورة ستفنى تبعاً له ، وستذهب النفس المجزّدة فقط إلى عالمها وإلى موطنها ومحلّها ، فتغرق هناك في الملذّات العقلانيّة ، أو تبقى في العذاب لفقدان الكمالات العقلانيّة . لذا فليس هناك بعدُ من تصوّر للمعاد الجسمانيّ . ولذلك فإنّه يصريح في «الشفاء» بأننا لا نمتلك دليلاً عقليّاً على المعاد الجسمانيّ ، ولا يمكننا إقامة الدليل عليه بالبرهان ، إلا أنّه مسلم شرعاً لإخبار الرسول الصادق المصدّق به .

يقول في «الشفاء» :

١- آخر إلهيات «الشفاء» أوّل فصل المعاد .

يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْمَعَادَ مِنْهُ مَا هُوَ مَنْقُولٌ فِي الشَّرْعِ ، وَلَا سَبِيلَ لِإثباتِهِ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ ؛ وَتَصْدِيقِ خَيْرِ النَّبِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي لِلْبَدَنِ عِنْدَ الْبَعْثِ وَخَيْرَاتِ الْبَدَنِ وَسُرُورِهِ ، مَعْلُومَةٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَعْلَمٍ .
وَقَدْ بَسَطَتِ الشَّرِيعَةُ الْحَقَّةَ الَّتِي أَتَانَا بِهَا نَبِيُّنَا وَسَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَالِ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ الَّتِي بِحَسَبِ الْبَدَنِ .
وَمِنْهُ مَا هُوَ مُدْرِكٌ بِالْعَقْلِ وَالْقِيَاسِ الْبُرْهَانِيِّ ، وَقَدْ صَدَّقَتْهُ النُّبُوَّةُ ، وَهُوَ السَّعَادَةُ وَالشَّقَاوَةُ الثَّابِتَتَانِ بِالْقِيَاسِ ، اللَّتَانِ لِلْأَنْفُسِ ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَوْهَامُ مِنَّا تَقْصُرُ عَنْ تَصَوُّرِهَا الْآنَ لِمَا تَوْضِحُ مِنَ الْعِلَلِ .^١

وبناء على ما ذكر فإن ابن سينا ليس من منكري المعاد الجسماني ، بل إنه أقرّ بثبوته عن طريق الشرع ، كما أنه قبل بثبوت المعاد النفساني من طريق البرهان والقياس وكذلك من طريق تصديق الشرع وأخبار النبوة .

وتبعاً لذلك يقول المرحوم السبزواري : وأما الشيخ رئيس المشائين فإنه لم ينكر المعاد الجسماني ، حاشاه عن ذلك ، إلا أنه لم يحققه بالبرهان كما يظهر لمن نظر في الهيئات «الشفاء» .^٢

وأما بشأن المعاد النفساني وسعادة النفوس وشقاوتها فقد بحث ذلك

١- يقول المَلّا صدرا : ومنها (أي من جملة الموارد التي عجز ابن سينا عن إثباتها) أنه لما لم يظفر بإتبات تجرّد القوّة الخياليّة للإنسان ، صار متحيراً في بقاء النفوس الساذجة الإنسانيّة بعد البدن ، فاضطرّ تارةً إلى القول ببطلانها ، كما في بعض رسائله المسمّى بـ «المجالس السبعة» . على أنه معترف بأنّ الجوهر غير الجرمي لا يبطل ببطلان الجسد وتارةً إلى القول بأنّها ناقصة من جهة إدراكها ببعض الأوّلّيات والعموميّات .
تمّ يتصدّى المَلّا صدرا بحرماً للإجابة عليها («الأسفار» ج ٩ ، ص ١١٥ ، الطبعة الحروفية) .

٢- «المنطومه السبزواريّة» ص ٣٣٥ ، طبعة ناصري .

مفصلاً ، ثم إنه يقول بعد بيان مقدمة :

وَإِذْ تَقَرَّرَتْ هَذِهِ الْأُصُولُ ، فَيَجِبُ أَنْ نَنْصَرِفَ إِلَى الْغَرَضِ الَّذِي
نُؤَمِّهُ فَنَقُولُ : إِنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ كَمَالُهَا الْخَاصُّ بِهَا أَنْ تَصِيرَ عَالَمًا عَقْلِيًّا
مُرْتَسِمًا فِيهَا صُورُ الْكُلِّ ، وَالنِّظَامُ الْمَعْقُولُ فِي الْكُلِّ ، وَالْخَيْرُ الْفَائِضُ فِي
الْكُلِّ ، مُبْتَدِئَةً مِنْ مَبْدَأِ الْكُلِّ ، سَالِكَةً إِلَى الْجَوَاهِرِ الشَّرِيفَةِ الرُّوحَانِيَّةِ
الْمُطْلَقَةِ ، ثُمَّ الرُّوحَانِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ نَوْعًا مَا بِالْأَبْدَانِ ، ثُمَّ الْأَجْسَامِ الْعُلُويَّةِ
بِهَيَاتِهَا وَقِيَامِهَا ، ثُمَّ كَذَلِكَ حَتَّى يَسْتَوْفِي فِي نَفْسِهَا هَيْئَةَ الْوُجُودِ كُلِّهِ ،
فَتَنْقَلِبَ عَالَمًا مَعْقُولًا مُوَازِيًا لِلْعَالَمِ الْمَوْجُودِ كُلِّهِ ، مُشَاهِدَةً لِمَا هُوَ الْحُسْنُ
الْمُطْلَقُ ، وَالْخَيْرُ الْمُطْلَقُ وَالْجَمَالُ الْحَقُّ الْمُطْلَقُ ، وَمُتَّحِدَةً بِهِ وَمُنْتَقِشَةً
بِمِثَالِهِ وَهَيْئَتِهِ ، وَمُنْخَرِطَةً فِي سِلْكِهِ ، وَصَايِرَةً مِنْ جَوْهَرِهِ .^١

ثم يقول : فإذا قيسَ هذا بالكمالاتِ المعشوقة التي للقوى الأخرى ،
وجد في المرتبة التي بحيث يقبح معها أن يُقال إنه أفضل وأتم منها .
بل لا نسبة لها إليه بوجه من الوجوه فضيلةً وتاماً وكثرةً وسائر ما
يتم به التذاذ المدركات مما ذكرنا .^٢ ثم يتابع المطلب ويستمر في البحث
بشكلٍ كافٍ ووافٍ .

كان هذا كلام «أبي علي» ، وقد ذكرنا أن عدم إقامة البرهان على المعاد
الجسماني مبني على عدم تحقيق وإثبات تجرد قوة الخيال وعالم البرزخ ،
وقائم عموماً على عدم القبول بعالم المثال المجرد . أما إذا قبلنا بعالم المثال
فلن يبقى هناك من إشكال آخر . وعالم الصورة يعني عالم المثال .
كما أن اللذائذ التي تجدها النفس في عالم المثال هي نفس لذائذ عالم

١- إلهيات «الشفاء» بحث المعاد ، ص ٣ .

٢- إلهيات «الشفاء» ص ٣ و ٤ .

الصورة ، ويمكن أن تكون منفصلة عن البدن ، فيصحب الإنسان تلك الصورة معه على الدوام .

يقول الحكيم السبزواري قدس الله نفسه بشأن هذا المعاد الروحاني :

فَهُوَ لِعَالَمِ الْعُقُولِ مُرْتَقِي	إِنَّ الَّذِي بِالْعَقْلِ بِالْفِعْلِ انْتَقِي
بِهِ يُضَاهِي عَالَمًا عَيْنِيًّا	مِنْهُ يَصِيرُ عَالَمًا عَقْلِيًّا
تَزِينُهُ كَالْأَوَّلِ فِي الْآخِرِ	وَهَيْئَةُ الْوُجُودِ بِالشَّرَاشِرِ
خَالَفَ وَالْمَهِيَّةُ الْمَهِيَّةُ	كُونًا أَشَدَّيَّةً أَضْعَفِيَّةً
كَأَنَّ غَدًا كُلُّ لَهُ مُرَائِيًّا ^{٤١}	فَالْعَالَمُ الْأَكْبَرُ كَانَ حَاوِيًّا

١- وهذا الكلام إشارة إلى ما قالوه في تعريف الحكمة : الْحِكْمَةُ صَيُورَةُ الْإِنْسَانِ عَالَمًا عَقْلِيًّا مُضَاهِيًّا لِلْعَالَمِ الْعَيْنِيِّ فِي هَيْئَتِهِ ، لَا فِي مَادَّتِهِ .

٢- إذ إنه قد برهن على أن الأتساء تحضر في الذهن بتمام ماهيتها وتظهر بأنفسها هناك ، لا أن تحضر أمثالها وأشباهها في الذهن . وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في أشعاره المعروفة المشهورة :

أَتَسْزَعُ أُنْكَ جِزْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ انْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ
٣- «المنظومة السبزواريّة» ص ٣٣٠ و ٣٣١ ، طبعة ناصري .

٤- وما أبدع ما ضمن المغربي هذه المعاني في أشعاره ، وذلك في قوله :

اگر چه آبنه روی جان فزای تو آند	همه عقول و نفوس و عناصر و أفلاك
ولی ترا نسناید بتو چنانکه توئی	مگر دل من مسکین و بیدل و غمناک
تمام چهره خود را بدو توانی دید	که هست مظهر تام و لطیف صافی پاک
ولو جلوت علی القلب ما جلوت علیه	لأجل قربته بل لأنه مجلاک
بساحل ار چه فکندی به بحر باز آرم	که موج بحر محیط توام نیم خاشاک
ظهور تو بمن است و وجود من از تو	ولست تظهر لولای ، لم أکن لولاک
تو آفتاب منیری و مغربی سایه	ز آفتاب بود سایه را وجود و هلاک

«دیوان مغربی» ص ٨٠ و ٨١ .

يقول : «مع أنَّ العقول والنفوس والعناصر والأفلاك هي بأجمعها مرآة طلعتك المنعشة للأرواح .
إلا أن شيئاً منها لا يُظهركَ كما أنت مثلما يفعل قلبي ، أنا العاشق المغموم المسكين .

فإنَّكَ تستطيع أن ترى طلعتك فيه كاملة ، لأنَّه مظهر تام لطيف صافي طاهر» .
ولو جلوت عن القلب ما جلوت عنه لأجل قربه ، بل لأنَّه مجلاك ولو قذفتني إلى الساحل لعدتُ إلى البحر من جديد ، إذ لستُ قسَّة ، بل موج بحرك المحيط . ظهوركَ بي ، ووجودي منك ، ولست تظهر لولاي ، لم أكن لولاك .
أنت شمس منيرة والمغربى ظل ، ومن الشمس وجود الظل وفناؤه» .
ويقول في مقام مخاطبة النفس :

توئی خلاصه اركان انجم و افلاك
ولی چه سود که خود را نمی کنی ادراک
تو منهر مشرق جانی بغرب جسم نهان
تو دُرّ گوهر یاکی فتاده در دل خاک
توئی که آینه ذات پاک الهی
ولی چه فائده هرگز نکردی آبنه یاک
غرض توئی ز وجود همه جهان ورنه
لما یكون فی الـکون کائن لولاک
همه جهان بتو شادند و خندان
تو از برای چه دائم شئه غمناک
نجات تو بتو است و هلاک تو از تو
ولی تو باز ندانی نجات را ز هلاک
تو عین نور بسیطی و موج بحر محیط

جنان مکن که شوی ظلمت حس و خاشاک
يقول : «أنت خلاصة أركان الأنجم والأفلاك ، ولكن ما الفائدة ؟ إذ إنَّكَ لا ندرك نفسك
فأنت شمس مشرق الروح خفيت بمعرب الجسم ، أنت درّ وجوهر صاف سقط في ٥٠

وينقل المرحوم الحكيم السبزواري مطلباً في تصوير محلّ الأبدان المحشورة في المعاد الجسماني ، وهو جدير بالتأمل .

يقول : قد ذكر الشيخ الرئيس في كتابه «المبدأ والمعاد» في أمر الأبدان البرزخية التي هي محلّ وموضوع لتصويرات أنوار المؤمنين ونائرات الكافرين ، إنّ بعض أهل العلم ممن لا يجازف فيما يقول ، قال : علينا أن نجد تصويراً للمعاد الجسماني بحيث يمكن قبوله .

فحين يرحل الإنسان عن الدنيا ، فإنّ نفسه - من أجل أن تتمتع باللدائد في عالم الخيال والصورة ، أو تعذب بالصور الكريهة - يجب أن تتعلّق ببدنٍ ليقوم عالم الصورة بذلك البدن .

وليس هناك من بدنٍ فوق الأرض لتتعلّق به هذه النفس ، كما أنّها لو تعلّقت بالأبدان الخارجيّة للزم من ذلك التناسخ الذي نمتلكه البراهين والأدلة الكثيرة لإبطاله .

كما أن الأرض - من جهة أخرى - كرة محدودة ، بينما أفراد البشر الذين يأتون فوقها من البدء إلى النهاية غير محدودين ولا متناهين ،

« أعماق التراب .

أنت مرآة الذات الإلهية المنزعة ، ولكن ما العائدة ؟ فأنت لم تجلّ المرآة أبداً .

أنت الهدف من وجود العالم كلّ ، ولولا ذلك لما كان في الكون كائن لولاك .

العالم بأجمعه سعيد بك ومسرور وضاحك ، فلم أنت تجلس دوماً حزيناً ومغموماً ؟

العالم بأجمعه مشغول بك وأنت لاه عن نفسك ؛ الجميع خائف من غفلتك وأنت

لا تالي

نجاتك بك وملاكك منك ، لكنك مع ذلك لا تميّز نجاتك من هلاكك .

أنت عين النور البسيط وموج البحر المحيط ، فلا تفعل ما يجعلك ظلمة القشّ والتبن

وإن صرت كالمغربيّ حرّاً عن الكائنات ، أمكنك بقدّم واحدة أن تحلّق من السمك إلى

سمائك»

ولا يمكن لغير المتناهي أن يحلّ في المتناهي المحدود .
ولو جعلنا جميع حجم الكرة الأرضية أبداناً - فرضاً - فتعلق كلّ واحد من النفوس بأحد هذه الأبدان ، لفاض من تلك النفوس عدد كثير ، لأنّها غير محدودة ، ولازم ذلك بقاء كثير من النفوس دون بدن . ولذا فإنّ هذا الفرض مردود لا يمكن قبوله أيضاً .

وعلينا من ثمّ أن نرى أين تقع تلك الأبدان التي تتعلّق بها النفوس بعد الموت . يجب القول إنّها في السماوات ، أي في الأفلاك وطبقات الدخان ، لأنّ لدينا تسعة أفلاك ، وهذه الأفلاك كبيرة بحيث لا يعلم أبعادها إلا الله تعالى . وأصغر الأفلاك فلك القمر المحيط بجميع هذا العالم ، فضلاً عن الأفلاك الأكبر منه . فنفس الناس تتعلّق بعد الموت بتلك الأفلاك ، حيث يتخذ قدر من الفلك هيئة بدن الإنسان فتتعلّق به نفس الإنسان ، ويحصل جميع الثواب والعذاب بواسطة ذلك البدن .

وبالطبع فإنّه ليس كمثّل البدن الطبيعيّ الثقيل الذي يمتلك جرمًا ، بل هو مادّيّ لطيف زلال ، ويمكن إجمالاً قبول هذا الكلام من ابن سينا . ويقول الخواجه نصير الدين الطوسيّ قدّس الله سرّه : وأظنّ أنّ أصل هذا الكلام من الفارابيّ^١ .

١- ينقل المرحوم المّلا صدرا في «الأسفار» قصّة جرم الأفلاك والمواد الدخانيّة لتعلّق النفوس الخسيصة من أصحاب اليمين وأصحاب الشمال بعد مفارقة البدن ، وذلك عن ابن سينا ، عمّن لا يجازف في قوله (وقال العلامة الطوسيّ : وأظنّه يريد الفارابيّ) ، ثمّ يقول بعد أن يورد عليه عدّة إشكالات :

والعجب أنّ ما صوّره الشيخ والفارابيّ أحسن وأجود من سائر ما في كتب غيرهما من الإسلاميين . ولذا فقد اختاره الغزاليّ في كثير من مصنّفاته ، كمواضع من «إحياء العلوم» وفي رسالته «المضنّون به على غير أهله» ، وذلك بعد أن شرّحه مفصّلاً .

وحاصل المطلب أنّ هؤلاء [العوام] إذا فارقوا البدن وهم بدنيون لا يعرفون غير البدنيات ، وليس لهم تعلّق بما هو أعلى من الأبدان ، فيشغلهم التعلّق بها عن الأشياء البدنيّة، أمكن أن يعلّقهم تشوّقهم إلى البدن ببعض الأبدان التي من شأنها أن تتعلّق بها الأنفس لأنّها طالبة ، وهذه ماهيات هيئة الأجسام ، وهذه الأبدان ليست بأبدان إنسانية أو حيوانيّة ، لأنّها لا تتعلّق بها إلّا ما يكون نفساً لها ، فيجوز أن يكون أجراماً سماويّة لا أن تصير هذه الأنفس أنفساً لتلك الأجرام أو مدبّرة لها ، فإنّ هذا لا يمكن ، بل يستعمل تلك الأجرام لإمكان التخيّل ثمّ يتخيّل الصور التي كانت معتقده عنده وفي وهمه ، فإن كان اعتقاده في نفسه وأفعاله الخير شاهدت الخيرات الأخرويّة على حسب ما تخیلتها ، وإلا فشاهدت العقاب .

وقال كذلك : ريجوز أن يكون هذا الجرم متولّداً من الهواء والأدخنة ، ويكون مقارباً لمزاج الجوهر المسمّى روحاً الذي يشكّ الطبعيّون أنّ تعلّق النفس به لا بالبدن . هذا ما لخصه المحقّق (الخواجه نصير الدين) الطوسي رحمة الله عليه من كلام الفارابي .

وقد استحسّن الشيخ شهاب الدين السُّهرورديّ هذه الفرضيّة وقال بأنّها تخلو من الإشكال ، وذلك لتعلّق الروح ببدن في الأفلاك غير المتناهية ، وخاصّة فلك الأفلاك الذي يقال له أيضاً الفلك الأطلس والفلك المحدّد .

ثمّ يقول المَلّا صدرا : وأكثر هذه المطالب يوافق ما نقلناه عن «الشفاء» ولعلّه اقتبس منه . («الأسفار» ج ٩ ، ص ١٤٨ إلى ٢٥٣ ، الطبعة الحروفية) .

وقد ذكر الغزاليّ هذه المطالب مفصّلاً في رسالة «المصنّون به على غير أهله» المطبوعة في هامش رسالة «الإنسان الكامل» لعبد الكريم الجيليّ ، ج ٢ ، ص ٨٤ و ٨٥ ، طبعة المطبعة الأزهرية - مصر ، سنة ١٣١٦ هجرية .

وقد تعجب الخواجة نصير الدين الطوسي رحمة الله عليه من كلام شيخ الإشراق فقال :

إنني لأتعجب من بعض الموصوفين بفقهِ المعارف الإلهية والاستشراق للأنوار الملكوتية كصاحب «التلويحات» مع شدة توغله في الرياضات الحكمية واعتناؤه بوجود عالم آخر بين العالمين ، كيف صوّب في «التلويحات» قول بعض العلماء من كون جرم سماويّ موضوعاً لتخيّلات طوائف من السعداء والأشقياء^١.

ولصدر المتألّهين (الشيرازي) على هذا القول اعتراضات كثيرة مذكورة في أكثر كتبه وفي موضعين من «الأسفار» ، كلزوم التناسخ بسبب التعلّق بالفلك وشبهه ، وكإبائه الفلك عن التأثير من العلل الغريبة ، وكعدم ما يصون الجرم الدخاني عن التبدّد والتحلّل والفساد ، وكعدم المطابقة بينه وبين النفوس المفارقة في الأزمنة غير المتناهية لتناهيه وعدم تناهيها وغير ذلك ممّا هو مذكور في «الأسفار» .

وقد أجاب المرحوم السبزواري رحمة الله عليه على إشكالات الملام صدرًا وردّ عليها جميعاً حسب ظنّه ، ودّعَم كلام الفارابي وشيخ الإشراق^٢. بيّد أنّ بعض إشكالات الملام صدرًا - إنصافاً - لا يمكن ردّها ، خاصّة بعد أن ثبت هذه الأيّام عدم وجود الأفلاك . وأنّ فرضيّة القدماء هذه أمر اضمحلّ اليوم وفقد اعتباره . فالالتزام بهذه الزوايا لإتبات المعاد الجسمانيّ ، والدخول في عقبات ومنعطقات يستحيل عبورها ، هو تأييد للشرع الأنور بجهاتٍ لا يرتضيها صاحب الشرع نفسه . والشرع الأنور

١- «المنظومة السبزواريّة» ص ٣٣٧ ، طبعة ناصري .

٢- «المنظومة السبزواريّة» ص ٣٣٨ ، طبعة ناصري .

أسمى وأقدس من أن نشاء دعمه ومناصرته بهذه الأمور .

وإجمالاً فقد قال المرحوم الحكيم السبزواريّ رحمة الله عليه في
الفرضيات التي نُقلت في المعاد الجسمانيّ :

وَبَعْضُهُمْ قَدْ صَحَّحُوا الْجِسْمَانِيَّ بِالْجِزْمِ مِنْ أَفْلَاكِ أَوْ دُخَانٍ
يَكُونُ مَوْضُوعاً لِتَصْوِيرَاتِهِمْ مِنْ نَائِرَاتِهِمْ وَتَنْوِيرَاتِهِمْ
وَبَعْضُهُمْ صَحَّحَ بِالتَّنَاسُخِ وَأَخَذَ جِنْسَ كُلِّ خُلُقٍ رَاسِخٍ
وَفِرْقَةً بِحِفْظِ أَجْزَاءِ فِرْدَةٍ نَصِيرُ ذِي الْوَصْلِ ذَاتَ وَحْدَةٍ
وَقَالَ الْإِشْرَاقِيُّ بِالْمِثَالِ وَالْأَنْفُسُ الْأَنْفُسُ فِي الْأَقْوَالِ^١

يقول : قد صحّح بعض الفلاسفة تصوير المعاد الجسمانيّ بحلول
النفس بعد مفارقة البدن بالأجرام السماوية من الأفلاك أو الأجرام
الدخانيّة ، لأنّها محلّ صور نيران أهل جهنّم وأنوار أهل الجنة .

وصحّح بعضهم التناسخ ، بأن تستخدم كلّ ملكة من ملكات الإنسان و
أخلاقه الراسخة ذلك النوع من الحيوانات الذي يرسخ فيه تلك الملكة وذلك
الخُلُق . فالنملة - مثلاً - محلّ بروز ملكة الطمع ، والخنزير محلّ بروز ملكة
الشراهة وانعدام الغيرة ، والفأر محلّ بروز ملكة السرقة .

والتناسخ باطل بجميع أقسامه ، وقد جرى إقامة الدليل الفلسفيّ على
ذلك . وقال بعض المتكلّمين بأنّ أجزاء فردة تبقى في الإنسان محفوظة
لا تتجزأ بعد الموت ؛ ثمّ إنّ الباري تعالى يخلع لباس الوحدة على تلك
الأجزاء بواسطة الوصل عند المعاد ، ويصوّرّها في صورها السابقة في الدنيا ،
فتتعلّق بها النفس من جديد .

والإشكالات الواردة على هذه الفرضيّة كثيرة ، وسيأتي ذكرها .

١- «المنظومه السرواريّة» ص ٣٣٧ إلى ٣٤١ ، طبعة ناصري .

وصحّح الإشراقيون المعاد الجسمانيّ لنفوس المتوسّطين من أهل السعادة وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، وذلك بعالم المثال الذي يدعى أيضاً عالم الأشباح . كما أنّ النفوس تبقى نفسها دون تغيير وفقاً لجميع هذه الأقوال .

الْمَجْلِسُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ

شَيْئَةُ الْأَشْيَاءِ بِصُورَتِهَا لَا بِالمَادَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :
أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَدَرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ
بَنَانَهُ^١.

البنان عبارة عن أطراف الأصابع ، والاستدارة في أطراف الأظافر وفوقها ، فحين يخطط الخياط ثوباً فإنه يعمد عند الخياطة إلى ثني قدر من حافة القماش إلى الداخل ، ويقال لهذا القسم السجاف . وهكذا فإن الله تبارك وتعالى جعل سجافاً لاتصال أصول الأظافر بلحم الأصابع يُدعى بالبنان .
يقول سبحانه في هذه الآية المباركة : ما الذي يقوله هذا الإنسان وما الذي يحسبه ؟ أيحسب أننا لسنا قادرين على جمع عظامه ؟ بلى ، سنجمع جميع أعضائه وجوارحه ، اللحم والعظم ، والعروق والشحم والجلد والأظافر ونسوي حتى البنان بل وأصغر عضو من أعضائه .
وهكذا فقد كانت شبهات المادّيتين لإنكار المعاد ، إنما هي في حال عجز الله تعالى . وحاشا وكلاً أن تكون قدرة الله محدودة بحدّ أو منحصرة

١- الآيات ٣ و ٤ ، من السورة ٧٥ : القيامة .

في إيجاد موجود خاص ؛ بل قدرته كاملة وشاملة ، لا تضيق حتى عن إيجاد البنان وإعادته ، فيرد الإنسان الحشر للحساب بكل أرجاء وجوده ، وحتى بينانه وأطراف أصابعه . ولقد ألقى المنكرون شبهة في باب المعاد الجسماني عرفت باسم **شُبْهَةِ الْآكِلِ وَالْمَأْكُولِ** ، ودوّنت بهذا الاسم في الكتب والدفاتر .

ومحصل هذه الشبهة : كيف يُحيي الله جميع الموتى فيُحضرهم في المحشر ، مع أنهم كانوا في هذه الدنيا آكلًا ومأكولًا لبعضهم البعض الآخر ؟ بل إنّ ما سوى الله من الموجودات المادّية التي تتبدّل صورها دائماً هي بأجمعها آكل ومأكول لبعضها . فالبذرة تقتات على المواد الترابية تحت الأرض وتبدّلها إلى نفسها فتصبح شجرة ، والنار تأكل الشجرة فتحولها إلى فحم ، ثم تبدّل الفحم إلى رماد ، ثم يتحوّل الرماد تحت الأرض إلى تراب ، فيصير التراب مرةً أخرى شجرة وزرعاً وإنساناً وحيواناً .

وهكذا فإنّ المادة تتبدّل دائماً في دائرة حركة الزمان وفوق هذه الأرض وعالم الطبع إلى صور مختلفة ، وتتجلّى وتظهر في شكل وسيماء أشياء متفاوتة بأسماء مختلفة ، كالإنسان والبقرة والحصان والشجرة والماء والهواء والغاز وغيرها .

إنّ بدن الفرد من أفراد الإنسان كـ «زيد» مثلاً ، يصبح تحت الأرض رميماً ويتحوّل إلى موادّ غذائية تقوّي الشجرة والزراعة التي تزرع فوقها ، ثم إنّ الإنسان يتناول هذه المحاصيل الزراعيّة في هيئة حبوب الحنطة والشعير والعدس والماش وغيرها ، وفي هيئة ثمار الأشجار كالتفاح والكمثرى والجوز واللوز وغيرها ، فتتبدّل إلى الذرات الموجودة في بدنه وتصبح جزء بدن شخص آخر كـ «حسن» مثلاً .

ثم إنّ «حسن» يموت ويتبدّل بدنه تحت الأرض إلى موادّ ترابية وموادّ

مقويّة لسائر الأشجار والزرعات ، وهكذا فإنّ أفراداً آخرين سيأكلون ثمار تلك الأشجار أو حبوب تلك الزراعات وخضروات البساتين ، أو يقتاتون على الضأن والإبل والأبقار وطيور السماء وأسماك البحار التي تغذّت من تلك الموادّ الغذائية ، فتتبدّل إلى أجزاء وأعضاء وذرات بدنهم .

وعلى هذا المنوال فقد كان هناك دائماً في هذه الأرض وفي عالم الطبيعة هذا أكلاً لمأكل آخر ، كما كان الأكل يتحوّل إلى مأكل ، وهذه السّنة الإلهيّة في حركة دائميّة كالعجلة الدوّارة .

فإذا حُشر جميع أفراد البشر في عالم الحشر ، لاستلزم ذلك امتلاك أفراد كثيرين لبدنٍ مشترك ، وسيمتنع أمر امتلاكهم أبداناً مستقلة ، ويلزم من ذلك تقديم أحد الأبدان على غيره ، وهو ترجيح بلا مرجّح .

افرضوا أنّ كافراً أكل لحم بدن مؤمن ، وأنّ لحم بدن هذا المؤمن صار جزءاً من أجزاء ذلك الكافر . فإن أراد الله تبارك وتعالى حشرهما ، فإنّه إن حُشر ذلك المأكل مستقلاً ، فإنّ ذلك الأكل لن يكون قد حُشر بتمامه ، إذ إنّهُ فَقَدْ نصف بدنه ، لأنّ نصف بدن الأكل تشكّل من المؤمن الذي صار مأكوله . فإن حُشر الله تعالى ذلك المؤمن بتمامه وكمالهِ ، لما حُشر هذا الأكل الكافر بتمام المعنى ، إذ إنّ نصفه سيكون غير محشور .

وإن حُشر الأكل ، لما حُشر المأكل المؤمن بتمام المعنى ، إذ قد بقي جزء منه ، وهو الذي صار مأكولاً في بطن الأكل وتبدّل إلى جزء من أجزائه الوجوديّة . هذا أحد الإشكالات . أمّا الإشكال الثاني وهو مشتق من الأوّل فهو : أنّ الله سبحانه إن شاء خلقهما فأيهما سيقدم ؟ إن قدّم الأكل ، فسيُقَال : لماذا لم يقَدّم المأكل ؟ وإن قدّم المأكل ، قيل : لماذا لم يقَدّم الأكل ؟ وهكذا فإنّ معاد كلّ منهما سيكون ترجيحاً بلا مرجّح ، كما أنّ معادهما سوياً أمر غير ممكن ، وإلاّ لزم منه تعلّق النفوس المختلفة ببدنٍ

واحد .

وهناك أيضاً شبهة أخرى هنا ، وهي أنّ ذلك المؤمن قد صار الآن مأكولاً للشخص الكافر ، فإن شاء الله حشرهما ومجازاتهما بأعمالهما ، فعذب بدن الكافر ، فإنه سيكون قد عذب نصف بدن المؤمن الذي صار جزءاً لبدن الكافر .

وإن نَعَم بدن الكافر بلحاظ هذا النصف من بدن المؤمن ، لوقع الكافر في هذه الحال ببذنه مورد النعمة والرحمة ؛ إذ لا يمكن جعل بدن واحد في وقت واحد مورداً للرحمة والغضب كليهما ، فينعمه الله في الجنة ، ويحرقه في عين الحال في جهنم .

كما أنّه إن نَعَم بدن المؤمن ، لكان قد نَعَم أيضاً نصف بدن الكافر ، وإن عذب بدن المؤمن بلحاظ هذا النصف من بدن الكافر ، لكان في هذه الحال قد عذب المؤمن بتمام بدنه .

وعموماً فإما أن يكف الله سبحانه عن رحمة المؤمن وعذاب الكافر لهذه المحذورات المذكورة ، أو أن يعذب الأجزاء المطيعة في بدن المؤمن وينعم الأجزاء العاصية في بدن الكافر ، وكلاهما خلاف الفرض . وذلك أولاً : لأنّ عالم الحشر لجزاء الأعمال . وثانياً : لأنّ المؤمن والمطيع يجب أن يكون مورداً للرحمة والثواب الجميل ، أمّا الكافر والعاصي فيجب أن يكون مورداً للغضب والانتقام .

هذا وقد قال المرحوم صدر المتألهين قدس الله نفسه في ردّ هذه

الشبهة :

إِنَّ ائِدْفَاعَهُ ظَاهِرٌ بِمَا مَرَّ مِنْ أَنَّ تَشْخُصَ كُلِّ إِنْسَانٍ إِنَّمَا يَكُونُ بِنَفْسِهِ لَا بَبَدْنِهِ ، وَأَنَّ الْبَدَنَ الْمُعْتَبَرَ فِيهِ أَمْرٌ مِنْهُمْ ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ تَعَيُّنٌ وَلَا ذَاتٌ ثَابِتَةٌ ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ بَدَنِ زَيْدٍ مَثَلًا مَحْشُورًا ، أَنَّ الْجِسْمَ الَّذِي

صَارَ مَأْكُولًا لِسَبْعٍ أَوْ إِنْسَانٍ آخَرَ مَحْشُورًا ، بَلْ كُلَّمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ نَفْسُهُ فَهُوَ بِعَيْنِهِ بَدَنُهُ الَّذِي كَانَ ؛ فَلَا عَيْقَادَ بِحَشْرِ الْأَبْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ أَنْ يُبْعَثَ أَبْدَانٌ مِنَ الْقُبُورِ ، إِذَا رَأَى أَحَدُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَقُولُ : هَذَا فَلَانٌ بِعَيْنِهِ ، وَهَذَا بِهِمَانٌ بِعَيْنِهِ ؛ أَوْ هَذَا بَدَنُ فَلَانٍ ، وَهَذَا بَدَنُ بِهِمَانٍ ، عَلَى مَا مَرَّ تَحْقِيقُهُ . وَلَا يُلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مُبَدَّلِ الْوُجُودِ وَالْهُوِيَّةِ ، كَمَا لَا يُلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُشَوِّهُ الْخَلْقِ وَالْأَقْطَعِ وَالْأَعْمَى وَالْهَرِمُ مَحْشُورًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَقْصَانِ الْخِلْقَةِ وَتَشْوِيهِ الْبُنْيَةِ كَمَا وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ .

وَالْمُتَكَلِّمُونَ عَنْ آخِرِهِمْ أَجَابُوا عَنْ هَذِهِ الشُّبْهَةِ بِمَا لَا حَاجَةَ إِلَى ذِكْرِهِ لِرِكَائِثِهِ^١.

كان هذا كلام الملا صدرا في رد هذه الشبهة . وقد سار المرحوم الحكيم السبزواري قدس سره في رد هذه الشبهة على منوال الملا صدرا ونهجه . فيقول :

وَشُبْهَةُ الْآكِلِ وَالْمَأْكُولِ يَدْفَعُهَا مَنْ كَانَ مِنْ فُحُولِ
إِذْ صُورَةٌ بِصُورَةٍ لَا تَنْقَلِبُ عَلَى الْهُيُولَى الْأَنْحِفَاطُ مُنْسَحِبٌ

فإذا قلنا : صار الماء هواءً ، ليس المراد أن الصورة المائية بما هي صورة مائية صارت مُصَوَّرَةً بالصورة الهوائية ، لأنه انقلاب في الحقيقة ، بل المراد أن المادة التي كانت متلبسة في الزمان الأول بالصورة المائية ، انخلعت عنها الصورة المائية ولبست الصورة الهوائية في الزمان الثاني . وكذا إذا صار الأبيض أسوداً لا يصير البياض سواداً ، بل الموضوع له خلع ولبس كما ذكر ، فاللحم من حيث له الصورة اللحمية لا يصير كيموساً^٢ . ولا بدن المؤمن من حيث له صورة خاصة يصير بدنًا للكافر ، إذ الصورة

١- «الأسفار الأربعة» بحث المعاد ، ج ٩ ، ص ٢٠٠ ، الطبعة الحروفية .

٢- الكيموس : كلمة يونانية تعني حالة الطعام بعد هضمه في المعدة . (المنجد) .

الخاصة ليست شرطاً في مادّية المادة ، بل هي موانع ، والصورة المطلقة من المصاحبات الاتفاقية ، ولو صار البدن بما هو بدن كيموساً لشاهدناه في أيام كونه كيموساً وليس كذلك ، بل كلّ صورة في حدّها ومرتبها هي ^١ .
ونقول لتوضيح هذا المطلب : قد ثبت في الحكمة المتعالية أنّ شيئة الأشياء بصورتها لا بمادّتها ، أي أنّ ما يشخص الأشياء ويلبسها رداء التعين ويُميز بين الشيء والشيء ، وبين الموجودات ، فصلها بصورتها لا مادّتها . وذلك لأنّ جميع الموجودات الطبيعيّة تشترك في المادة ، وأنّ هناك مادة صرفة بسيطة دون تشخص ولا تعين قد طبقت أرجاء الموجودات ، حيث تدعى بالمادة الأوليّة والهيولى الأوليّة ومادة المواد .

وتحتاج هذه المادة من أجل التشخص والتميز لأمرٍ يعطي لها شكلاً وإسمًا وتعيناً ، كالإنسان والحيوان والشجرة والحجر والماء والهواء وغير ذلك . ومن ثمّ فإنّ إنسانيّة الإنسان مرتبطة بإنسانيته تلك لا بمادّته ، لأنّ المادة موجودة على كلّ حال ولا تُدعى إنساناً . وحين صارت المادة إنساناً فقد صار يُقال لها إنساناً ، وتعلّق بها اسم الإنسان وشخصيّة الإنسان ؛ وهكذا الأمر في الحيوان والشجرة ، فما دامت صورتها واسمها لم ينطبقا على المادة ، فإنّه لا يقال لتلك المادة حيوان أو شجرة . فكون الشجرة شجرة وكون الحيوان حيواناً - إذاً - منوط ومرتب بذلك الشيء الذي يتركّب على المادة فيقال لتلك المادة - لتلك الجهة - حيواناً أو شجرة ، ويقال لذلك الشيء صورة حيوانية أو صورة شجرية .

فإن زالت تلك الصورة من المادة ، فاتخذت صورة أخرى صورة تلك المادة لنفسها ، فإنّ المادة لم تفنى ولم تعد ، بل إنّ هناك مادة مشتركة

١ - «المنظومة السبزواريّة» ص ٣٤٥ ، طبعة ناصري .

موجودة في كلتا الحالتين . كلّ ما في الأمر أنّ تشخّصها في الصورة الأولى التي كانت فيها خشباً - مثلاً - كان بتلك الصورة ، فكانت تُدعى خشباً . أمّا حين تبدّل الخشب إلى فحم ، فإنّ تشخّص تلك المادّة صار بصورة الفحم . وهكذا فإنّ ما يوجب تشخّص وتمييز الموجودات هو فصلها المميّز وصورتها لا مادّتها . فما يجعل من زيدٍ زيداً زيديّته لا المادّة . وما يجعل المؤمن مؤمناً والكافر كافراً ، الإيمان والكفر لا المادّة .

وإذا ما قلنا - مثلاً - هاتِ الخشب ! فما هو الخشب يا ترى ؟ هو ذلك الشيء الذي هو الآن خشب ، والذي يُدعى الآن خشباً . فإن سألت أحداً : ما هذا ؟ لأجابه : هذا خشب .

ولو كان هذا الخشب تراباً في السابق فتبدّل إلى خشب ، أو أنّهم سيحرقونه فيما بعد فيتبدّل إلى فحم ، ثمّ يشعلون الفحم فيشتعل ناراً ثمّ يصبح رماداً ، فإنّ تلك الصور التي امتلكها قبلاً فاكستبتها هذه المادّة لنفسها ، ليست مرتبطة بخشبيّة هذا الخشب ، لأنّ الخشب كان خشباً حين كان خشباً ، لا قبل ذلك ولا بعده . وليست خشبيّته مرتبطة بمادّته ، لأنّ المادّة كانت موجودة قبله وبعده إلّا أنّها لم تكن خشباً .

وبالطبع فقد كانت هناك مادّة في جميع الأحوال ، ولم يكن ليتحقّق بدونها في الخارج أي قسم من أقسام التراب والخشب والفحم والنار والرماد ، إلّا أنّ تلك المادّة كانت مشتركة فيها جميعاً . فخشبيّة الخشب ليست قائمة بتلك المادّة ، لأنّ تلك المادّة موجودة في هذا الخشب ، كما أنّها موجودة في الفحم الذي يليه ، وفي تلك النار وفي ذلك الرماد أيضاً .

لكنّ ما جعل هذه المادّة خشباً فعلاً ، ومنحها صورة الخشبيّة والحطبيّة هو الفصل المميّز للخشب . ثمّ إنّ ما يُعطى بعد ذلك صورة الفحميّة والناريّة والرماديّة الفصل المميّز لها .

إن بيضة الدجاج التي يأكلها الإنسان مركبة فعلاً من بياض البيض وصفاره ، وهذه البيضة تتبدل حين تحضنها الدجاجة وترقد عليها إلى علقه ، ثم إلى فروج . فهي إذ تحولت إلى فروج لم تعد بيضة ، ولم يعد هناك بياض البيض ولا صفاره ، بل هي فروج .

وبالطبع فإن هناك مادة مشتركة في تلك البيضة وفي هذا الفروج ، ولم يكن الأمر بحيث إن تلك البيضة تلاشت كلياً فخلق فروج جديد مستقل ، بل تبدلت تلك البيضة إلى فروج . إلا أن البيضة مادامت بياض البيض وصفاره فإنها ليست فروجاً ، أما حين صارت فروجاً فإنها لم تعد بياض البيض وصفاره .

ولقد تعاقبت الصور على هذه المادة ، الواحدة بعد الأخرى ، لكن ما يشخص الموجود ويمنحه اسماً ويجعله ذا خواص وأثر معين ، وما يفرق الماهيات ويميزها عن بعضها ليس مادتها ، بل صورتها .

فما يجعل من بيضة الدجاج بيضة دجاج بياض البيض وصفاره في هذه الحال الفعلية والخصائص الفعلية ، وحين تصبح فروجاً فإن هذا الوجود مبني على أساس هذا التشخص الفعلي ، وهو الكون فروجاً (الفروجية) .

فَمِنْ المحال أن تجتمع صورتان معاً ، أي أن تجتمع البيضة والفروج ، ويجب حتماً أن تزول صورة ما لتظهر صورة أخرى على المادة . وعموماً فإن وجود وتشخص كل موجود في عالم الخارج منوط بصورته لا بتلك المادة المشتركة .

افرضوا الآن أن إنساناً أكل إنساناً آخر ، إقاً بدون واسطة ، كأن يقتل كافر مؤمناً فيأكله مثلاً ، أو مع الواسطة ، كأن يتغذى كافر من لحم خروف أو من زراعة وفاكهة نمت على جسد مؤمن ميت . فإن تشخص ذلك المؤمن - مادام لم يصبح مأكولاً لذلك الكافر الأكل - إنما هو بنفسه الناطقة بصورته

الإنسانية القائمة بالمادّة .

وحين أكَل شكلُ الأكل بدنَ هذا الإنسان المأكول ، فإنّه قد أكل تلك المادّة لا الصورة الإنسانية ، فاتخذت تلك المادّة لنفسها الصورة الإنسانية للأكل ، وهي صورة غير تلك الصورة . فصورة المؤمن تلك موجودة في موضعها ، وصورة الكافر هذه موجودة في موضعها أيضاً .

وبناءً على ما أثبت في الفلسفة العالية ، فإنّ النفس الناطقة مجردة وموجودة بعد الموت ، وباقيّة بفعليّتها تلك لا تتغيّر أبداً .

أي أنّ ذلك الإنسان المؤمن الذي صار بدنه مأكولاً للكافر هو زيد المؤمن مادام لم يصبح بعدُ طعاماً للأكل ، فأنت تناديه بـ «زيد» فيجيبك بالإيجاب . فتقول : ما وجودك وتشخصك ؟ فيجيب : الزيدية . أنا زيد .

أما حين يصبح طعاماً للأكل ، فإنّ تلك الصورة الزيدية لا تبدّل إلى طعام وغذاء ، بل إنّ تلك الصورة باقية إلى الأبد . وما يصبح طعاماً للأكل مادة زيد التي تتعلّق بها صورة فرعون الكافر ، وهي صورة أخرى أعقبت تلك الصورة ولا ارتباط لها أبداً بصورة زيد .

على أنّ ما يجعل هذين الموجودين - أي زيد المؤمن وفرعون الكافر - متشخصين متميزين في الخارج ، وما يجعلهما زيداً وفرعونَ صورتهما الإنسانية وإيمانهما وكفرهما ونفسهما الناطقة ، فهما منفصلان عن بعضهما لا يختلطان ولا يمتزجان أبداً ، فزيد ليس فرعون ، وفرعون ليس زيداً . كما أنّ صفار البيضة ليس فرّوجاً ، والفرّوج ليس صفاراً . ولقد وجد الفرّوج حين زال الصفار .

وهكذا فإنّ وجود وشيئية البيضة والفرّوج ليسا بتلك المادّة المشتركة بينهما ، لأنّ تلك المادّة المشتركة أمرٌ مُبهم لا حصول له في الخارج ، ومن المحال أن يوجد أو يتحقّق بنفسه تلقائياً في عالم الخارج .

أي أنكم لا يمكن أن تجدوا في الخارج أي مادة دونما صورة ، كأن تجدوا - مثلاً - مادة ليست إنساناً ولا بقرة ولا خروفاً ولا خشباً ولا شجرة ولا ماء ولا هواء ولا تراباً ولا غازاً ولا غير ذلك .

فتلك المادة هي إذًا في تحققها عين الإبهام وعدم الحصول ، وما يجعل موجوداً ما حاصلًا هو الصورة التي تتعلق بالمادة .

إنَّ المعاد لا ارتباط له بالمادة أبدًا ، لأنَّ المادة ليس لها ارتباط بزيد ولا بالعمل الصالح والطالح ولا بالإيمان والكفر ، فمادة المواد مادة سارية وجارية في جميع الماديات ، وليس لها جانب للتشخص والتميز ، وليست قابلة للإشارة ليتحدث الإنسان معها ويجعلها موردًا للمؤاخذه أو الشواب ، يقسم الموجودات - من ثم - على ذلك الأساس .

لقد قسمت الموجودات على أساس الصورة ، فنحن نقول زيد ، بكر ، حسن ، حسين ، تقي ، نقي ، إنسان ، حيوان ، شجر ، مدر ؛ وهي بأجمعها تابعة للصورة ، وهذه الصور موجودة بأجمعها في عالم الدهر وظرف عالم الكون .

بيان : إنَّ بيضة الدجاجة لم تكن في بطن الدجاجة بأكثر من بيضة دجاجة ، وحين وضعت الدجاجة هذه البيضة على الأرض ، فإنها كانت بيضة دجاجة، مادة صفراء وبيضاء. فإن رقدت الدجاجة فوقها فإنها ستتبدل إلى حالاتٍ ما ، فتفقد كل يوم وكل ساعة وكل لحظة تلك الصورة الأولى وتكتسب صورة جديدة .

ثم يمر اليوم الأول والثاني والثالث والرابع و ... حتى تتبدل إلى علقه ، ثم تتقدم إلى الأمام لتتبدل إلى مُضغة ، ثم تتقدم لتتبدل إلى عظام ، فيكسو الله تلك العظام لحمًا فتتبدل بعد واحد وعشرين يوماً إلى فزوج يكسر قشر البيضة ويخرج . ويُلاحظ أنَّ عمله طيلة هذا الزمن كان تبديل الصورة

وتغييرها باستمرار ، فكان يبدل بسرعة فائقة صورةً بعد أخرى .

أشبه بنفس الإنسان الناطقة التي تغيّر لباسها في الدنيا باستمرار ، فهناك أيام الصبا وأيام الشباب وأيام الشيخوخة ، وهي بدينة أحياناً ، هزيلة أحياناً أخرى ، سليمة في بعض الأوقات ، مريضة في بعضها الآخر . فهذه الحالات المختلفة هي الأردنية والألبسة المختلفة لنفس الإنسان .

وهكذا فإنّ هذه المادة - هي الأخرى - تتخذ لنفسها باستمرار صوراً فترديها وتخلعها الواحدة بعد الأخرى ، حتى تظهر فيها الروح ويكمل الفروج فيكسر القشر ويخرج .

أفيمكننا أن نرى في لحظة واحدة خلال جميع هذه المراحل وجود صورتين مختلفتين في آن واحد في هذه البيضة ؟ فلقد كانت نطفة ولم تكن إذ ذاك علقه ؛ فصارت علقه ولم تبق كذلك في المراحل التي تليها . ثمّ اكتسبت روحاً فاستوى خلقها ، فلم تعد حينئذٍ علقه ولا مضغة ولا نطفة .

بيد أننا نتخيل أنّ تلك الحال السابقة لهذه البيضة قد زالت تماماً ولم يبق منها أثر في عالم الخارج . وأنها قد اتخذت الآن صورةً أخرى . ونتخيل أنّ تلك الحالة قد انعدمت بجميع أرجائها وليست بالمعدومة .

فهناك بيضة دجاج موجودة وباقية في الوعاء السابق لبيضة الدجاج .

لقد كانت أمس بيضة دجاج ، ثمّ تقدّمتنا من أمس إلى اليوم ، وتقدّمت هذه البيضة أيضاً من أمس إلى اليوم ، فلقد تحرّكت معنا هذه البيضة كما تحرّكنا ، ولقد اختفت عنا صورة وجودنا أمس ، واختفت عنا اليوم صورة البيضة التي كانت لها أمس ؛ وحين نتحرّك اليوم لنصل إلى الغد ، فإنّ وجود اليوم سيكون مخفياً بالنسبة إلى الغد ، كما أنّ الحالة التي تمتلكها بيضة الدجاج اليوم ستكون مخفية بالنسبة إلى الغد .

وهكذا نسير إلى زمان تتبدّل فيه هذه البيضة إلى فروج ، فتحاول

الخروج من هذه الصورة . على أن جميع سلسلة المراتب التي طوتها هذه البيضة ، والصور المتغيرة التي اتخذتها ليست حاضرة أو مشهودة لدينا الآن ، والذي أمامنا فعلاً فزّوجاً فقط ولا شيء غيره . أفهناك بيضة دجاج ؟ أهناك بياضها وصفارها ؟ أهناك الآن تلك الحالات المختلفة التي طوتها خلال بضعة وعشرين يوماً ؟ كلا .

ونحن أيضاً نحس الآن بوجودنا الفعلي في أننا موجودون الآن . أفموجوداً أمسنا معنا الآن ؟ أو موجود أمس الأول ؟ أو اليوم الذي سبقه ؟ أموجوداً معنا فعلاً جميع الأعمال التي كنّا قد فعلناها قبل عشرين يوماً ، وتلك التميزات والتشخصات التي كانت لنا ، وتلك الصور المختلفة التي بدّلناها ، هل هي موجودة الآن ؟

إنّ أيّاً منها ليس معنا الآن ، إنّ وجودنا الفعلي الآن هو الوجود الذي ندركه فعلاً لا غير . أمّا في عالم الواقع وفي عالم الكون والحقيقة فإنّ الجميع موجود ومختفٍ عنا .

نحن نقول حيناً : لقد زالت البيضة وانعدمت كلياً وضاعت في عالم الكون ، فهناك الآن فزّوج . ونقول حيناً آخر : إنّ ذلك الصفار والبياض ليسا موجودين الآن ، لكنهما كانا موجودين قبل عشرين يوماً ، وإنّ هذه البيضة التي صارت فزّوجاً ليست الآن صفاراً .

بيد أنّ هذه البيضة التي صارت فزّوجاً ، لو وضعنا جانباً كونها فزّوجاً (وهو صورة) ، وأعدنا هذه المادة إلى وراء عشرين يوماً ، لكانت البيضة موجودة في ظرف قبل عشرين يوماً .

إنّنا نولد من الأم ونطوي مراحل معيّنة واحدة بعد الأخرى ، فجميع هذه الصور المختلفة والحالات المتفاوتة موجودة في عالم الواقع وعالم الكون والوجود . إلى أن ذهبنا إلى المدرسة وصرنا شباباً ، ثم شيوخاً ، وها

نحن نقترّب من مرحلة الموت ونرحل عن هذه الدنيا . فجميع هذه التغيرات والتحوّلات موجودة في عالم الواقع وعالم نفس الأمر وعالم الوجود ، إلّا أنّنا نجهل ذلك . لماذا ؟

لأنّنا موجودون زمانيون ومكانيون ، ولأنّ الزمان والمكان من آثار وشرائط تشخّص طبيعتنا . كما أنّ أحد الأعراض التسعة العارضة على جوهر وجودنا هو أين (المكان) ، والآخر متى (الزمان) .

أي باعتبار أنّ تشخّصنا الفعليّ منوط بالزمان والمكان ، فإنّنا لهذا ندرك هذا الزمان الحاضر . ولأنّ الزمان والمكان كليهما من شرائط التشخّص ، فإنّ وجودنا الفعليّ وشخصيتنا الطبيعية قائمة بهذين الاثنين .

وهكذا فقد مرّ أمس واختفى عن الأنظار ، وتمرّ قبله أمس الأول ، كما أنّ جميع الأمكنة الموجودة في الدنيا - عدا مكاننا والحيز الذي يشغله بدننا - بعيدة عنا ومهجورة . كما أنّنا لسنا الآن - ولا يمكن أن نكون - في الأمكنة التي كنّا فيها أمس وأمس الأول .

وليس معنى قولنا إنّها مرّت ، أنّها انعدمت وفنيت وضاعت في عالم الوجود ، بل هي محفوظة جميعاً ، كلّاً في موضعه . ولقد أخذتُنا من هناك ومن ذلك الزمان وجاءت بنا إلى الأمام فوق مقطع الزمان ، حتّى أجلسنا في هذه النقطة من الزمان والمكان . فاخترى ما سبق عن نظرنا ، واستتر عن إدراكنا وإحساسنا .

إنّ هذا العبد الحقير بهذا التشخّص وقيد التحيز في هذا المكان ، وقيد الوجود في هذا الزمان ، مشهود الآن لجميع حضّار هذا المجلس ، فأنا بمرأى ومسمع منكم ، لا شكّ في هذا الأمر . لكنّ الساعة التي سبقت لي ليست موجودة الآن ، بيّد أنّها موجودة في الساعة السابقة . كما أنّ أمسي ليس موجوداً الآن ، لكنّه موجود في ذلك الظرف الزمانيّ السابق . وهكذا

فإن أمسي وأمسي الأول وشهري السابق وسنتي السابقة ، وهكذا عوداً إلى الوراء ، وكل واحد من هذه التشخيصات والخصوصيات موجود في ذلك الزمان وفي ذلك المكان ، ومقترن بتلك الأعراض والخصوصيات في عالم الوجود والواقعية والحقيقة . غاية الأمر أن منتهى الإدراك ونحو التعقل بحيث أنه لا يمكننا الآن أن ندرك الزمان السابق أو نفهم الزمان اللاحق ، وإلا فإن الجميع موجود وحاضر في عالم الوجود وعالم التكوين .

ونورد مثلاً لإيضاح هذا الأمر :

افرضوا أنكم أخذتم حبلاً طوله عشرة أمتار ، وصبغتم كل متر منه بلون خاص ، فصبغتم المتر الأول - مثلاً - باللون الأبيض ، والمتر الثاني بالأسود ، والثالث بالأخضر ، وهكذا إلى نهاية الحبل .

ثم إنكم وضعتكم عند طرف الحبل جرادة أو نملة لا تبصر إلا ما هو أمامها وقدرًا مما حولها ، فما الذي ستراه هذه الجرادة أو هذه النملة ؟ إنها ستري حبلاً أبيضاً فقط ولا شيء آخر غيره . ذلك لأن امتداد شعاع بصرها ليس حاداً بالقدر الذي يمكنها معه أن تری الألوان المختلفة إلى آخر الحبل . بل إنها لا تری ما بعد المتر الأول ، وهو اللون الأسود .

ثم إننا نمرّر هذا الحبل أمام أنظار هذه الحشرة ببطء ، بحيث ينتهي اللون الأبيض فترى اللون الأسود فقط .

فإن سألناها : ما الذي حصل للحبل الأبيض ؟ لقالت : ضاع وفني . ومهما تلفتت إلى هذه الجهة أو تلك لما شاهدت الحبل الأبيض ولا الحبل الأخضر اللاحق في القطعة القادمة . وستقول هذه الحشرة أن ليس هناك شيء في العالم غير هذا الحبل الأسود . ثم نحرك الحبل قليلاً إلى الأمام بحيث تصبح القطعة الخضراء أمامها فستقول : لقد انعدم ذلك الحبل الأسود وفني ، وليس هناك الآن مطلقاً غير الحبل الأخضر . وهكذا فكلما قدّمنا

الحبل إلى الأمام فجعلنا الألوان الأخرى أمامها ، فإنها ستعتبر ذلك اللون موجوداً وستُنكر مطلقاً الألوان الأخرى سواءً كانت في هذا الطرف من الحبل أم ذلك . أي أنها ستُنكر كلياً الألوان التي لم ترها سابقاً ، كما ستُنكر الألوان التي شاهدها واختفت من أمام عينيها ، وستعدها جميعاً معدومة وفانية .

وإذا ما سألناها : ما الذي جرى لتلك الألوان ؟ فإنها ستجيب : لقد انعدمت وزالت . فإن قلنا : إنها موجودة . فسترد : ليست موجودة قطعاً . ونسألها : ما الدليل على عدم وجودها ؟

فتقول : لأتني مهما فتحت عيني فحدقت في هذا الجانب أو ذلك لم أرَ أبداً غير الحبل الذي يقابلني الآن .

إن الجراداة أو النملة صادقة في قولها ، إنها لا ترى ، لأنها تتحدث ضمن إدراكاتها التي هي مدى بصرها فقط ، وهو - مثلاً - بقدر رؤية مترٍ واحد .

أما أنتم فتُلْقون بنظرة واحدة فترون - علاوة على الأمتار العشرة - مائة متر وألف متر من طرفي هذا الحبل . وهكذا فإن جميع هذا الحبل بألوانه المختلفة حاضر لديكم في آنٍ واحد ولحظة واحدة . فلا يمكنكم القول بأن الحبل الأبيض قد ضاع ، أو أن الأصفر قد ضاع ، أو أن الأسود قد ضاع ، فالجميع موجود ، إذ إن إدراككم السيطرة والهيمنة على جميع أقسام الحبل و أجزائه الوجودية .

پشه کی داند که این باغ از کی است

در بهاران زاد و مرگس در دی است

يقول : «إن هذه البعوضة تولد في الربيع فتخرج من البيضة ، ثم تموت في شهر دي [أي في الشتاء] ، فهي الآن تقفز في هذا الحقل ، فأنتي

لها أن تعلم عن أصل هذا الحقل وأساسه ؟ أو تعلم من رتب هذا الحقل ونظمه ؟ أو تعلم من زرع أشجاره قبل مائة سنة ، ومن أجرى القناة فيه قبل مائتي سنة ؟ وأنى لها أن تعلم عن مستقبل هذا الحقل الذي سيعمر عدة مئات من السنين أو للألف سنة القادمة ؟ إن البعوضة إنما تعلم عن الحقل بما يوازي معيشتها فقط .

وتبعاً للبراهين الفلسفية المتقنة ، فليس هناك من موجود يصبح موجوداً ويصبح معدوماً في عين وجوده ، فالوجود والعدم متناقضان ، والموجود والمعدوم متناقضان ، والبياض والسواد لا يجتمعان .
أيمكن - يا ترى - أن تكون مصابيح هذا المسجد مُضاءة ومطفأة مظلمة في نفس الوقت ؟ كلا بالطبع .

نعم ، يمكن أن تكون مطفأة مظلمة في لحظة ما ، ثم مضاءة في اللحظة التي تليها ، ثم مطفأة بعد ذلك ، إذ إن الإضاءة والظلمة المتعاقبة يمكن حصولها ، أما حصولها في زمن واحد فأمر محال .

وإذا ما ارتدى أحد رداء الوجود ثم صار معدوماً في زمن آخر ، فقد صار معدوماً في زمن يلي الأول . ولكن أيمكن القول - يا ترى - إنه كان معدوماً أيضاً في الزمن الأول .

أنا الآن حي ، ثم إنني أرتحل إلى رحمة الله إن شاء الله ، ولن يكون لي آنذاك حياة طبيعية . أيمكن القول إنني الآن لست حياً ؟ بل أنا الآن حي ، وسأبقى إلى الأبد حياً في ظرف الزمن الحالي ولن أكون ميتاً .

ذلك لأن الحياة مفروضة في هذا المقطع من الزمان ، والوجود مفترض في هذا المقطع ، ولن يتبدل الوجود في هذا المقطع في اللحظة التالية ، ولن يطرأ عليه العدم . ثم إن الوجود سيتبدل في المقطع اللاحق إلى عدم ، ولن يكون لذلك ارتباط بهذا المقطع من الزمان . ومن ثم ، وتبعاً لهذا

البرهان ، فإنّ العدم محال بالنسبة لكلّ موجود ارتدى لباس الوجود في العالم ، فكلّ شيء قد وجد ، فإنّ انعدامه من المحال .

افرضوا الآن أنّ هذا العمود الذي يحمل سقف المسجد معدوم في عين قيامه بحمل السقف . لا ريب أنّ ذلك من المحال . نعم ، إن العمود قد يرفع السقف لألف سنة ثمّ ينهار ، لكنّ هذه السنوات الألف التي كان يحمل السقف فيها ليس فيها عدم ، أمّا حين ينهار فإنّ وجوده سيزول .

وعليه فإنّ الوجود والعدم ، والموجود والمعدوم لا يجتمعان ، والشيء الذي وجد لن يرتدي لباس العدم في عين وجوده وزمن وجوده . أمّا الآن وقد اتّضح هذا المطلب ، فنقول :

إنّ الله سبحانه قد أوجد عالماً في بداية الخلقة (ولن نتعرّض فعلاً لبحث سلسلة المراتب الطولية ونكتفي بالحديث عن المراتب العرضيّة).

لقد خلق الله العالم ، وخلق الشمس والقمر والنجوم ، ثمّ انقضت مدّة فخلق آدم ، ثمّ ظهر أولاد من آدم وحوّاء ، ونشأ منهم نسل البشر ، ثمّ وُجدت أمم وأنبياء ، الواحد بعد الآخر ، ثمّ زالت ، حتّى وصل الدور إلى زمان خاتم الأنبياء محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، واستمرّ الأمر من ذلك الزمان إلى زماننا هذا ، وسيبقى من هذا الزمان إلى يوم القيامة ، وبعد يوم القيامة إلى ما يعلمه الله تعالى . على أنّ جميع هذه الموجودات السابقة واللاحقة ، التي هي غير موجودة الآن ، ليست موجودة في ظرف هذا اليوم مع ظروفها الخاصّة . أي أنّها غير موجودة في ظرف هذا الزمان ولا في موطنه ، بل موجودة بأجمعها في أزمنتها ومواطنها . لقد جئتم بالماء في القدر ، فهذا الماء ليس في «السماور»^١ ، لكنكم

١- السماور وعاء معدنيّ في وسطه مكان لإشعال النار ، يستعمل لغلي الماء . (م)

لا تستطيعون القول مطلقاً إن الماء ليس موجوداً في القدر والسماور .
 إن الماء في القدر - مع قيد أنه في القدر - ليس موجوداً في مكان
 آخر ، وتلك الموجودات - مع قيد وجودها في هذا الزمان - ليست موجودة
 في ذلك الزمان . كما أن الموجودات التي كانت موجودة في ذلك الزمان
 - مع قيد وجودها في ذلك الزمان - ليست موجودة في هذا الزمان . ولكن هل
 تكون موجودات ذلك الزمان غير موجودة في ذلك الزمان ؟ من المحال أن
 لا تكون موجودة فكل موجود يوجد في أي زمان ، هو - بدون شك -
 موجود في خصوص ذلك الزمان .

إن آدم أبا البشر على نبتنا وآله وعليه السلام غير موجود الآن ، إلا
 أنه موجود في ذلك الزمان الذي خلع فيه الله عليه رداء الحياة . فآدم
 أبو البشر حي ، ولكن ليس في هذا الزمان ، بل في ذلك الزمان . بيد أن
 إدراكنا لا يصل بحيث نرى ذلك الزمان ، وإذا افترضنا أن إدراكنا يصل إلى
 حيث نرى ذلك الزمان ، فسرى آدم آنذاك ونرى حواء . وسرى إبراهيم
 وإسماعيل عليهما السلام في زمانهما ، وستفترج على الآباء واحداً فواحداً
 إلى زمان رسول الله خاتم النبيين وأمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام .
 سرى سلسلة آبائنا ، وسراهم متحركين جميعاً ، وذوي إحساس
 جميعاً ، وذوي شهود جميعاً ، لأننا نراهم مع جميع أعمالهم طيلة حياتهم ،
 لا نتخطأهم لحظة واحدة . وسرى موسى كلم الله في جبل الطور في تلك
 الليالي الأربعين التي ذهب فيها لميقات الله ومناجاته . وسرى عيسى ابن
 مريم وجميع معجزاته طيلة فترة حياته .

فلم لا نرى ذلك الآن ؟ ذلك لأننا - كشأن تلك الجرادة والنملة -
 لا ندرك إلا ما يوجد أمامنا . نحن ندرك اللحظات الموجودة فعلاً ، فلا نرى
 الآن اللحظات العديدة التي سبقت ، وما هو موجود منها إنما هو صورة في

ذهنكم أمّا أصل تلك اللحظات فثابت في الذهن الكلّي لهذا العالم .
 وإذا فُرض الآن أُنكم رقيتم إلى ما فوق عجلة الزمان ، فإنكم سترون
 الجميع ؟ وسترون معجزات النبي موسى ويده البيضاء والعصا والشعبان ،
 وترون معجزات رسول الله وجميع ما فعله الأولون والآخرون من الجنّ
 والإنس ، وكلّ واحد من الجمادات سواء فوق الأرض أم تحتها ، وكلّ ما في
 السماء ، وجميع الحيوانات والملائكة وطائفة الجنّ ، فهي بأجمعها موجودة
 وثابتة في أمكنتها المعيّنة دون ذرّة واحدة من زيادة أو نقصان .

لقد كان المرحوم والدي رحمة الله عليه يقيم صلاة الجماعة في هذا
 المسجد ، وقد انقضى على رحيله عن الدنيا ثلاثون سنة . افرضوا أنّه كان قد
 أقام صلاة المغرب والعشاء قبل خمس وثلاثين سنة ، وأنّه جلس في مثل
 شهر رمضان هذا مقابل الناس وانهمك بتفسير سورة الأعلى ، وأنّ كورة^١
 عمامته كان آنذاك مفتوحاً ومُنساباً إلى الأسفل ، وأنّ جزءاً من حافة الكورة
 قد اكتنفه الغبار .

ولو شاهدتم الآن ذلك المجلس بعين البصيرة لا بعين البصر ، أي
 بعين فوق الزمان ، لرأيتموه جالساً وقد استقبل الناس بوجهه ، مشغولاً
 بتفسير سورة الأعلى ، وكورة عمامته مسدله وقد اغبرّ جزء من حافتها ،
 ولكانت جميع الخصائص ، حتّى تغيّر السحنة والقسمات والتبسّم وحركة
 اليدين ، مشهودّةً بأجمعها . ولو اجتمع الأولون والآخرون فأرادوا في عالم
 الوجود أن يزيلوا غبار العمامة ذلك ويعدّمونه لما استطاعوا ، ولو شاؤوا أن
 يزيدوا أو ينقصوا من عدد أنفاسه لما استطاعوا ، ولو شاؤوا أن يعدّموا قطرة
 عرق واحدة من جبينه لما استطاعوا .

وما أعجب ما تبيّن آيات القرآن المباركة هذا الأمر بجلاء ووضوح :
وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا

١- كورة : دورة لف العمامة . (المنجد).

مَا لِهَذَا أَلْكَتَبَ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.^١

حين يُحْشَرُ الإنسان يوم القيامة للحساب ويرتقي فوق الزمان ، فإنه سيطَّلَعُ على جميع أفعاله وتصرفاته ، فإن كان له درجات في تهذيب النفس ، فما أحراه أن يطلع على جميع الموجودات ، فتكون بأجمعها حاضرة لديه .

ولو حصل أن أُزِيلَ الزمان عنا نحن البشر الزمنيين ، لما رأينا الموجودات الفعلية لوحدها ، بل إن جميع الموجودات السابقة ستكون هي الأخرى حاضرة لدينا فعلاً ، لأن الزمان هو الذي يفصل بيننا وبين الموجودات السابقة أو اللاحقة ، فإن ارتفعنا - فرضاً - عن الزمان ، تساوى لدينا جميع الموجودات السابقة والحالية والمستقبلية ، وأمكنا أن ننظر إليها بأجمعها بنظرة واحدة فنطلع على حالها . وسيكون الماضي والمستقبل آنذاك بلا معنى ، وسيكون السبق واللاحق بلا معنى ، وسيكون زمن آدم أبي البشر واحداً مع زمن النبي نوح ومع زمن الرُّسُل الآخرين ومع زمن قيام قائم آل محمد أرواحنا له الفداء ، أي أنه لن يكون هناك زمان عموماً لِيُمَيِّزَ على أساسه سابقٌ ولاحق ، أو مقدم ومؤخر ؛ بل سيكون الجميع حاضرين في صف واحد من الثابتات .

أي أننا سنكون في تلك الحال في أفق عالٍ واحد . وسنكون مُهَيِّمِينَ مُسَيِّطِرِينَ على جميع الموجودات في آنٍ واحد ، وعلى جميع الموجودات الزمانية من زمان آدم إلى يوم القيامة .

وكما أن الماضي لن يكون له من معنى بالنسبة لنا ، فإن المستقبل هو

١- الآية ٤٩ ، من السورة ١٨ : الكهف .

الآخر سيكون بلا معنى . وسيكون كلّ عمل سيفعله أولادنا وأحفادنا في الدنيا إلى يوم القيامة حاضراً وموجوداً أمامنا . فإن سُئِلنا : ماذا يدور في الدنيا ؟ وماذا حدث أمس ؟ فإننا سنتطّلع إليه ونجيب على الفور .

وإن سألوا مثلاً : ماذا كان حديث تينك الحمامتين اللتين عشعشتا في السنة الفلانية في الجبل الفلاني ؟ فإننا سنجيب فوراً ونصرّح بخصوصيات حديثهما ونيتتهما .

وإذا ما سُئِلنا الآن : ماذا في المسجد ؟ فإننا سنجيب فوراً : عدّة قطع من السجّاد ، منبر ، مكتب للصوت ، ساعة جداريّة ، عدّة نسخ من القرآن الكريم ، و ... غير ذلك . بيد أنّنا - باعتبارنا موجودين مكانيتين - لن نرى مكاناً آخر غير هذا المسجد الذي نجلس فيه ، فجدران المسجد هذه ، وسقفه هذا حاجب وحائل . أمّا لو ارتفعنا عن المكان ، فعشنا - فرضاً - في أفق ليس فيه مكان ، فإنّ التفاوت سيزول آنذاك بين هذا المسجد وبين غيره ؛ فالجدار لم يعد حائلاً ، وستصبح جميع الأمكنة والمواضع فوق الأرض مشهودة لنا ومعلومة لدينا .

فإن سُئِلتم : ماذا يجري في مكّة المكرمة ؟ فإنكم لن ترونها فقط ، بل وستكونون هناك أيضاً !

ماذا يجري في الكرة الأرضيّة ؟ ماذا يجري في كوكب النبتون ؟ ماذا يجري في الشمس والقمر والزهرة والمجرات ؟ إنكم ستجيبون على الفور على جميع ذلك وكما أنّ اللازمان له السيطرة على جميع الأزمنة ، فإنّ اللامكان له السيطرة هو الآخر على جميع الأمكنة .

وهكذا فإنّ ما ورد في الأخبار والتواريخ من العلم الغيبيّ للأنبياء على نبينا وآله وعليهم السلام ، ولرسول الله وأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام هو من هذا القبيل .

إننا نرحل عن دار الدنيا ، فنذهب إلى حيث نعلو عن الزمان والمكان - ذلك لأنّ نفسنا الناطقة مجردة وليست زمانية أو مكانية ، في حين أنّ بدننا الطبيعيّ الذي يعيش في هذه الدنيا مادّي وغير مجرد - فنرى أنفسنا آنذاك مهيمنين على أعمالنا وسيرتنا وتصرفاتنا في الدنيا .

ولقد كانت نفسنا الناطقة - وهي روح قدسية - حبيسة قفص البدن أليماً معدودة ، أسيرة المادة والماء والelf ، أمّا حين يتحطم القفص فتحلق عالياً ، فإنّها ستري نفسها طليقةً في عالم القدس وفي فضاء التجرد اللامتناهي ، فهي مطلعة على كلّ مكان ، ولها المعية مع كلّ شخص ومع كلّ شيء .

تراز كنگره عرش می زنند صفر

ندانمت که در این دامگه چه افتاده است

که ای بلند نظر شاهباز سدره نشین

نشیمن تو نه این گنج محنت آباد است

غلام همت آنم که زیر چرخ کبود

زهر چه رنگ تعلق پذیرد آزاد است^١

اگر چه مستی عشقم خراب کرد ولی

اساس هستی من زان خرابی آباد است

١- «ديوان حافظ» حرف التاء ، ص ١٠ ، الغزل رقم ١٥ : طبعة بژمان .

يقول : «إنهم ينادونك من تسرفات العرش ، أن ما الذي وقع في هذه الأحبولة والمصيدة ؟

فيا أيها الصقر ذو النظر الثاقب ، المستقرّ في سدره المنتهى ! ليس مأواك هذه الخربة المبنية بالمحنة !

تأسرني همّة من تحرّر طليقاً من كلّ ما يتعلّق به تحت هذه السماء الزرقاء».

گدای کوی تو از هشت خُلد مستغنی است

اسیر بند تو از هر دو عالم آزاد است^١

إنّ نفسنا الناطقة ، أي حقيقة إنسانيتنا التي هي خليفة الله ، ليست زمانية ولا مكانية ، فجعلها الله متعلقة بالمادة ، أي بالبدن الزماني المكاني . لذا فإننا سنكون أسرى مادتنا متمسكين بالمادة . فنحن نريد الاطلاع على عالم التجرد وسعة اللازمان واللامكان ، إلّا أنّ العلائق المادية والهوى والآمال البعيدة تفصل بيننا وبين ذلك العالم .

ومهما نادى الأنبياء وأولياء حرم قدس الربّ المتان : افتحوا أعينكم !

إصغوا بأسماعكم . أفرغوا قلوبكم من حبّ الدنيا ، لتكونوا دوماً خفيفي الحمولة ، خفيفي الحركة ، وليكون الرجوع إلى عالم الأبدية سهلاً لكم ! فإنّ الرائحة العفنة لجيفة الدنيا قد خدّرت مشاعرنا وأفسدتنا بحيث صرنا لا نجيب بالإيجاب على نداء أولئك الأجلاء .

إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^٢

يَأَيُّهَا الْأَنسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ^٣

إنّ علينا في النهاية أن نقطع عن أنفسنا علائق الدنيا ، ونرتدي رداء

١- نفس المصدر ، الغزل ١٧ .

يقول : «مع أنّ نشوة العشق وشكره قد بعث في الخراب ، لكنّ أساس وجودي عامز من هذا الخراب . (أي أنّ دمار العشق ليس إلّا عُمراناً) .

إنّ من شحذ في حيّك لمستغني عن الجنان التمانية ، ومن أسره قيدك فهو حرٌّ عن العالمين» .

٢- النصف الثاني من الآية ١٥٦ ، من السورة ٢ : البقرة .

٣- الآية ٦ ، من السورة ٨٤ : الانشقاق .

الوجود وسعة فضاء القدس ، فإن لم نفعل ذلك اختياراً وطوعاً ، فإن الموت المكتوب على جبين جميع البشر ، والحركة من عالم المادة والمدة والورود إلى عالم التجرد سيكون سيراً تكوينياً للجميع ، وسيصل الجميع - من ثم - إلى صور الأعمال . سواءً في ذلك السعيد منهم والشقي ، المؤمن منهم والكافر ؛ الجميع سيصلون إلى حيث يدركون وجودهم المجرد . وحين سيدركون إدراكاً مجرداً ، فإنهم سيمتلكون السيطرة على جميع الأعمال التي فعلوها ، وسيدركون أنفسهم مع جميع الأعمال التي اجترحوها ، مع جميع أنواع الثواب وجميع أنواع العذاب . ولن يروا أنفسهم فقط ، بل وسيدركونها ويفهمونها . وكما ندرك في الدنيا أنفسنا وأعمالنا ، فإنهم سيدركون أنفسهم وجداناً مع جميع الأعمال والنوايا .

الرد على شبهة الأكل والمأكل : إن هناك جنة وناراً . فأَي جنة وجهنم أعلى من أن تظهر للإنسان هذه الصور التي تنشأ إثر الأعمال . بل هي نفس الأعمال الحسنة وحقائقها ؟ ومن أن تبرز للإنسان تلك الأعمال القبيحة مع حقائقها أيضاً ؟

سينكشف للإنسان ذلك الاستكبار والتمرد والفرعونية التي بدرت منه . وتلك الغفلات التي كانت له في الدنيا ، والتي تمرد وعصى بدافع منها . كما سينكشف له تلك الملامح الملكوتية والحقيقية . أي أن الإنسان سيدرك نفسه دفعةً واحدة مع جميع أعماله التي فعلها طيلة مدة عمره .

وتلاحظون - بهذا البيان - كم هي واهية شبهة الأكل والمأكل ؟ وكم هي بعيدة عن مرحلة التحقيق ؟ فتلك الشبهة إنما تعتمد على مبنى أصالة المادة ؛ وأصالة المادة في أن شيئاً الشيء قائمة على ذلك الشيء . وهو كلام واهٍ وضعيف بحيث يهزأ به الأطفال . بل إن الحيوانات تتخطاه فلا تُلقِي له بالاً . ذلك لأنكم لو ألقيتم قطعاً من السكر في الخل ، ثم

أعطيتموه للطفل فإنه لن يتناوله مع أن المادة نفس المادة ، لأن ذلك الطفل يعلم أن شبيثة السكر إنما هي بصورة السكر لا بمادته . ولو لطحتم التبن والبرسيم بالخل ، لما أكله الحيوان آنذاك ، لأنه يلتفت إلى الصورة لا إلى المادة .

إِذْ صُورَةٌ بِصُورَةٍ لَا تَنْقَلِبُ عَلَى الْهَيُولَى الْأَنْحِفَاطُ مُنْسَجِبٌ
إن جميع الأجساد والأبدان ستحشر بأجمعها يوم الجزاء ، وسيحشر الآكل والمأكول بتماهما وكما لهما ؛ على أن شبهة الآكل والمأكول قائمة على أساس أصالة المادة ، وليست المادة شيئاً ، بل هي أمر مبهم لا اسم له ولا تحصيل ولا وجود ولا شخصية ، بل إن حقائق الأشياء بصورها ، وهذه الصور ثابتة بالمادة فهي لا تختلط ولا تمتزج ببعضها . كما أن الصورة لا تنقلب إلى أخرى ، فتحفظ هيولى ومادة تلك الصور بذلك التشخص ، وهذا الحفظ سارٍ وجارٍ على الدوام .

فَفِي وَعَاءِ الدَّهْرِ كُلِّ قَدْ وَقِيَ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ عِنْدَهُ بَقِي
ومع أن الصور مختفية عنا ، وأن حجاب المادة والمدة والزمان والمكان لا يدعنا لحظة واحدة ندرك جميع الصور ، إلا أن جميع الصور ، وجميع النفوس وجميع الأشياء ، وجميع الموجودات ، وأعمال كل واحد ، ثابتة وموجودة في موضعها في ظرف العصر ، وعالم الدهر وعالم الوجود والتكوين .

كما أن العمامة ذات التكويرة المسدلة المغبرة موجودة إلى جانب ذلك وفي موضعها ، ومنظر أولئك الذين شربوا شايبهم المرّ قبل ثلاث سنوات فتناولوا معه حبة سكر واحدة محفوظ بهيئته . و مكان الذنب لذلك الذي أذنب محفوظ ، شأنه شأن مكان الطاعة المحفوظ بعينه لذلك الذي أطاع . فهذه الأعمال مسجلة ومدونة مع خصائصها ودقائقها وظرافتها . ومع

نيتها والهدف المقصود بها ، بحيث إن الآلاف من البشر لو شاؤوا تدوين ذلك بذلك القدر من الدقة والصحة ، ومع حفظ الشرائط والمقدمات والتقدم والتأخر لما أمكنهم ذلك .

يبد أن الوجود يستلزم الوجود ، ولا يمكن ان يتبدل إلى العدم ، فهم يحافظون عليها جميعاً ويحرسونها في ظرف الدهر وفي عالم الوجود والحقيقة . وبالرغم من أنها تنفذ لدينا وتهلك وتفنى ، إلا أنها لا تفنى عند الله عالم السر والخفيات . فذلك العمل الذي فعلناه صار خفياً بالنسبة لنا ، لكنه حاضر عند الله العليم الخبير . لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ^١

أَوْ لَمْ يَقُلْ سُبْحَانَهُ : مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ^٢

إن هذه الأعمال التي نقوم بها لها صورتان وجانبان ، جانب طبيعي ظاهري منسوب لنا ، وجانب ملكوتي وباطني منسوب إلى الله تعالى . فالجانب الظاهري معرض دوماً للهلاك والفناء والاضمحلال ، أما الجانب الباطني ! (أي الوجهة الإلهية الملكوتية) فثابت على الدوام ومتحقق في عالم الخارج عند الله سبحانه .

تُبْلَى إِذَا غِطَا زَمَانُنَا انْخَزَلُ مَرَاتِبُ السَّيَالِ مَعَ كُلِّ عَمَلٍ

وحين ينخزل غطاء الزمان وينشق ، فإن الأعمال التي فعلناها ستظهر دفعة واحدة لنا مع جميع الموجودات التدريجية التي ظهرت واختفت في هذا العالم بصورة متعاقبة . وحين يأتي الموت الطبيعي أو الاختياري اختياراً أو اضطراراً ، فسيتضح آنذاك ما الذي وراء الستار والغطاء، وستظهر

١- مقطع من الآية ٣ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

٢- صدر الآية ٩٦ ، من السورة ١٦ : النحل .

الأعمال التي فعلناها وكنا نتخيل دوماً أنها زالت ، وأن فلاناً لم يطلع على عملنا ، وأن أحداً لم يطلع على هذا العمل ، وأنه لم يعلم بالفعل الفلاني . نتخيل أننا فعلنا العمل الفلاني ! فلم يعلم به أحد والحمد لله . ونتخيل أننا سبقنا الله تعالى وخلفناه وراءنا. لكأننا لم ندرك ولم نفهم أبداً، ثم جئنا الآن إلى هنا، فانخزل الغطاء والستار من أمام الأبصار ، ولم يدُر في خلدنا أننا ذخرننا ذلك وجمعناه . ثم يتصاعد صراخ الإنسان : ما الخبر يا إلهي ؟ أي عالم هذا ؟ أي كتاب هذا ؟

فَذَلِكَ الْكِتَابُ لَنْ يُغَادِرَا شَيْئاً صَغِيراً وَلَا كَبِيراً^١
وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً * وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً * وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوْلَيْتُنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَداً^٢
إن جميع الأعمال التي فعلها الإنسان إنما فعلها بنفسه ، فهي بعينها حاضرة أمامه ، وأنداك سيعلم الجميع أن الله لم يظلم أحداً ، وأن هذه الأعمال بهذه الصور القبيحة الكريهة هي عين الأعمال التي اجترحها الإنسان بيده ، وقدمها أمامه ، فلقد سقر جهنم بيده ، وغرس أشجار الجنة بيده . وجعل بيده نساء الجنة تهب على مشامه ، وسقر لظى جهنم وأشعلها بيده وبشرارته .

١- الآيات المذكورة للحكيم السبرواري ، وذلك في «المنظومة» ص ٣٤٥ و ٣٤٦ .

٢- الآيات ٤٧ إلى ٤٩ ، من السورة ١٨ : الكهف .

زَاهِدٌ مَنْ أَلْذَمَا جَهَنَّمَ دَهُ أَوْ ذُ أَوْلَمَارُ
أَلَّا زَكِيَّ يَا نُؤَلَّارُ أُوْدِي بُورْدَانُ أَيْسَارُ لَّارُ
يقول : لا تخدعني أيها الزاهد ، فليس هناك في جهنم من نار . إنَّ
الذين يحترقون هم الذين يصطحبون النار معهم من الدنيا .

الْمَجْلِسُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي الرَّدِّ عَلَى الشُّبُهَاتِ الْوَارِدَةِ عَلَى الْمُعَادِ الْحُسَيْنِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ
انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا
قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ^١.

أي أنّ نفس الإنسان ستعلم الأعمال التي قدّمتها سابقاً في قديم
الأيّام ، والأعمال التي قدّمتها أخيراً في الأزمنة الحديثة . وبهذا المعنى
جاءت الآية المباركة الثانية من السورة ٤٨ : الفتح :
لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ .

العقائد المختلفة في المعاد حسب نقل صدر المتألهين :
ينقل المرحوم صدرا رضوان الله عليه مطالب في «الأسفار» في عقائد
الناس المختلفة في كيفة المعاد ، وهي مطالب تستحق التأمل ، يقول فيها :
إنّ من الأوهام العاميّة والآراء الجاهليّة رأي من ذهب إلى استحالة
النفوس والأجساد وامتناع أن يتحقّق في شيء منهما المعاد ، وهم الملاحدة

١- الآيات ١ إلى ٥ ، من السورة ٨٢ : الانفطار .

والطباعية^١ والدهرية وجماعة من الطبيعيين والأطباء الذين لا اعتماد عليهم في الملة ، ولا اعتداد برأيهم في الحكمة . زعماً منهم أن الإنسان ليس إلا هذا الهيكل المحسوس حامل الكيفية المزاجية وما يتبعها من القوى والأعراض، وأن جميعها ممّا يعدم بالموت ويفنى بزوال الحياة ولا يبقى إلا المواد المتفرقة ، فالإنسان كسائر الحيوان والنبات إذا مات فات ، وسعاده وشقاوته منحصرتان فيما له بحسب اللذات والآلام البدنية الدنيوية . وفي هذا تكذيب للعقول على ما رآه المحققون من أهل الفلسفة ، وللشرع على ما ذهب إليه المحققون من أهل الشريعة .

والمنقول من جالينوس في أمر المعاد هو التردد والتوقف بناءً على توقفه في أمر النفس أنه هل هي المزاج فتفنى بالموت ولا يعاد ، أم هي جوهر مجرد فهو باقٍ بعد الموت فلها المعاد . ثم من المتشبهين بأذيال العلماء من ضمّ إلى هذا أن المعدوم لا يُعاد ، فإذا انعدم الإنسان بهيكله لم يمكن إعادته وامتنع الحشر .

والمتكلمون منعوا هذا بمنع امتناع إعادة المعدوم تارةً ، وبمنع فناء الإنسان بفساد هيكله أخرى . فقالوا : إن للإنسان أجزاءً باقيةً إما متجزئة أو

١- الفرق بينهما (بين الطباعية والدهرية) أن الطباعية بعد المواد الجسمانية ، وهى القوى الانفعالية لم يتطّنوا من القوى الفعلية والمبادئ الفاعلة إلا بالقوى والطباع المقارنة ، ولم يعثروا بالمبادئ البرزخية والمجردات المضافة التي هي النفوس النطقية القدسية فصلاً عن المجردات المرسله ، فكيف على من له الأمر والحلق القدوس السبوح رب الملائكة والروح . والدهرية تقول باقتضاء الزمان وفصوله للاجتماع والافتراق والحياة والموت وبحو ذلك فنبأً لنظرهما وتعمساً على فكرهما . نعم ، من لا يعرف اللطيفة المجردة في ذاته كتب لا يعجز عن إتيان المجردات في الإنسان الكبير الخارج منه وعن معرفة الله تعالى . (الحكم السبزواري قدس سره).

غير متجزّية ، ثم حملوا الآيات والنصوص الواردة في بيان الحشر على أنّ المراد جمع الأجزاء المتفرقة الباقية التي هي حقيقة الإنسان . والحاصل أنّ أصحاب الكلام ارتكبوا في تصحيح المعاد أحد الأمرين المستنكرين المستبعدين عن العقل بل النقل ، ولا يلزم شيء منهما . بل العقل والنقل حاكمان بأنّ المُعاد في الآخرة هو الذي كان مصدر الأفعال ومبدأ الأعمال مكلفاً بالتكاليف والواجبات والأحكام العقلية والشرعية . ثم لا يخفى أنّ الشبهة لا تنقلع عن أراضٍ أو هام الجاحدين المنكرين للحشر والقيامة ، إلّا بقطع أصلها . وهو أنّ الإنسان بموته يفنى ويبطل ولا يبقى ، لأنّه ليس إلّا الهيكل مع مزاج أو صورة حالة فيه . وقد مرّ قطع هذا الأصل مستقصى .

وقد اتفق المحققون من الفلاسفة والمليّين على حقيقة المعاد وثبوت النشأة الباقية ، لكنهم اختلفوا في كيفيته ، فذهب جمهور الإسلاميين وعامة الفقهاء وأصحاب الحديث إلى أنّه جسمانيّ فقط بناءً على أنّ الروح عندهم جسم سارٍ في البدن سريان النار في الفحم والماء في الورد والزيت في الزيتونة ، وذهب جمهور الفلاسفة وأتباع المشائين إلى أنّه روحانيّ ، أي عقليّ فقط ، لأنّ البدن ينعدم بصوره وأعراضه لقطع تعلّق النفس عنها . فلا يُعاد بشخصه تارة أخرى ، إذ المعدوم لا يعاد . والنفس جوهر مجرد باق لا سبيل إليه للفناء ، فتعود إلى عالم المفارقات لقطع التعلّقات بالموت الطبيعي .

وذهب كثير من أكابر الحكماء ومشايخ العرفاء وجماعة من المتكلّمين ، كحجّة الإسلام الغزاليّ والكعبيّ والحليميّ والراغب الإصفهانيّ ، وكثير من أصحابنا الإماميّة كالشيخ المفيد وأبي جعفر الطوسيّ والسيد المرتضى والعلامة الحلّيّ والمحقّق (الخواجة نصير الدين الطوسيّ) رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إلى القول

بالمعادين^١ جميعاً ذهاباً إلى أنّ النفس مجردة تعود إلى البدن ، وبه يقول جمهور النصارى والتناسخية ، إلا أنّ الفرق بأنّ محققي المسلمين ومن يحذو حذوهم يقولون بحدوث الأرواح وردّها إلى البدن لا في هذا العالم ، بل في الآخرة ، والتناسخية بقدّمها وردّها إلى البدن في هذا العالم ، ويُنكرون الآخرة والجنة والنار الجسمانيتين . ثمّ إنّ هؤلاء القائلين بالمعادين جميعاً اختلفت كلماتهم في أنّ المعاد من جانب البدن ، أهو هذا البدن بعينه أو مثله ، وكلّ من العينية أو المثلية أيكون باعتبار كلّ واحد من الأعضاء والأشكال والخطوط أم لا ، والظاهر أنّ هذا الأخير لم يوجبه أحد ، بل كثير من الإسلاميين مال كلامهم إلى أنّ البدن المُعاد غير البدن الأوّل بحسب الخلقة والشكل .

وربّما يستدلّ عليه ببعض الأخبار المذكورة فيها صفات أهل الجنة والنار ككون أهل الجنة جرداً مردأً ، وكون ضرس الكافر مثل جبل أحد . وبقوله تعالى : كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ^٢.

وبقوله تعالى : أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ^٣.

١- هذا هو القول الفحل والرأي الجزل ، لأنّ الإنسان بدن ونفس ، وإن شئت قلت نفس وعقل ، فللبدن كمال ومجازاة ، وللنفس كمال ومجازاة ، وكذا للنفس وغواها الجزئية كمالا وغايات تناسبها ، وللعقل وقواه الكلية كمال وغاية . ولأنّ أكثر الناس لا تناسبهم العايات الروحانية العقلية ، فيلزم التعطيل في حقهم في القول بالروحاني فقط ، وفي القول بالجسماني فقط يلزم في الأقلين من الخواص والأخصين . (الحكيم السبزواري قدس سره).

٢- مقطع من الآية ٥٦ ، من السورة ٤ : النساء .

٣- الآية ٨١ ، من السورة ٣٦ : يس .

فإن قلت : فعلى هذا يكون المثاب والمعاقب بالذات والآلام الجسمائية غير من عمل الطاعة وارتكب المعصية .

قيل في الجواب : العبرة في ذلك بالإدراك وإنما هو للروح ولو بواسطة الآلات وهو باقٍ بعينه ، ولهذا يُقال للشخص من الصبا إلى الشيخوخة إنه هو بعينه وإن تبدلت الصور والمقادير والأشكال والأعراض ، بل كثير من الأعضاء والقوى ، ولا يُقال لمن جنى في الشباب فعوقب في المشيب إنها عقاب لغير الجاني ، هذا تحرير المذاهب والآراء ، والحق كما ستعلم أن المُعاد في المعاد هو هذا الشخص بعينه نفساً وبدناً ، فالنفس هذه النفس بعينها ، والبدن هذا البدن^١ بعينه ، بحيث لو رأيته لقلت رأيته بعيني فلان الذي كان في الدنيا . وإن وقعت التحولات والتقلبات إلى حيث يُقال هذا ذهب وهذا حديد ، وربما ينتهي في كلاهما إلى حيث يتحدان ويصيران عقلاً محضاً واحداً ، ومن أنكر ذلك فهو مُنكر للشرعية ناقص في الحكمة ، ولزمه إنكار كثير من النصوص القرآنية^٢ .

ويعد كثير من المتكلمين كالفخر الرازي ومن حذا حذوه في باب الاعتقاد بحشر الأجساد ، المعاد مادياً طبعياً بهذه المادة الكثيفة الظلمانية . ولايضاح مرامهم فإننا نورد عين عبارات صدر المتألهين :

١- أي البدن البرزخي والأخروي هذا البدن الدنيوي ، لكن لا بوصف الدنيوية والطبيعية ، وإنما كان هو هو بعينه لما مضى ، وسيأتي أن شيئاً من الشيء بصورته ، أي الصورة البدنية ، لا بمادته وصورته التي بمعنى ما به الشيء بالفعل وهو النفس - والنفس متشخص - فإذا كان متشخص هذا وذاك باقياً ، فكيف لا يكون الشخص بمعناه وصورته باقياً ، وتشخص النفس بالوجود الحقيقي وهو عين وحدتها وتشخصها ، وسيحقق المصنف قدس سره المقام بأبلغ وجه (الحكيم السبرواري قدس سره)

٢- «الأسفار» ج ٩ ، ص ١٦٣ إلى ١٦٦ ، من الطبعة الحروفية .

نظرية المتكلمين في المعاد الجسماني :

إنّ المعاد عندهم عبارة عن جمع متفرقات أجزاء ماديّة لأعضاء أصليّة باقية عندهم ، وتصويرها مرّة أخرى بصورة مثل الصورة السابقة لتتعلق النفس بها مرّة أخرى ، ولم يتفطنوا بأنّ هذا حشر في الدنيا لا في النشأة الأخرى ، وعودوا إلى الدار الأولى دار العمل والتحصيل لا إلى الدار العقبي دار الجزاء والتكميل ؛ (وهي عقيدة تعود إلى التناسخ) فأين استحالة التناسخ ؟ وما معنى قوله تعالى : نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ .^١ وقوله تعالى : نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا .^٢

ولا يخفى على ذي بصيرة أنّ النشأة الثانية طور آخر من الوجود يُباين هذا الطور المخلوق من التراب والماء والطين ، وأنّ الموت والبعث ابتداء حركة الرجوع إلى الله أو القرب منه ، لا العود إلى الخلقة الماديّة والبدن الترابي القدر الظلماني .

ثم جعل الفخر الرازي في «التفسير الكبير» يستدلّ على إثبات ما فهمه وتصوّره من معنى الحشر والمعاد بآيات قرآنيّة وقعت في باب القيامة والبعث ، ويحملها على ما وافق طبعه ورأيه . فقال : إنّ قوله تعالى في سورة الواقعة من الآيات إشارة إلى جواب شبهة المنكرين الذين هم من أصحاب الشمال المجادلين ، فإنّهم قالوا :

أَيُّدَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعْنَا لَمَبْعُوثُونَ * أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ .^٣

١- الآيتان ٦٠ و ٦١ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٢- الآية ٢٨ ، من السورة ٧٦ : الإنسان .

٣- الآيتان ٤٧ و ٤٨ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

وأشير إلى إمكانها هذا بوجوه أربعة :
أولها : قوله تعالى : أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ءَمْ نَحْنُ
الْخَالِقُونَ.^١

وثانيها قوله تعالى : أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ءَمْ نَحْنُ
الزَّارِعُونَ.^٢

وثالثها قوله تعالى : أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ
مِنَ الْمُزْنِ ءَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ.^٣

والرابع من تلك الوجوه قوله تعالى : أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ *
ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا ءَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ.^٤

ثم نقل الفخر الرازي مطالب في تفسير الآيات وتأويلها على مراده ،
بحيث تعسف في حملها على ما يخرج عن مفادها ومضمونها ، وبحيث
يمكن أن يُعَدَّ تحريفاً معنوياً للآيات ، وقد أعرضنا عن نقل كلامه اجتناباً
للإطالة .

ثم يقول الملا صدرا بعد ذلك : وهذا نهاية ما بلغ إليه فهم أهل
الكلام . وغاية ما وصلت إليه قوة نظر علماء الرسوم في إثبات النشأة
الأخرى وحشر الأجسام ونشر الأرواح والنفوس ، وفيه مع قطع النظر عن
مواضع المنع والخذش ، وعن تحريف الآيات القرآنية عن معانيها
والأغراض المتعلقة بها المقصودة منها المنساقة هي إليها ولأجلها - كما

١- الآيتان ٥٨ و ٥٩ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٢- الآيتان ٦٣ و ٦٤ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٣- الآيتان ٦٨ و ٦٩ ، من السورة ٥٦ ، الواقعة .

٤- الآيتان ٧١ و ٧٢ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

سنشير إليه - أنّ ما قرّره وصوره ليس من إثبات النشأة الأخرى وبيان الإيمان بيوم القيامة في شيء أصلاً .

فإنّ الذي يثبت من تصوير كلامه وتحرير مرامه ليس إلا إمكان أن يجتمع متفرقات الأجزاء المنبئة في أمكنه متعددة وجهات مختلفة من الدنيا ، ويقع منظماً بعضها إلى بعض في مكان واحد ، ويفيض عليها صورة مماثلة للصورة السابقة المعدمة ؛ فيعود الروح من عالمه التجردّي القدسي بعد أحقاب كثيرة كانت فيه في روح وراحة تارة أخرى إلى هذا العالم ، متعلّقة بهذا البدن القدر المظلم .

وإنّما سُمّي يوم الآخرة بيوم القيامة ، لأنّ فيه يقوم الروح عن هذا البدن الطبيعيّ مستغنياً عنه في وجوده قائماً بذاته وبذات مُبدعه ومنشئه ، والبدن الأخرى قائم بالروح هناك ، والروح قائم بالبدن الطبيعيّ هنا ، لضعف وجوده الدنيويّ وقوّة وجوده الأخرى .

وبالجملة كلامه أشبه بكلام المنكرين للآخرة منه بكلام المقرّين بها ، فإنّ أكثر الطباعية والذهريّة هكذا كانوا يقولون ، يعني أنّ الموادّ العنصرية تجتمع بواسطة هبوب الرياح ونزول الأمطار على الأرض ووقوع الأشعة الشمسيّة والقمرية وغيرهما عليها ، فيحصل من تلك الموادّ إنسان وحيوان ونبات ، ثمّ تموت وتتفسخ صورها ، ثمّ تجتمع تلك الأجزاء مرة أخرى على هذه الهيئة أو على هيئة أخرى قريبة منها ، فيحصل منها أمثال هذه المواليد تارة أخرى . إمّا مع بقاء النفوس والأرواح كما يقوله التناسخيّة ، أو مع حدوث طائفة منها وبطلان طائفة سابقة .

وليت شعري من الذي أنكر أن يحدث من ماء وتراب ومادة بعينها تارة بعد أخرى صورة شبيهة بالصورة الأولى حتّى يكون المطلوب إثبات قدرة الله في ذلك . وجملة الأمر أنّ هؤلاء القوم من أصحاب اللقطة

والكلام وأهل المجادلة والتخاصم لم يعلموا أن مقصود التكاليف ووضع الشرائع وإرسال الرسل وإنزال الكتب ليس إكمال النفوس الإنسانية ، وتخليصها عن هذا العالم ودار الأضداد ، وإطلاقها عن أسر الشهوات وقيود الأمكنة والجهات ، ولا يحصل هذا التكميل والتجريد إلا بتبديل هذه النشأة الدائرة المتجددة إلى النشأة الباقية الثابتة .

وهذا التبديل إلى النشأة الباقية موقوف على : أولاً : معرفتها وإيمان بوقوعها .

وثانياً : أنها الغاية الأصلية المقصودة من وجود الإنسان ، التي يتوجه إليها بمقتضى فطرته الطبيعية لو لم ينحرف عن مسلكها بواسطة الجهالات وارتكاب السيئات .

وثالثاً : العمل بمقتضاها وما يسهل السبيل إليها وتدفع القواطع المانعة عنها .

فالغرض الإلهي من هذه الآيات الدالة على حقيقة المعاد هو التنبيه على نحو آخر من الوجود ، والهداية إلى عالم غائب عن هذه الحواس ، باطن عن شهود الخلائق ، وهو مستمى بعالم الغيب وهذا بعالم الشهادة ، وهو عالم الأرواح وهذا عالم الأجساد . وكما أن الروح باطن الجسد ، كذلك عالم الآخرة باطن هذا العالم .

ثم لما كان إثبات نحو آخر من الوجود يخالف هذا الوجود الطبيعي الوضعي ، ونشأة أخرى باطنة تُباين هذه النشأة الظاهرة أمراً صعب الإدراك مستعصياً على أذهان أكثر الناس ، جحدوه وأنكروه . وأيضاً لإلهم بهذه الأجساد وشهواتها ولذاتها يصعب عليهم تركها وطلب نشأة تضاد هذه النشأة ، ولذلك لم يتدبروا في تحقيقها وكيفيتها ، بل أعرضوا عنها وعن آياتها . كما قال تعالى :

وَكَايْنِ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ.^١
وَرَضُوا بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنٰنُوا بِهَا.^٢
وأخلدوا إلى الأرض كما قال : وَلَكِنَّهُمْ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ.^٣

ونحن رأينا كثيراً من المنتسبين إلى العلم والشرعية انقبضوا عن إثبات عالم التجرد ، واشمأزت قلوبهم عن ذكر العقل والنفس والروح ومدح ذلك العالم ومذمة الأجساد وشهواتها المحسوسة ودشورها وانقطاعها ، وأكثرهم توهّموا الآخرة كالدينا ونعيمها كنعيم الدنيا إلا أنها أوفر وأدوم وأبقى ، ولأجل ذلك رغبوا إليها وفعلوا الطاعات لأجلها طالبين قضاءً لو طر شهوة البطن والفرج ، ولأجل ما ذكرناه تكرر في القرآن العظيم ذكر الآيات الدالة على النشأة الآخرة والبعث والقيام ، ليتنبه الإنسان من نوم الجهالة ورقدة الغفلة ، فيتوجه نحو الآخرة ويتبرأ من البدن وقبوره ، من الدنيا وتعلقاتها ، متطهراً عن الأدناس والأرجاس ، متشوقاً إلى لقاء الله ، ومجاورة المقربين والاتصال بالقديسين .^٤

وإجمال الأمر ، فإن محصل كلام هذا الرجل الجليل هو أن عالم الآخرة غير عالم الدنيا ، وفي طول الدنيا وفي تكاملها وترقيها . وإذا تقرّر أن تكون هذه المادة القذرة الظلمائية الأرضية هناك ، فلن يكون هناك

١- الآية ١٠٥ ، من السورة ١٢ : يوسف .

٢- مقطع من الآية ٧ ، من السورة ١٠ : يونس .

٣- مقطع من الآية ١٧٦ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٤- «الأسفار» ج ٩ ، ص ١٥٣ إلى ١٥٨ ، الطبعة الحروفية .

- إذا - عالم للآخرة ونشأة للقيام والقيامة . بل سيكون العالم هناك عالم الدنيا . كما أنّ المعتقدين بمثل هذا المعاد قد أنكروا المعاد في الحقيقة ووطّنوا قلوبهم على دوام الحياة الدنيا كفعل الطبيعيين والدهريين .

كما أنّ المعاد الجسماني - لا المعاد الطبيعي المادي - من ضروريات الدين ومما يلزم الاعتقاد به ، ويتكفل العقل بإثباته ؛ فالإنسان سيكون هناك ببدنه الجسماني - لا ببدنه الطبيعي المادي - مورد نعم الله أو عذابه . بيد أنّ هؤلاء المنتسبين للعلم والشرعة لم يضعوا فارقاً بين الجسم والمادة ، فتوهموا المعاد الجسماني معاداً مادّياً طبيعياً ، مع أنّ الاعتقاد بالمعاد المادي أمرٌ مخالف لضرورات الإسلام ولآيات القرآن الكريم وللروايات الواردة عن المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، وعائد في حقيقة الأمر إلى مذهب المادّيين والطبيعيين والقائلين بالتناسخ . على أنّ الآية المباركة :

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا^١

والروايات الدالة على أنّ جسم عالم الآخرة ألطف من هذه الأجسام ، وأنّ الناس لا يحتاجون في القيامة إلى دفع الأقدار ، وأنّ جميع ما يأكلونه ويشربونه يصبح جزءاً من البدن ، وأنّ أهل الجنة يُحشرون في تلك النشأة في هيئة شباب نضرين بوجوه جميلة فاتنة ، دون نقص عضوي ، كالعمى والصمم والعرج ؛ وأنّ أهل جهنم يحشرون في صور قبيحة منكرة عمياناً ؛ تدلّ بأجمعها على أنّ جسم ذلك العالم ليس كمادة هذا العالم وطبيعته الكثيفة . بل هو جسم لطيف يظهر إثر تجلّي النفس وظهورها في ذلك العالم . وقد صوّرنا بحول الله وقوّته بإحدى الطرق المعاد الجسماني بهذا البدن العنصري والهيكل المادي الطبيعي وسنورده في البحث الآتي إن شاء

١- صدر الآية ٦٩ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

الله تعالى .

بيد أن ما أجاب به المتكلمون عن الإشكالات الواردة على المعاد الجسماني مخدوش بأجمعه ولا يمكن قبوله .

ولقد ذكر أن إحدى الإشكالات التي تورط على المعاد الجسماني شبهة الأكل والمأكل ، وقد أجابنا بحمد الله ومثله على هذه الشبهة ، فأتضح جلياً أنها تفتقر إلى الأساس الصحيح . وبالالتفات إلى أن حقيقة الأشياء هي باعتبار أن شيئيتها بصورتها لا بالمادة ، فإن تلك الشبهة ليست شبهة في الحقيقة ، بل نوعاً من المغالطة . وكما قلنا فإن تشخيص الأشياء ووجودها ، إنما يحصل بالصورة التي هي محفوظة على الدوام في عالم الوجود . لذا فإن شبهة الأكل والمأكل مردودة من أساسها ومنشأها .

على أن بعض المتكلمين الذين لا تضلع لهم في الحكمة الإلهية والعلوم العقلية ، قد أجاب عن هذه الشبهة بأن هذا الإشكال إنما يرد حين يريد الله يوم القيامة بعث جميع بدن الأكل وجميع بدن المأكل . إذ إن هذا الإشكال سيكون وارداً آنذاك . فإنه سبحانه إن شاء حشر بدن الأكل ، فسيكون بدن المأكل غير محشور بتمامه ، وإن حشر المأكل ، كان بدن الأكل غير محشور بتمامه .

وهكذا فإن بدن زيد الأكل المؤمن ، أو بدن عمرو المأكل الكافر سيكون غير محشور ، مع أن ما خلقه الله تعالى من هذين البدنين أجزاءهما الأصلية التي يرتبط بها القوام الوجودي لهذين البدنين ، وقوام زيد وعمرو . وذلك لأن لكل شخص أجزاء أصلية في بدنه ، كما أن له أجزاء أخرى تُضاف إلى الأجزاء الأولى . ومن ثم فإن الأجزاء الزائدة الفائضة هي على الدوام تلك التي تُزاد على الأجزاء الأصلية .

فالطفل الذي يولد من الأم - مثلاً - له بدن خارجي موجود

ذو تشخصات ومزايا ، وله صفات خاصة ومواصفات بلحاظ الشكل واللون والقامة وغير ذلك . حيث إنّ تلك المواصفات الأولى ستبقى دون تغيير مهما نما بدنه بعدئذٍ وكبر إثر التغذية بالمواد المختلفة .

ولو كان هذا الطفل يزن عند ولادته ثلاثة كيلو غرامات مثلاً ، فزاد وزنه في شبابه إثر النمو إلى مائة كيلو غرام ، فإنّ شكله وتناسب قامته وهيئة هيكله العظمي ولون بشرته وخطوط باطن يده وقدمه وسائر الجهات التي تُعدّ من مميزاته وعلاماته الفارقة ستبقى دون تغيير مهما كان طفيفاً .

ولو مرض هذا الشخص ، أو أدرك سنّ الكهولة والشيخوخة ، فهبط وزنه من مائة كيلو غرام إلى خمسين ، لما طرأ على خصائصه وعلاماته الفارقة تغيير ما .

وهكذا فإنّ ما أضيف إلى البدن أو أنقص منه هو الأجزاء الزائدة الفائضة ، أمّا الأجزاء الأصلية فباقية في البدن على الدوام ، لا يطرأ عليها الزوال والفناء والبوار أبداً . ولهذه الجهة فإنّ شكل أفراد البشر وشمائلهم ثابتة لا تتغير ، وهكذا يعرف الناس بعضهم بهذه المميزات ويشخصونهم عن غيرهم .

ثم إنّ الله تبارك وتعالى يبعث يوم القيامة هذه الأجزاء الأصلية لبدن الأكل والمأكل . وكما قيل فإنّ تلك الأجزاء باقية وثابتة دوماً وغير قابلة للفناء والبوار ، لأنّ قوام الأبدان ووجودها بتلك الأجزاء . أمّا الأجزاء الفائضة الموجودة دوماً في هيئة زيادات ، والتي لها دخول في بدن الإنسان وخروج منه ، فهي تتبدّل إلى غذاء ، وتتحوّل إلى دم ، ثمّ إلى لحم وعظم ، ثمّ تتحوّل إلى غاز لكونها بدل ما يتحلّل ، فتنتشر في الفضاء ؛ فهي جميعاً خارجة عن البدن .

فيكون لبدن الإنسان حكم المجرى ، يرد فيه الماء باستمرار من

جهة ، ويخرج من الأخرى . وستكون الأجزاء الأوليّة هي التي تشكل إنسانية الإنسان بلحاظ البدن والطبيعة . وهي ثابتة وباقية باستمرار ، سواء في الأكل أم في المأكول . أمّا الأجزاء الأخرى فلها حكم الماء الداخل من إحدى جهات مجرى البدن والخارج من المجاري الأخرى ، ومن جملتها جميع خلايا البدن .

وحين يأكل الإنسان الأكل الإنسان المأكول ، فإنّ الأجزاء الأصليّة والفائضة لبدن المأكول ستدخل بدن الأكل ، فأما الأجزاء الفائضة فتبقى في بدنه وتحوّل إلى غذاء ، وتحلّل وتستحيل عصارّة ودماً . وأمّا الأجزاء الأصليّة فلا توقف لها ولا استقرار ، فهي تصبح دونما تغير أو تبدّل في هيئة بدل ما يتحلّل ، فتخرج من بدن الأكل بلا فاصلة ، كما أنّ الأمر على هذا النحو في المأكول أيضاً .

والخلاصة فإنّ الأجزاء الفائضة لبدن المأكول - وليس أجزاءه الأصليّة - هي التي تصبح جزءاً من بدن الأكل ، ولا يلزم من ذلك - والحال هذه - أيّ إشكال واعتراض . هذه هي الإجابة التي أجابوا بها على الإشكال . إلّا أنّه قد اعترض على هذه الطائفة من المتكلّمين بأنّ هذه الأجزاء الأصليّة للشخص المأكول لو صارت فعلاً أجزاءً فائضة في بدن الشخص الأكل ، لصارت مبدأً موجود آخر ، كأنّ تبدّل في بطن المأكول إلى نطفة - مثلاً - فتكون مبدأً لتكوّن شخص ثالث . وفي هذه الحالة فإنّ الأجزاء الأصليّة للمأكول ستكون قد صارت أجزاءً أصليّة لذي نفس آخر . وهكذا فإنّ الإشكال سيتكرّر .

ويجب المتكلّمون بأنّ الله تعالى يحفظ الأجزاء الأصليّة للمأكول ، بحيث لا تصبح ضمن الأجزاء الأصليّة لموجود آخر ، والله تعالى قادر على حفظها . ومع أنّ الأجزاء الفائضة للمأكول ستصبح بأجمعها غذاءً للشخص

الآكل ، إلا أن هذه الأجزاء الأصلية فقط تبقى من بينها دون أن تصبح غذاءً للآكل ، فتخرج من بدنه سالمة وتبقى محفوظة . وهكذا فإن هذه الأجزاء تدخل سالمة وتخرج سالمة . ومن ثم فإن ذلك الموجود الذي ينشأ في بدن الآكل في هيئة نطفة يصبح مبدأ تكون إنسان ثالث قد تكون حتماً من الأجزاء الفائضة لبدن المأكل وليس من أجزائه الأصلية .

ولله سبحانه من القدرة بحيث يمكنه حفظ تلك الأجزاء الأصلية في خضم هذا الصراعات ومراتب الدخول والخروج ، فلا يدع التغيير يطرأ عليها، ولا أن تصبح جزءاً أصلياً من بدن الآكل، أو جزءاً أصلياً من بدن ثالث ينشأ من نطفة الآكل .

وهكذا فإن هذه الأجزاء الأصلية سترد في بطون الناس في الأحقاب المختلفة ، فتزد وتخرج إلى يوم القيامة دون أن تصبح جزءاً من بدن من تلك الأبدان .

وإجمالاً فقد شأوا بهذه الأجوبة الفرار والتملص من الإشكال بدلاً من الإجابة عليه ، وذلك لأنه لو كان هناك مثال في الدنيا أوهن من بيت العنكبوت لكان جواب هؤلاء السادة .

وذلك أولاً : لعل الله يحفظ تلك الأجزاء الأصلية ، ولعلها لا تصبح جزءاً للآكل ، والأمر لا يتم بـ «لعل» و «ليت» و «كأن» وأمثالها .

إن على من يخوض المسائل الفلسفية ، وخاصة أصول العقائد ، أن يُقيم البرهان الذي يجب أن تكون صغراه وكبراه يقينيتين . لأن النتيجة تتبع أحسن المقدمتين . ولا يمكن وضع أساس أصل اعتقادي بـ «ليت» و «لعل» و «ربما» و «أظن» ، فهي أشبه بالخطاب الذي لا ارتباط له بالقياس والبرهان . ولا سبيل في العلوم أبداً لمثل هذه الطرق والخطط التي لا تساوي قرشاً أسوداً .

وثانياً : لننظر إلى آدم أبي البشر الذي تزوج من حواء فانتشر من نسله البشر في العالم :

وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً^١.

أفكان جميع هذا النسل الكثير إلى يوم القيامة من الأجزاء الأصلية لآدم وحواء ، أم من الأجزاء الفائضة ؟

فإن كانوا من الأجزاء الأصلية ، فيتضح بذلك أن جزءاً أصلياً قد خرج من آدم فصار ولدأ له . فإن شاء الله - والحال هذه - حشر آدم يوم القيامة دون أجزائه الأصلية المنفصلة عنه التي شكلت أولاده إلى يوم القيامة ، لكان هناك نقصان في أجزاء آدم الأصلية ، ولما حُشرت أجزاء آدم الأصلية بكاملها .

وبغض النظر عن ذلك ، فكم سيتوجب أن يكون آدم هذا من الضخامة والسمنة والقوة بحيث يخرج منه إلى يوم القيامة أطفال في هيئة نطفة - ولو كانت بقدر ذرة لا ترى - فيتدفق هذا النسل من صلبه بلا حصر ولا نهاية !

لقد كان حرياً حقاً بآدم هذا أن يكون أكبر من جبل أبي قبيس ، بل ومن أكبر جبال العالم ، إذ لو فرضنا كل طفل بقدر ذرة واحدة ، لتوجب أن تكون في بدن آدم ذرات بلا نهاية لتنتقل إلى أولاده في هيئة أجزاء أصلية على نحو الانقباض والتراكم وإلى يوم القيامة . وسيكون بدن آدم في هذه الحال كبيراً بلا انتهاء . بينما نعلم أن آدم أبا البشر لم يمتلك بدنأ كهذا .

وهكذا فإن المتكلمين مُجبرون على القول بأن أولاد آدم ليسوا من أجزائه الأصلية ، بل من أجزائه الفائضة الزائدة .

١- مقطع من الآية ١ ، من السورة ٤ : النساء .

لقد كانت لآدم نفسه أجزاء أصليّة ، ثمّ ظهر أولاده من الأجزاء الفائضة ، كما أنّ الأولاد الذين ينشأون لأفراد البشر ، إنّما ينشأون من أجزاءهم الفائضة لا الأصليّة . ومن ثمّ فحين يحشرهم الله تعالى ، فلن يكون من أجزائهم الأصليّة شيء داخل الأكل ، كما أنّه نفسه سيكون وجوداً مستقلاً نشأ من أجزائهم الفائضة .

وسيقال لهم إنّ أجابوا بهذه الإجابة - وهم مُجبرون على الالتزام بهذه المقولة - إنّنا لا نرى تفاوتاً بين الأجزاء الأصليّة والفائضة ! وأساساً فما الذي يعنيه تصنيفكم للأجزاء إلى أصليّ وفائض ؟!

فلقد فرضتم حين وقعتم في مأزق شديد وضائق عليكم الأرض بما رحبت ، أنّ آدم أو أولاده يمتلكون أجزاءً أصليّة وأجزاءً فائضة .

ونسأل : ما هي هذه الأجزاء الأصليّة ؟ وما هي الأجزاء الفائضة ؟

أرونا إياها !

ويقولون : إنّ الأجزاء الأصليّة هي الأجزاء الأولى التي كان أصل الإنسان منها .

ونقول : أيّها ؟ أهى ذلك الطفل المولود في الدنيا حديثاً ؟

فيجيبون : نعم !

ونقول : لقد كان هذا الطفل في بطن أمّه ، فأضيفت له أشياء حتّى استوى وقدم إلى الدنيا ، فما هي هذه الأجزاء الأصليّة للجنين والطفل في الرحم ؟

فيقولون : أجزاؤه الأصليّة هي النطفة التي استقرّت في الرحم فأضيفت لها باستمرار إضافات ، فنمت وكبرت حتّى بلغت هذا الحدّ .

ونقول : فهل كانت الأجزاء الأصليّة جميع النطفة أم قدراً منها ؟

ويجيبون : كانت ذرّة واحدة من النطفة تُدعى بالحويمن .

وعليه فإن الله حين يحشر إنساناً وزنه في الدنيا أو حال الموت مائة كيلو غرام فيريد تعذيبه أو إثابته ، فإنه يبعث منه فقط حويماً واحداً ، أي ذرة واحدة غير مرئية (تشكل جزءاً واحداً من أربعة ملايين جزء من القطرة الواحدة) ، فيكون السؤال والجواب والعرض والصراط والكتاب والحشر والنشر والجنة والنار بأجمعها لهذا الحويمن الواحد . فهم يصنعون منه بدنًا فيجعلونه مورد الجزاء .

نقسم عليكم بالله ، أضيقة هي شريعة الإسلام وفلسفته إلى هذا الحد ، لنضطر من أجل الدفاع عنها إلى حشر أنفسنا في هذا المأزق ، ونضعها بين هذه العجلات المستننة وهذه الفرضيات المختلفة المجعولة الخاطئة ؟ أليس جعل الإنسان ماديًا في يوم القيامة ، بل جعله ذرة غير مرئية (حويماً) لعباً واستخفافاً بمقدسات مقام الإنسان والجزاء والشريعة والخالق وعوالم الغيب ؟

وعلاوة على ذلك ، فتعالوا وافصلوا الأجزاء الأصلية عن الفائضة ! ذلك لأن هذه النطفة التي هي ذرة واحدة (حويمن) حين تذهب إلى بطن الأم فتضم إلى نفسها أجزاءً أخرى ، فإن تلك الأجزاء ستصبح مثلها ، وسوف لن يبقى ذلك الحويمن على حاله بتلك الخصوصية والشخصية والصورة بعد إضافة أشياء أخرى إليه ، فالأمر ليس كما تقولون . افرضوا أن لديكم قدحاً من الماء فصببتموه داخل طست فيه ماء ، فإن ماء ذلك القدح لن يحفظ صورته الوجودية ، بل سيفقد جبراً فيشكل ماء الطست مع ماء القدح الثاني والثالث ومجموع مياه مائة قدح أو أكثر ، ويتخذ مجموع هذه المياه شكلاً واحداً .

أضيفوا إلى الماء باستمرار قدحاً بعد آخر ، فستشاهدون أن صورة القدح الأول وحجمه السابقين ليسا مشخصين في الطست . ثم إنه سيمتزج

مع القدح الثاني والثالث والرابع بحيث لا يبقى منها أي أثر أبداً ، فقد فقدت جميع المياه حدود وجودها وشخصيّتها وصارت في هيئة طست ماء بشكل وحجم خاصين .

والأمر هو نفسه تماماً بالنسبة إلى النطفة التي هي مبدأ وجود الإنسان ، فتلك الزيادات التي تضاف إلى النطفة المكوّنة من قطرة واحدة ، بل من حويمن واحد ، ستصبح جزءاً أصلياً وتترك تلك الحالة الأولى . ثم إنّ النطفة تكتسب حالات جديدة إثر التحوّلات والتغيّرات حتّى يولد الجنين .

بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ^١

إنّ هذه الموجودات في حركة دائمة في عالم الخلقة ، فهي ترتدي كلّ يوم لباساً جديداً ، فتصبح خلقاً بعد خلق ، وحالة بعد حالة . ومن ثمّ فإنّ تلك الأجزاء الأصليّة لوجود الإنسان ، التي دخلت فيها الأجزاء الفائضة صارت مجموعة واحدة لا تميّز فيها ، فقد اتخذت الأجزاء الفائضة صورة الأصليّة وصارت منها ودخلت ضمن تلك العائلة .

إنّ بدن الطفل الذي كان قبلاً جنيناً ، وقبل ذلك في هيئة نطفة ، قد نَمى واكتمل هيكله العظميّ . ولقد زالت تلك النطفة الأولى التي كانت في صورة نطفة ، وفقدت صورتها فلم تعد نطفة ولا حويماً ، ثمّ اتخذت في اللحظة التالية صورةً أخرى فصارت شيئاً آخر أكبر ليست حقيقته نطفة ، بل علقّة في شكل وصورة دم متخثر ، ثمّ صارت في اللحظة الثالثة شيئاً آخر ، وها قد صارت طفلاً وزنه ثلاثة أو أربعة كيلو غرامات قد امتزجت جميع أجزاء بدنه واختلطت مع بعضها ، فظهر بدن الطفل في صورة واحدة

١- الصف الثاني من الآية ١٥ ، من السورة ٥٠ : ق .

في هذه الهيئة الملحوظة .

وليس الأمر بحيث إنّ تلك النطفة التي كانت مبدأ نشأة هذا الطفل وتكوّنه قد استقرّت الآن في زاوية من وجود هذا الطفل ، فاخفت جنب قلبه أو في مخه أو كبده ، فهذا الكلام خاطئ من وجهة النظرية والفرضية العلمية ومن وجهة العلوم التجريبية ، ومن وجهة نظر الفلسفة والعلم أيضاً . ذلك لأنّ النطفة قد فقدت صورتها الأولى واتخذت صورة أخرى ، فلا معنى - عقلاً - لأن تكون تلك النطفة باقية بحدودها وخصائصها ، ولِذَلِكَ فَإِنَّ النَّجْزَةَ وَالتَّفْكِكَ بَيْنَ الْأَجْزَاءِ الْأَصْلِيَّةِ وَالْفَائِضَةِ هِيَ أَصُولٌ كَلَامٌ مُفْتَعَلٌ لَا أَسَاسَ لَهُ .

وتلاحظون - بناءً على هذه النظرية - أنّ المؤمن الذي هو الحويمن عند السادة المتكلمين ، يجب أن يكون قد صار جزء غذاء الآكلين ، ثم خرج من مجاري البول والغائط لآلاف المرات ، بل ملايين المرات ، وقد حفظه الله تعالى ، ولربما كان الأمر كذلك في جميع عصور نسل البشر التي لا يعلم مقدارها إلا الله سبحانه .

فإن قال المتكلمون : إنّ أجزاء الإنسان الأصلية في النطفة فقط ، وإنها تحكي عن جميع وجوده ؛ فلماذا انتقلت في الخارج اليد والرجل والعين وغُرْلَةُ عَضْوِ الرَّجُلِ^١ وغشاء البكارة وغيرها إلى هؤلاء الأطفال مع انعدام وجود أمثالها لدى آبائهم وأجدادهم وأسلافهم ؟ وبغض النظر عن هذا المطلب ، فما الذي تقولونه في الأجزاء الفائضة ؟

إن قلتم إنّ الأجزاء الأصلية عبارة عن جزء أصلي في المخ ، أو جزء أصلي في القلب أو الكبد ، وإنّ الأجزاء الفائضة هي سائر الأعضاء والجوارح ، وإنّ الشعر والأظافر من الأجزاء الفائضة ، فإننا نأخذ جزءاً

١- غُرْلَةُ: عضو الرجل قبل الإختتان . (المنجد) .

تعدّونه حتماً من الأجزاء الفائضة ، كجلد البدن والأظافر ، ونضعه تحت المطالعة والتحليل والتدقيق ، فينتج أنّ جميع خصوصيات ومشخصات صاحبه الوجوديّة منعكسة في هذا الظُّفْر وفي هذا الجلد . فما الذي يعنيه ذلك ؟

يعني أنّ ذلك الغذاء الذي يتناوله الإنسان ، أي هذه التفاحة وهذه الكمثرى ، وهذه الخضروات ، وهذا الخبز ، ولحم الضأن الذي يتناوله الإنسان ، لم يعد في بدن الإنسان في هيئة الأغذية الأولى ولا في هيئة تفاحة أو كمثرى أو لحم ضأن ، فقد دخل البدن فتحلّل وصار جزءاً من بدن الإنسان ، وتحول إلى لحم وعظم وعروق وشحم . ولقد زالت تلك الصور ، فلم يعد هناك الآن جبن ولا حليب ، بل إنّها الآن بدنكم الحاكي عنكم . لقد دخلت هذه الأجزاء الفائضة البدنَ وتحولت إلى لحم وعضلات وخلايا ، فصارت لحمكم ومن أجزائكم الأصليّة ، فهي تقف مع سائر الخلايا في صفّ واحد وكيفيّة واحدة دون أدنى تفاوت .

ولو اقتطعوا من لحم بدنكم قطعة ، فأخذوها إلى المختبر فحلّلوا ذراتها ، لقالوا في أيّ مكان من العالم إنّ هذا اللحم عائد إلى البدن الفلاني ، ومن المحال أن يكون لحم فرد آخر ، أو شبيهاً بلحم بدن آخر ، ومن المحال أن يشته بلحم بدن آخر . وذلك لأنّ هذا اللحم قد اختصّ بكم وانعكست فيه خصائص بدنكم ، وصار ممثلاً لكم حاكياً عنكم . إنّنا لا نمتلك - فعلاً - جهازاً ولا مختبراً أو محلاًّ للتشخيص ، يمكنه تشخيص أنّ هذا اللحم عائد إلى بدنكم ، بحيث يمكنه تمييزه وفصله وتشخيصه عن جميع اللحوم التي تتبدّل في الخارج إلى الولد .

إنّ النطفة إذا ما أخذت من الإنسان من حيث المجموع ، للزم من ذلك أن يولد من الشخص الأعمى طفل ينمو في رحم الأم ويولد أعمى ، بينما

نرى أنّ كثيراً من العميان يتزوجون فيؤلّد منهم أطفال مُبصرون بأعين بَرَاقَة لامعة ، وهو أمر لا يخضع للحسابات ، فطفل الأعمى ليس أعمى ، كما أنّ طفلاً سالماً تامّ الخلقة يولد من الشخص الأعرج ومن المصاب بالفالج ومن مقطوع اليد والرجل .

فما هي إذاً الخصوصية التي تمتلكها تلك النطفة ، بحيث تؤخذ من الشخص الأعمى ومن مقطوع اليد ومقطوع الرجل ، فيوجد في الخارج شخص مُبصر له أعضاء وجوارح سالمة مستوية ؟

لقد انقضى على المسلمين أربعة عشر قرناً ، وعلى اليهود من أتباع موسى أربعة آلاف سنة وهم يختنون أولادهم ، فيؤلّد لهم طيلة هذه المدة أطفال غير مختونين ، مع أنّ النطفة أخذت من أب مختون .

وقصة بكارة الفتيات أعجب وأغرب ، فمنذ بدايات التأريخ تولد الفتيات وهنّ يمتلكن غشاء البكارة ، مع أنّ أمهاتهنّ كن لا يمتلكنه عند انعقاد النطفة ، سالماً ! أو ليس هذا استهزاءً وسخريةً بعالم الخلق وبناء الوجود الشامخ ؟ أوردت هذه الأجزاء الأصلية والفائضة وتفكيكها على هذه الصورة ، في آية أو رواية ما ؟ لتتابعوا الأمر بهذه السماجة^١ وتجرونه في هذه الهيئة الفاضحة !؟

من جعلكم حراساً للموازين الإسلامية المتقنة ، لتقوموا بيدي خالية عزلاء من الثروات العلمية بحفظها وحراستها ، بجعل أولياء الله والمؤمنين فضلات مدفوعة للكفار ؟ تَبَّأ لَكُمْ وَتَرَحَّأ !

بحث علمي : ليس هناك أيّ تفاوت بين الأجزاء الأصلية للإنسان والفائضة منها ، فهذه اليد التي يملكها الإنسان - مثلاً - وهذه الرجل التي له ، وهذه العين والأذن والكلية ، وهذا الكبد والقلب والمخّ والشریان

١- السماجة : القباحة .

والوريد ، وحتى الشعر والأظافر ، حاكية عن شخصيته ووحدته . وهو أمر عجيب بل من أعجب الأمور والمسائل .

فالإنسان يتخيّل أن ممثّل الإنسان والذي جاء به إلى الوجود لا يمكن أن يكون شيئاً غير النطفة ، وأنّ النطفة شيء يحكي عن وجود الإنسان بتمام المعنى ، ولذا فإنّها أفراد العالم . وهذا الجهاز عجيب جداً ، بيد أن علم البشر لم يصل إلى صنع مثل هذا الجهاز وهذا المختبر ، إلا أن المطلب ثابت من وجهة نظر البراهين الكليّة العلميّة والفلسفيّة وليس محلاً للنقاش والشك .

إنّ وجودكم موجود بأجمعه في قطعة اللحم هذه ، أو في قطعة العظم هذه ، أو قطعة الأظافر هذه أو في غيرها ، أي أنّ هناك عين ، وأذن ، ويد ، ورجل ، وقلب ، ومخ ، وكبد ، وشریان ، ووريد ، وكل شيء . وهو أمر عجيب جداً فتطلّعوا إلى فعل الله تعالى وصنعه !

إننا نتخيّل أنّ جميع خصائص الإنسان الوجوديّة منعكسة في النطفة لوحدها ، أي أنّ تلك الذرّة (الحويمن) تظهر الإنسان ، مع أنّ كلّ ذرّة من ذرات بدن الإنسان ، سواء اللحم أم العظم أم العروق أم الشحم أم الشعر أم الأظافر هي ممثلة لإنسان كامل تام الخلقة .

ولربّما سيثير هذا الأمر عجبنا الشديد أن كيف تكون كلّ ذرّة وخليّة في بدن الإنسان ممثلة للإنسان ، إلا أنّ التبخر والممارسة والتضلع في هذا الأمر والورود في العلم ، تثبت : أنّ جميع بدن الإنسان له حكم النطفة وحالها عن جميع وجود الإنسان ، بحيث لو استطاع البشر أن يأخذ ذرّة وخليّة من لحم البدن فيرتبها في محلّ مناسب بدرجة حراريّة خاصّة ، بعيداً عن الآفات ، كما تترتّب النطفة وتنمو في رحم الأم ، فتتمّ بمراحل معيّنة وتتبدّل إلى طفل ، فإنّ تلك الخليّة ستمّ بمراحل معيّنة وتحصل على سبيل

تكملها ، فتتبدل تدريجياً إلى علقه ، ثم إلى مضغة ، ثم إلى عظام ، ثم يكسو اللحم تلك العظام وتنفخ فيه الروح فتظهر إلى ساحة الوجود في هيئة طفل ومولود كامل .

وكما أن الفلاح لا يحتاج في بعض النباتات إلى زراعة البذور ، فيكتفي باقتطاع قطعة من ذلك النبات فيقوم بزراعة ذلك القلم ، فنرى بعد مدة أن أرجاء الحديقة مملوءة بالأقلام الحية النامية ؛ فإن من الممكن أن يصل تكامل سلسلة العلوم التجريبية البشرية إلى درجة بحيث يأتي شخص فينتزع قلماً من قطعة لحم حي مقتطعة من بدن إنسان ، فينشئ مليون طفل من وزن قليل لا يتجاوز مائة غرام .

ويستفاد من هذه المطالب المذكورة أن هناك إنساناً في عظم الإنسان ، وأن هناك إنساناً في لحم الإنسان ، وفي ظفر الإنسان ، وإلا لما تبدل إلى طفل .

ويستفاد من أمر أن هناك إنساناً في جميع أجزاء البدن وذراته ، أن الأجزاء الفائضة التي تدخل بدن الإنسان من الخارج ، هي تماماً كتلك الأقداح من الماء التي كنتم تصبونها في الطست ، فهذه الأقداح المائية لها صفات معينة مادامت لم تدخل الطست ، كأن تكون في شكل أسطوانة ، أما حين صببتم هذا الماء الأسطواني الشكل في الطست ، فإنه لم يعد أسطوانياً ، بل اكتسب شكلاً آخر .

وكلما صببتم بالترتيب أقداح الماء في الطست ، فإنها ستفقد شكلها الأسطواني وتكتسب شكلاً وحداً ، بل ولوناً آخر . فلو كان ماء الطست أصفراً - مثلاً - وكان ماء الأقداح أبيضاً ، لصار الماء الأبيض المصبوب ذا لون أصفر .

وهكذا فإن الماء الأبيض لم يحافظ على بياضه ، فقد توحد في جميع

الخصوصيات مع ماء الطست حين امتزج به .

وعليه فإنّ الأجزاء الفائضة تمتلك حدوداً خاصة قبل أن تدخل بدن الإنسان ، فقد كانت حنطة أو شعيراً أو رزّاً أو خضروات أو مشتقات الحليب وأمثال ذلك ، أما حين تدخل المعدة فإنّها لا تبقى حنطة أو قمحاً أو رزّاً ، بل ستبدّل هناك إلى مادة أخرى ، إذ سيُضاف إليها اللعاب المُفرز ، كما تُضاف إليها إفرازات المعدة . وبعد أن يتمّ الهضم في المعدة ، فإنّ الكبد سيحاول جذبها إليها وامتصاصها بواسطة العروق الماسارية ، فتذهب عصارتها إليه ، وتتحرك فضلاتها في الأمعاء ، وثمّ تقوم الأمعاء باستمرار بامتصاص المتبقي من عصارّة الغذاء وتنقله إلى البدن . وبعد أن تقوم الكلية بعملها فتعيد قوّة الغذاء إلى البدن وتُخرج الفضلات والسموم عن طريق الإدراج إلى الخارج ، وبعد أن يجري في الرئة تصفية جوهر الغذاء الذي صار الآن في الدم ، فإنّه يصل إلى القلب الذي يُرسل إلى جميع أنحاء البدن ، فيتبدّل في كلّ عضو من الأعضاء إلى جنس ذلك العضو ، ويتحوّل إلى ذلك العضو ، وتتكوّن النطفة منه . فقد تغيرت في جميع هذه الحالات تلك الصورة الأولى للغذاء بصورة كليّة وتبدّلت فعلاً إلى أجزاء بدن الإنسان .

على أنّ النطفة حقيقة الإنسان ، فتلك القطعة من الجبن وقده الحليب والحنطة لو وُضعت خارج البدن مائة ألف سنة لما صارت طفلاً ووليداً إنسانياً ، أما حين ترد البدن وتحوّل في هيئة نطفة ، فإنّ تلك النطفة تتبدّل إلى طفل ، لأنّ ذلك الجزء الفائض الذي ورد البدن في هيئة غذاء قد تبدّل فعلاً إلى أجزاء أصلية وصار جزءاً من الإنسان .

فيتضح ممّا قيل أنّ فصل الأجزاء الأصلية عن الأجزاء الفائضة أمر خاطئ من وجهة نظر العلوم التجريبية ومن وجهة نظر العلم والفلسفة . وأنّ قولنا بأنّ الله تعالى يحشر يوم القيامة الأجزاء الأصلية لبدن الميت ، وأنّ

الأجزاء الفائضة في بدن الأكل التي شكّلت تمام البدن لا ربط لها بأجزاء الأكل الأصليّة، كان بلا أساس ولا قيمة له ولا اعتبار في منطق العلم .

لقد كان السادة المتكلّمون يُفَرِّحُونَ أنفسهم بهذا النحو من الاستدلالات ، إذ إنهم كانوا يريدون من جهة الإجابة بجواب شافٍ ، ولأنّهم من جهة أخرى كانوا يفتقرون إلى التخصّص في العلوم والمعارف الإلهيّة ، لذا فقد كانوا يضعون المطلب بمثل هذه العبارات في لفافة فيختمون عليها ، ولا يُجيزون لأنفسهم التأمل والتدقيق أكثر من هذا القدر .

ولقد كانت نتيجة هذا البحث أنّ الإجابة على شبهة الأكل والمأكل بالأجزاء الأصليّة والأجزاء الفائضة ليست إجابة شافية ؛ وعلاوة على عدم ردها على الإشكال ، فإنّها ستكون بنفسها مدعاةً لإشكالات وانتقادات أخرى .

هذا وقد أجاب بعض المتكلّمين عن شبهة الأكل والمأكل على نحوٍ آخر ، وهو أنّ هذه الشبهة ستكون واردة إذا ما أراد الله تعالى حشر عين بدن الأكل وعين بدن المأكل ، غير أنّ هذا الإشكال لن يرد إذا ما خلق سبحانه مثل تلك الأبدان فجعل الأرواح متعلّقة بها . كما أنّ الآيات الواردة في القرآن الكريم لها دلالة على حشر الروح وتعلّقها ببدن مثل هذا البدن ، ومن جملتها هذه الآية :

عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِيَمَا لَا تَعْلَمُونَ .^١
وهذه الآية : نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا .^٢

١- الآية ٦١ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٢- الآية ٢٨ ، من السورة ٧٦ : الإنسان .

فالأمثال في هذه الآيات عبارة عن بدن عنصريّ مادّي آخر يخلقه الله فيجعله مورداً للسؤال .

إلا أنّ جواب المتكلمين هذا ليس شافياً ، وذلك أولاً : لأنّ هذه الآيات القرآنيّة قد وردت في الردّ على مُنكري الحشر الذين أنكروا خلق هذه الأبدان لا خلق مثلها ، فالقرآن يردّ عليهم بأنّ خلق أمثالهم ليس عسيراً على الله :

أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ^١.

فإن لم يكن المراد من «مثل» و«أمثال» هو الإنسان نفسه ، لما كانت الحجّة تامّة على المنكرين ، لأنّ إحياء هذا البدن الميت هو العجيب بينما إيجاد مثله وجعل الروح متعلّقة ببدن آخر ليس مدعاةً للعجب :

القرآن يقول إنّ هذا البدن سيُحيى ويُبعث : مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى^٢.

وثانياً : أنّ هذا البدن قد أطاع وعصى ، ثمّ إنّه سيذهب فيرقد مستريحاً بينما يكون المُحاسبُ بدنٌ آخر غيره .

گنه کرد در بلخ آهنگری به شوشتر زدند گردن مسگری^٣
فالمراد من الأمثال في هذه الآيات هذا البدن نفسه ، والأمثال تعني الأطوار والأحوال ، أي طوراً بعد طور وحالاً بعد حال .

إنّنا سنجعل أبدانهم بأحوال وأطوار مختلفة : وكما تستقرّ النطفة في

١- الآية ٨١ ، من السورة ٣٦ : نُس .

٢- الآية ٥٥ ، من السورة ٢٠ : طه

٣- يقول : أذنب حدّاد في «بلخ» ، فضربوا عنق صانع الأدوات النحاسيّة في «شوشتر»

معرفة المعاد (٦)

في الرد على الشبهات الواردة على المعاد الجسماني

رحم الأم فتطوي أطواراً وأمثالاً لتصل إلى كمالها ، فإننا سنجعل الإنسان يمرّ بأطوار بعد الموت لنخلقه في النهاية وننشئه في صورة لا يعرفها الناس ولا يعلمونها .

وبالطبع فإنّ ذلك الإنسان الذي يحشره الله تعالى هو هذا البدن بأطوار عالية ليست له فيها مادّية وكثافة وجهات طبيعّية ، بدن نورانيّ مُضاء .

وبالطبع فإنّ خلق أطوار البدن وأمثاله هذه لا منافاة له مع الآيات الدالة على أنّ الله يُحيي الموتى بنفسه ، لأنّ خلق أطوار البدن عين خلق البدن نفسه ، كالأية :

أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى^١.

وقد ورد «مثل» في الآية القرآنية بمعنى النفس والذات : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ^٢.

هذا وقد قال المرحوم صدر المتألهين في إجابة المتكلمين في الرد على شبهة الأكل والمأكل بحشر الأجزاء الأصلية وعدم حشر الأجزاء الفائضة ، بأنّ هذه الإجابة لا حاجة إلى ذكرها لركاكتها^٣.

وقال المرحوم الحكيم السبزواري : وَفِيهِ مَا لَا يَخْفَى عَلَى أُولِي النُّهَى^٤.

١- الآية ٣٣ ، من السورة ٤٦ : الأحقاف .

٢- مقطع من الآية ١١ ، من السورة ٤٢ : الشورى .

٣- «الأسفار» ج ٩ ، ص ٢٠٠ ، الطبعة الحروفية .

٤- «المنظومة السبزواريّة» ص ٣٤١ ، طبعة ناصري .

وقال في الحاشية في توضيح كلامه : أما أولاً فلأنه مبني على أن شيئية الشيء بالمادة لا بالصورة ، وهو سخيّف جداً ؛ إذ يلزم أن يكون المنّي إنساناً والبيضة طيراً والنواة نخلة ونحو ذلك .

وأما ثانياً فلأنه حينئذ يكون دنيا ولا آخرة مُعَيَّناً لا غاية ؛ لأن الآخرة نشأة أخرى طولية وغاية الشيء كماله . فكمال النفس أن تصير عقلاً ، وكمال الصورة الطبيعية أن تصير صورة صرفة خالصة عن شوب القوة ، وتصير الصورة الدنيوية برزخية ، والبرزخية أُخروية .

وأما ثالثاً : فلأنه يلزم تعطيل الحق ومنع الحق عن المستحق ، إذ يطرأ على الأجزاء المادية استعدادات للصور المتفتنة ، والاستعداد الصادق ما هو بلسان الاستعداد ، فيلزم أن لا يعطي الحق حقها مع أنه نهى عباده عن تعطيل الحقوق .

وأما رابعاً : فلأن توجه أكثر الشبهات كمثّل شبهة التناسخ وشبهة الأكل والمأكل وشبهة عدم وفاء المواد وغيرها ، إنما هو على هذا القول ، وبعد في الزوايا خبائيا .^١

١ - «المطوّمة السرّواريّة» ص ٣٤١ ، طبعه ناصري

لِلْمَجْلِسِ الشَّامِ وَثَلَاثُونَ

الرَّدُّ عَلَى شُبُهَةِ الْمَعَادِ الْجَسَمَانِيِّ وَبَيَانُ حَقِيقَتِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
 وصلى الله على محمد وآله الطاهرين
 ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :
 وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ .^١
 وَلَئِنْ مِثْمُكُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَأَلِيَّ اللَّهُ تُحْشَرُونَ .^٢
 وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ .^٣
 يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ .^٤
 من الإشكالات الواردة على المعاد الجسماني أن مقدار جرم الأرض
 وحجمها معينان ، وأنهما مقدران بعدد معين من الفراسخ ، ومحددان
 بالأميال والأذرع ، بينما عدد النفوس - في الجهة المقابلة - غير متناهٍ . ومن
 ثم فإن هذا القدر من الجرم المحدود لا يتسع لهذه الأبدان اللامتناهية .
 يقول المرحوم صدر المتألهين في رده على هذا الإشكال :

١- الآية ٩٦ ، من السورة ٥ . المائدة ؛ والآية ٩ ، من السورة ٥٨ : المجادلة .

٢- الآية ١٥٨ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٣- الآية ٢٤ ، من السورة ٨ : الأنفال .

٤- الآية ٤٤ ، من السورة ٥٠ : ق

«ومنها (من الإشكالات) أنّ جرم الأرض مقدار محصور محدود ممسوح بالفراسخ والأميال والذراع ، وعدد النفوس غير متناهٍ ، فلا يفي مقدار الأرض ولا يسع لأن تحصل منه الأبدان غير المتناهية . والجواب الحقّ بما مرّ من الأصول أن لا عبرة بخصوصيّة البدن وأنّ تشخيصه والمعتبر في الشخص المحشور جسميّة ما أية جسميّة كانت ، وأنّ البدن الأخرويّ ينشأ من النفس بحسب صفاتها ، لا أن النفس تحدث من المادّة بحسب هيئاتها واستعداداتها كما في الدنيا . ولك أن تُجيب أنّ المقادير قد يزداد حجماً وعدداً من مادّة واحدة ، فإنّ هيولى قوّة قابلة محضة لا مقدار لها في نفسها ، ولا لها اختصاص بحدّ خاصّ وعدد معيّن ، بل تعرض لها المقادير والانقسامات من خارج ، وهي في نفسها قابلة للانقسامات غير المتناهية ، وليس أيضاً من شرطها في أن تكون أبدانا ، أن تكون صورة الأرضيّة باقية ، بل يجوز انقلابها من الأرضيّة إلى أجسام حسب ما شاء الله . وأيضاً لا يلزم أن يكون كلّ نفس محشورة بالبدن ، فإنّ من النفوس ما فارقت الأجسام صاعدةً إلى عالم القدس منخرطةً في سلك المقرّبين ، والجواب الأوّل هو العمدة .

شبهة لزوم مكان للجنة والنار ، وردّ صدر المتألّهين :

ومنها أنّ الجنة والنار إذا كانتا موجودتين جسمانيّتين فأين مكانهما ؟ وفي أيّ جهة من جهات العالم حصولهما ؟ فإن كان حصولهما أو حصول إحدهما فوق محدّد الجهات ، فيلزم أن يكون في اللامكان مكان وفي اللاجهة جهة ؛ وإن كان في داخل طبقات السماوات والأرض أو فيما بين طبقة وطبقة ، فيلزم إمّا التداخل وإمّا الانفصال بين سماء وسماء

والكلّ مستحيل . ومع هذا ينافي قوله تعالى :

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ^١.

هذا تقريرٌ عن الشبهة ، وطريق اندفاعها مكشوف لمن تدبر في الأصول التي بينها .

أما المتكلمون فحيث لم يدخلوا البيوت من أبوابها ، ليس في وسعهم التفصي^٢ عن أمثال هذا الإشكال ، فأجابوا عنه تارةً بتجوير الخلاء ، وتارةً بعدم كون الجنة والنار مخلوقتين بعد ، وتارةً بانفتاح السماوات على قدر يسع بينها الجنة ، وليتهم قنعوا بدين العجائز واكتفوا بالتقليد ولم يستنكفوا أن يقولوا : لا ندري « الله ورسوله أعلم »^٣.

ثم قال : « إن أعضل شبه الجاحدين للمعاد الجسماني ، وأعظم إشكالات المنكرين للجنة والنار المحكوم بثبوتها وتحققها في الشريعة الحقّة التي أتى بها أهل النبوة والحكمة المؤسّسة على الأصول والمباني المحكمة المهمة هو طلب المكان لهما ، والتزام كونهما في جهة من الجهات الامتدادية الوضعيّة ، وفي زمان من الأزمنة المتصرّمة ، واستيجاب كونهما داخل حجب السماوات وتحت حيطة محدّد الجهات وعرش المتماديات .

فالجواب كما يستعلم من الأصول المؤسّسة عن أصل هذه الشبهة وقلع مادّتها وفسخ صورتها هو أن يقال على منهج أبحاث المتألهين وطريقة أنظار السالكين إلى الله بأقدام المعرفة واليقين : إنّ حجّتكم هذه مبنية على أن للجنة والنار مكاناً من جنس أمكنة هذه الدنيا ، لكنّ أصل

١- الآية ١٣٢ ، من السورة ٣: آل عمران

٢- التفصي : الابانة والفعل .

٣- «الأسفار» ج ٩ ، ص ٢٠٠ و ٢٠١ ، الطبعة الحروفية .

إثبات المكان على هذا الوجه للجنة والنار باطل ؛ فالشبهة منهزمة الأساس مقتلعة الأصل . ومما يوضح ذلك حسب ما مضت الإشارة إليه أنّ عالم الآخرة عالم تامّ لا يخرج عنه شيء من جوهره ، وما هذا شأنه لا يكون في مكان كما ليس لمجموع هذا العالم أيضاً مكان يمكن أن يقع إليه إشارة وضعيّة من خارجه أو داخله ، لأنّ مكان الشيء إنّما يتقرّر بحسب نسبته وإضافته إلى ما هو مبين له في وضعه خارج عنه في إضافته ، وليس في خارج هذه الدار شيء من جنسه وإلاّ لم يوجد بتمامه ، ولا في داخله أيضاً ما يكون مفصّلاً عن جميعه إذا أخذ من هذه الحيثيّة . فلا إشارة حسيّة إلى هذا العالم عند أخذه تامّاً كاملاً لا من داخله ولا من خارجه فلا يكون له أين ووضع . ولهذا المعنى حكم معلّم الفلاسفة بأنّ العالم بتمامه لا مكان له ، فقد اتّضح أنّ طلب المكان لما يكون عالمّاً تامّاً باطلٌ ، والمغالطة نشأت من قياس الجزء على الكلّ ، والاشتباه بين الناقص والكامل .

ثمّ على سبيل التنزّل عن هذا ، لو سأل سائل هل الدار الآخرة مع هذه الدار منتظمتان في سلك واحد والمجموع عالم واحد . فحينئذٍ يكون طلب المكان لهما صحيحاً ، أو كلّ منهما عالمٌ مبين الجوهر والذات للآخر غير منسلك معهما في سلك واحد لا يجمعهما دار واحدة ، فحينئذٍ طلب المكان لهما غير صحيح ، وأنت تعلم أنّ الحقّ هو الثاني . إلّا أن يُراد بكونهما واحداً ضرباً آخر من الوحدة . فإنّ العوالم والنشآت متداخلة في المعنى والقوام لا في الوضع والامتداد ، مع كون كلّ منهما عالم تامّ . أو لا ترى أنّ أهل العالم متفقون على قولهم هذا العالم وذلك العالم حسبما ورثوه من أسلافهم ومقدميهم . ولو كان المجموع عالمّاً واحداً كان هذا القول باطلاً .

ولا يصحّ أن يقال هذا الإطلاق من قبيل قولهم عالم العناصر وعالم

الأفلاك وعالم الحيوان ، لأن هذه الأقوال مجازية على سبيل التشبيه ؛ فإن الدنيا والآخرة لو لم يكونا عالمين تامين فلا يكون في الوجود عالم تام ، لأن المجموع ليس منتظماً في سلك واحد إلا بأن يكون أحدهما باطن الآخر والآخر ظاهره كما أشرنا إليه ، وهذا كلام آخر فيه غموض ، فإذا لم يكونا مع مباينة كل منهما للآخر في الوجود مما يشملهما عالم آخر ، فلا محالة كل منهما عالم تام كما أطلق القول عليه في السنة الشريفة :

إِنَّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَالَمِينَ ، الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ .

ومما يوضح أيضاً القول بأن الآخرة ليست من جنس هذا العالم ، أن الآخرة نشأة باقية يتكلم الإنسان فيها مع الله ، وهذه نشأة دائمة بائدة أهلها ، هالكة الذوات ولا ينظر إليهم ، واختلاف اللوازم يدل على اختلاف الملزومات . وأما مكالمة الأنبياء مع الله تعالى ومخاطبة سيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم معه تعالى ليلة المعراج ، فهي من ظهور سلطان الآخرة على قلوبهم . ومما يدل على ذلك قوله تعالى : وَنُنشِئُكُمْ فِيهَا لَا تَعْلَمُونَ^١ فإنه صريح في أن نشأة الآخرة غير نشأة الدنيا^٢ .

وبالجملة فنحو وجود الآخرة غير نحو وجود الدنيا ، ولو كانت الآخرة من جوهر الدنيا لم يصح أن يقال إن الدنيا يخرب والآخرة دار القرار ، لأن الدنيا إنما هي دنيا بالجوهر والوجود لا بالعوارض الشخصية

١- النصف الثاني من الآية ٦١ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٢- مر أوضح وأجلى الآيات الدالة ، على أن الآخرة ليست في عرض الدنيا ، بل هي في طول الدنيا وفي باطنها ، الآية ٧ ، من السورة ٣٠ : الروم . يَفْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ .

إذ يستعاد من قرينة التعادل التي جعلت الآخرة مقابل ظاهر الدنيا ، أن الآخرة هي باطن الحياة الدنيا .

والمخصّصات الخارجيّة ، وإلاّ لكان كلّ سنة بل كلّ يوم دنيا أخرى لتبدل الأشكال والهيئات والتشخصّات ، وكان القول بالآخرة تناسخاً ، وكان المعاد عبارة عن عمارة الدنيا بعد خرابها ، وإجماع العقلاء على أنّ الدنيا تضمحلّ وتفنى ثمّ لا تعود ولا تعمر أبداً ؛ فقد ثبت وتحقّق أنّ الدنيا والآخرة مختلفتان في جوهر الوجود غير منسلكتين في سلك واحد ، فلا وجه لطلب المكان للآخرة ، وصاحب الذوق السليم يتفطن بهذا .

على أنّ من نظر إلى مواضع هذا الكتاب لا يحتاج إلى زيادة مؤونة وتفتيش ، وإنّما بسطنا القول في زيادة الكشف والتوضيح شفقة على الظاهريّين الذين قصدهم في النسك والعبادات طلب قضاء شهوة البطن والفرج في الآخرة على وجه ألدّ وأدوم . فهم في الحقيقة طلاب الدنيا وعند أنفسهم أنّهم يطلبون ثواب الآخرة والتقرّب إلى الله تعالى .^١

وحصيلة القول أنّ مسائل المعاد تنطوي على قدر من الغموض والإبهام بحيث تتعسر إقامتها من خلال البحث الفلسفيّ وبراهينه المجردة . والسرّ في ذلك أنّ المعاد يتحدّث عن ما وراء عالم الحسّ والشهادة ، وهو أمر لا يخلو من الصعوبة لمن يفتقد المعرفة بتلك العوالم والنشآت ويحاول مناقشة تلك الأمور على أساس القياس والبرهان الصرف .

ولذلك تجري الاستعانة في الأغلب بمسائل العرفان وشهودات أهل الشهود ومكاشفات أهل الحقّ ، وبالروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام والآيات القرآنيّة وهي بدورها تمثّل نعم المفتاح لدعم هذا الأمر وتعيين حدوده البرهانيّة .

يضاف إلى ذلك أنّ خوض هذه المسائل من خلال الاستدلال

١- «الأسفار» ج ٩ ، ص ٢٠٢ إلى ٢٠٥ ، الطبعة الحروفية .

والبرهان ينطوي على خطورة بالنسبة إلى الذين لم يتزوّدوا بالقدر الكافي من العلوم العقلية والحكمة المتعالية الإسلامية، إذ ستكون نتائج أدلتهم عقيمة، شأنهم في ذلك شأن المتكلمين، ولأنّهم بدلاً من حراستهم العقائد الشيعية الإسلامية الحقّة وصونها عن آفات الملحدين والمعرضين والمعاندين، فإنّهم يقدّمون تلك الأصول الحقّة المتقنة الواقعية في أسلوب سخيف ضحل متهافت، فيؤدّون إلى سلب اعتقاد الناس وأهل المعرفة من خلال عرض هذه المسائل الغامضة دون أن يمتلكوا القابليات الفكرية اللازمة لذلك.

يقول صدر المتألهين: «إنّ للناظرين في أمر المعاد إثباتاً ونفيّاً، مشاجرات ومباحثات في الجانبين، ذكرها يؤدّي إلى الإطالة من غير فائدة، وما أورده المتكلمون من الكلام لا يفي بالإلزام والإفحام، فكيف يتبين المرام وتحقيق المقام. والأولى بحال من اقتصر في تحقيق هذه الأمور الاعتقادية على مجرد البحث الكلامي أن يستفسر عن هؤلاء المنكرين للمعاد الجاحدين لأحكام الشريعة، بناءً على قصور مداركهم عن دركها، أنّهم هل يدعون الامتناع أو يمنعون الإمكان والجواز؟ فعلى الأولى يقال لهم: إنّ عليكم البينة وإثبات ما ادّعيتم، وما لكم فيما قلتم به من هذا عين ولا أثر.

وعلى الثانية: كلّ ما أزيل ظاهره عن الإحالة والامتناع قام التنزيل الإلهي والأخبار النبوية الصادرة عن قائل مقدّس عن شوب الغلط والكذب مقام البراهين الهندسية والدعاوي الحسابية^١.

وعلى كلّ حال فقد بحثنا في مسائل المعاد الجسماني بالقدر الكافي،

١- «الأسفار» ج ٩، ص ١٦٧ و ١٦٨، الطبعة الحروفية.

عسى أن تكون حقيقته قد اتضحت للقراء الكرام إن شاء الله تعالى ، وقد أوردنا نظرية أعلام حكماء الإسلام بصورة مجملة .

قال الحكيم السبزواري قدّس الله سرّه بعد البحث في هذا الأمر :
«وهذا القدر كافٍ للمستعبر المنصف ، ومن أراد زيادة التحقيق والتفصيل فليرجع إلى كتب صدر المتألّهين كـ «الأسفار» و «المبدأ والمعاد» و «العرشيّة» وغيرها فإنّ أمثال هذه التحقيقات حقّة في الدورية الإسلامية الختميّة ، شكر الله سعيّه وضاعف أجره»^١.

تصوير المعاد بالبدن العنصريّ لدى مؤلّف الكتاب :

وعدنا في الأبحاث السابقة أن نقدّم تصويراً للمعاد الجسمانيّ في هيئته البدنيّة العنصريّة المادّيّة الطبيعيّة ، وها قد حان الوقت ولله الحمد والمنّ للشروع في ذلك .

ويتوقّف تحقيق هذه المسألة وصولاً إلى الهدف المنشود على ذكر مقدمات سبع :

المقدمة الأولى : تطرّقنا سابقاً إلى أنّ شيئيّة الشيء بصورته لا بمادّته ، أي أنّ ما يمنح الموجودات الخارجيّة شيئيّتها ووجودها وتشخصها ، وما يجعل الموجود موجوداً ويمنحه اسماً ويميّزه عن باقي الأشياء ، هو «فصل» الموجود وصورته .

وليس معنى الصورة هو الشكل وسماته الظاهريّة ، بل تلك الخاصيّة التي تعلّقت بالمادّة المبهمة فميّزتها عن سائر الموجودات ؛ مثل الصورة الإنسانيّة (وهي النفس الناطقة) ، والصورة الحيوانيّة (وهي عنوان المتحرّك بالإرادة) ، وصورة الحصان وهي الخاصيّة التي جعلته حصاناً وميّزته عن

١- «المنظومة السبزواريّة» ص ٣٤٤ طبعة ناصري .

الحمار والبقرة والإنسان وسائر الحيوانات والنباتات ، وهي التي تُدعى بالنفس الصاهلة . ومن هنا فإنّ المادّة الأوّليّة الأساسيّة التي تدعى بـ «مادّة الموادّ والهيولى الأوّليّة» والتي تشترك فيها جميع الموجودات ، ليست معياراً للتخصّص والتمييز ، لأنّ جميع موجودات عالم الطبع والمادّة لها حظّ منها ، بل إنّ وجودها وتخصّصها يتمثّل في صورتها وفي تلك المزيّة والمادّة المشتركة التي يطلق عليها اسم الإنسان تارةً ، واسم الحيوان تارةً ، واسم الشجرة تارةً ، واسم الماء والجماّد تارةً رابعة .

المقدّمة الثانية : إنّ صور الأشياء المختلفة التي تمنحها التعيّن غير زائلة ، فالصور محفوظة عند موت المادّة وفنائها في عالم الطبع ، وهي ثابتة وباقية في عالم الوجود وعالم الدهر دون تغيّر أو تبدّل .
فصور الأشياء - ومن بينها الإنسان وأفعاله في الطاعة والمعصية - تختفي عن الأنظار بمرور الوقت ، إلّا أنّه - في الوقت نفسه - تحفظ وجودها فلا يطرأ عليها البوار والزوال بأيّ وجهٍ من الوجوه .

والعلة في ذلك أنّنا موجودات زمنيّة تتحرّك إلى الأمام بالتدرّج بتحرّك الزمان ، وحين نوجد في هذا الزمن فإنّنا ندرك الموجودات الكائنة في هذه اللحظة ، أمّا الموجودات التي وجدت في اللحظة السابقة ثمّ اختفت ، والموجودات التي ستأتي في اللحظة المقبلة فلا نراها ولا نحيط بها . فنحن - إذّا - ندرك اللحظة التي نحن فيها ، لا ساعتنا الفعلية ولا دقيقتنا الفعلية المركبتين من لحظات وثوان ؛ ونحن واقفون على لحظة واحدة من تلك اللحظات ، وبعيدون عن باقي تلك اللحظات .

ولقد تراقفنا مع موجودات هذه الدنيا منذ الزمن الذي خُلِقنا فيه ، فنحن نتحرّك معها إلى الأمام في قافلة واحدة ، ونحن ندرك من هذه الموجودات ومن وجودنا الخاصّ لحظةً زمنيّة واحدة من الزمن المتصرّم ،

ونحن معزولون كلياً عن هذه القافلة ، سواءً في الزمن السابق أم اللاحق ، فلا يبقى في ذهننا من تلك الوجودات المسلّمة الثابتة إلاّ الخواطر والذكريات .

ولقد كانت مادّتنا منذ زمن الولادة جارية ومتحركة في ذاتها ، كما أنّ الزمن - بدوره - موجود متحرّك جار ، وكيان متصل لا يتوقّف ولا يكفّ عن الحركة أبداً ، فنحن نرى أنّ هذا الزمن في حركة مستمرة دائمة ، متحرّك في ذاته وحقيقته . كما أنّنا بدورنا - باعتبارنا موجودات زمّية ، أي باعتبار انطباق وجودنا على الزمن وحركته الممتدة - في حركة مستمرة مع تدرّج الزمن وحركته . نتقدّم إلى الأمام إلى حين موعد رحيلنا عن الدنيا ، ثمّ نطوي البرزخ بعد ذلك باعتباره موجوداً زمّياً ، فنفنى في ذات الحق ونصل في سيرنا أخيراً إلى نقطة تعلو الزمن وتحيط به ، فنذكر آنذاك جميع اللحظات السابقة ، وستكون تلك اللحظات بأجمعها حاضرة أمامنا ومشهودة لنا .

إنّنا حين نقول في هذه الدنيا إنّ الساعة السابقة قد مرّت ، وإنّ الأفعال والوقائع الحادثة في تلك الساعة قد انقضت وتصرّمت ، فلا يعني ذلك أنّها قد انعدمت وفنيت ، بل إنّ ذلك يعني أنّ الساعة السابقة والموجودات الواقعة فيها قد اختفت عن نظرنا .

على أنّ جميع الموجودات الأرضيّة والسماويّة من النفوس الإنسانيّة والحيوانيّة والنباتيّة والجمادات ، وكلّ ما نفترض وجوده سابقاً ، ممّا اختفى الآن وانعدم في الظرف الحالي ، هو موجود في ظرف تحقّقه ولا يطرأ عليه الزوال والفناء ، لأنّ هذه الموجودات قد وُجدت في ذلك الزمن ، ولأنّ من المحال على الشيء الذي صار موجوداً بجميع تلك الخصائص السابقة أن يعرض له العدم ، فالموجود لا يصبح معدوماً ، والوجود والعدم شيئان

متناقضان ، والنور والظلمة لا يجتمعان معاً ، كما لا تجتمع الحرارة والبرودة .

بلى من الممكن أن يكون هذا الشيء نورانياً في لحظة معينة ثم يصبح مظلماً في لحظة أخرى ؛ أو أن يكون حارّاً في هذه اللحظة وبارداً في اللحظة التالية ؛ أو أن يكون موجوداً في وقت معين ومعدوماً في وقت آخر .

ومن ثم فإذا كان هذا الشيء موجوداً فانعدم ، فإنه لم ينعدم بجميع خصائصه ، لأنّ الزمن كان من جملة خصائصه ؛ أي أنّ الموجود الذي كان موجوداً قبل ساعة واحدة قد كان للزمن دخلٌ في تحقّقه في تلك الساعة وإذا ما صار معدوماً في هذه الساعة الفعلية ، فإنه لم يكن معدوماً في الساعة السابقة بلحاظ وقيد ذلك الزمن ، فذلك الشيء موجود باستمرار (بهذا القيد والخصوصيّة) في الساعة السابقة ، وسيبقى في عالم الدهر وعالم الوجود والتحقّق دون أن يطرأ عليه زوال .

إنّ ذلك الشيء الذي كان موجوداً قبل ساعة ، قد انعدم في الساعة التي تلتها ، أي أنّنا رفعنا قيد «الساعة السابقة» عنه ، فانعدم في الساعة التالية ، ومن المحال ، منذ الزمن الأوّل لخلق العالم ، ومنذ زمن آدم إلى يوم القيامة ، وقبل خلق هذا العالم ، أن يطرأ العدم على سلسلة الموجودات الطوليّة الكائنة في سلسلة مدارج ما فوق هذا العالم ، كالعقول المفارقة ونفوس الملائكة وموجودات العالم العلوي والروح والأسماء والصفات الكلّيّة الإلهيّة ابتداءً من الذات القدسيّة للحضرة الأحديّة جلّ وعزّ وانتهاءً بعالم الكثرة والطبع ومادّة الموادّ ، وصولاً إلى بعوضة واحدة أو ذرّة واحدة كُتب لها الوجود .

لقد كنّا - حتّى الآن - أحياء ، وهناك إمكانيّة أن نصبح معدومين من

الآن فصاعداً ، وأن نهلك ونفنى بالمرّة ؛ إلا أنّ من غير الممكن أن ينعدم الوجود الذي اكتسبناه حتّى الآن ، وليس بإمكانكم في زمن لاحق إفناء شيء قد وجد في زمن سابق .

يمكنكم أن تحرقوا كتاباً ما ، أو أن تمحوا كتاباً معينة ، أو تلقوها في الماء ، بيد أنكم تقومون بهذا العمل في زمن لاحق ؛ أمّا في الزمن الذي دون فيه ذلك الكتاب ، فإنّ تلك الكتابة لا يمكن إعدامها وفناؤها . لقد قمنا ببعض الأعمال منذ الصباح إلى الآن ، ولو اجتمعت جميع العوالم وتكاتفت وتظاهرت على القول بأنّ هذه الأعمال لم تُنجز لما أمكنهم ذلك . لقد فعلنا ما فعلنا ، وارتدى - ذلك - رداء الوجود والتحقّق .

يمكن أن لا يؤاخذ الله تعالى على المعاصي ، ويمكن أن يستتر بعض الأعمال - ويخفيها تحت الستار ، وأن يقول للملائكة : لا تدونوا هذا ! أو أن يصرفهم - بإرادته - عن رؤية الأعمال وتدوينها ؛ فكلّ ذلك ممكن ، إلا أنّ نفس العمل لن يصبح معدوماً ، فإعدام العمل أمر محال .

المقدمة الثالثة : إنّ الموجودات التي نشاهدها في الخارج لها ظاهر وباطن ، وكلّ موجود من الموجودات الطبيعيّة له جسم وروح ، وله مُلك وملكوت . فالصلاة التي يصلّيها الإنسان - مثلاً - لها ظاهر وباطن ، ظاهرها الطهارة والاستقبال والقيام والركوع والسجود والدعاء والقرآن والتسبيح وغير ذلك ؛ أمّا باطنها وملكوها فيمثّلان روح الصلاة . فهل أُقيمت - يا ترى - رياءً وعُجباً وغروراً وغير ذلك من المقاصد المتدنية للمصلّي ، أم نبعت من الخلوص والإخلاص ؟

هل صلاها الإنسان في حالة الاضطراب وازدحام الخواطر والأفكار ، أم صلاها بطمأنينة وسكينة خاطر وحضور قلب ؟ ما حدود ودرجات حضوره والتفاتة الباطني ؟ وإلى أين أوصله سيره التصاعدي ؟ والأمر

كذلك بالنسبة إلى باقي أعمال الإنسان ، بل حتى الأعمال القبيحة لها ملكوت وباطن .

كما أنّ الإنسان يمتلك - بدوره - ظاهراً لا يختلف بين فرد وآخر ، فله طول ويدان ورجلان وعينان وأذنان ، وله أعضاء وجوارح ؛ إلا أنّ الباطن . ليست متماثلة مع بعضها ، فأحدهم مؤمن والآخر كافر ، وأحدهم عادل والآخر فاسق ؛ قد نوى أحدهم خيراً ونوى الآخر شراً ، وهكذا .

إنّ كثيراً من الأفراد لهم ارتباط مع ربهم ، والكثير الآخر معزولون لا رابطة لهم به ، ولبعض الناس ذهن مطمئن ، بينما لكثير منهم ذهن مضطرب مشوش ؛ يتبع كثير منهم الهوى والهوس ، بينما البعض الآخر يهربون منهما . هذا يعدّ الدنيا داراً أبدية خالدة ، فهو في حركة ونشاط في باطنه من أجل نيلها والوصول إليها ؛ وذلك يعدّ الدنيا فانية ويعتبر الآخرة باقية ، فينظم - على هذا الأساس والمحور - أمور حياته ومعيشته .

إنّ جميع أفراد البشر يختلفون - بلحاظ الباطن - عن بعضهم في إدراكاتهم وعقائدهم ، اطمئناتهم وسكونهم ، ملكاتهم وأخلاقهم وصفاتهم ؛ بينما لا ندرك ذلك منهم بلحاظ الظاهر والشهود ، فهي أمور تعود إلى الغيب والباطن .

المقدمة الرابعة : مادمنّا أسرى الهوى والهوس ، وما دامت أعيننا معلقة بهذا العالم لا تبرحه ، وما دمنّا نعجز عن إلقاء نظرنا إلى الباطن ، فإننا سنرى هذه الموجودات في عالم الطبيعة في تلك الصور الظاهرية ؛ فإذا صلى امرؤ - مثلاً - مدفوعاً بالإخلاص أو بالرياء ، فإننا لا ندرك ذلك ، لأننا نرى ظاهر الصلاة فقط ، أمّا الباطن فأمر آخر لا نفهمه ولا ندركه ، وقد يمكن أن يكون للباطن - دون أن ندرك - عدّة صور أو عدة آلاف من الصور .

أما حين نتحرك إلى الله تعالى ونتخطى دائرة هذه الإدراكات والمدرجات ، أي حين نذهب إلى مكان نعمل فيه حواسنا الباطنية لا الظاهرية ، فإننا سنطلع على باطن الأعمال .
وبعبارة أخرى ، فإن ما يربطنا بالخارج في عالم الشهادة والظاهر يتمثل في هذه الحواس الظاهرية ، فلو عُدنا الأعين لما شاهدنا هذا العالم الظاهري ؛ كما أن آذاننا ، لمسنا ، حسنا ذائقتنا وحسنا شمنا هي وسائل ارتباطنا بالخارج ، وطريقنا للحصول على الإدراكات . أما بغير هذه الحواس فإننا سنعجز عن الاستفادة من عالم الخارج ، فيكون وجوده وعدمه بالنسبة لنا على حد سواء . وستسلب منا هذه الحواس حين نرحل عن هذه الدنيا ، فنفقد - من ثم - أعيننا فتستحيل في القبر تراباً ؛ ونفقد آذاننا وأيدينا وأرجلنا وجوارحنا وحواسنا .

لكن الإنسان له نور باطني يدرك به الحقائق ، وذلك النور متعلق بالنفس وغير متعلق بالبدن ولا بالمشاعر . وسيصحب ذلك النور الإنسان في ذلك العالم ، فيقوم من خلال ذلك الإحساس بإدراك البواطن ، وستعمل هذه الحواس الظاهرية والمشاعر تبعاً له وفي هدي نور وجوده ، فتوصل الإدراكات والعلوم إلى الإنسان ، كما يقول الحكيم السبزواري قدس الله نفسه:-

«إن للنفس في ذاتها سمعاً وبصراً وشمّاً وذوقاً ولمساً وغير ذلك ، فالقوى التي في البدن ظلال لما في النفس وبالتالي في النفس تدرك في النوم والسكر والمرض وفي الكشف الصورية، المحسوسات الجزئية ، ومن هنا يقول العارف :

پنج حسّی هست جز این پنج حسّ

آن چو زرّ سرخ و این حسّ همجو مسّ

صَحَّتَ اَيْنَ حَسَّ زَ مَعْمُورِيَّ بَدَنَ

صَحَّتَ اَنَ حَسَّ زَ وِيرانِيَّ بَدَنَ

صَحَّتَ اَيْنَ حَسَّ بِجَوِيدَ اَزَ طَبِيبَ

صَحَّتَ اَنَ حَسَّ بِجَوِيدَ اَزَ حَبِيبَ^١

ولأنَّ ذلكَ العالمَ عالمُ تُبْلَى السَّرَائِرُ ، فإنَّ المخفَّياتَ ستظهرُ جليَّةً فيه ، فالصلاة - مثلاً - موجودةٌ هناك ، ولكن ليس في هيئة القيام والقعود ، فهذه الصورة في القيام والقعود هي صورتها المُلكيَّة ، بينما ستظهر الصلاة هناك في صورتها الملكوتيَّة .

فكيف كان ملكوت الصلاة هنا يا ترى ؟ أكان عن إخلاص ؟ أكان عن التفات إلى الله وغرق ومحوٍ في جماله تعالى ! فسيظهر ذلك ويتجلَّى في تلك الصورة الملكوتيَّة .

للصلاة هناك صورة أعلى من الأفهام والعقول ؛ وحين تقام الصلاة من أجل الوصول إلى الجنة والحدور العين وتقرباً إليهن ، فإنَّ صورتها الملكوتيَّة هي الجبَّة والحدور العين ، إذ إنَّ الصلاة هناك لا تبقى بمعناها الواقعي ، فالجنة والحدور العين من اللذات النفسانيَّة ، وسينال المصلِّي تلك اللذات أمَّا لو أُقيمت الصلاة هنا رياءً وسُمةً ، فستكون هناك في صورة حية وعقرب

١- «المنظومة السبزواريَّة» حاشيه ص ٣٣٥ ، طبعة ناصري ؛ والأشعار للملّا محمّد العارف الروميّ في «مثنوي» ج ١ و ج ٢ ، طبعة ميرخاني ؛ حيث ورد البيت الأوّل في ج ٢ ، ص ١٠٧ ، وورد البيتان الآخرا في ج ١ ، ص ٩ .
بقول الشاعر : «هناك حواس خمس غير هذه الحواس (الظاهريَّة) ؛ تلك كالذهب الأحمر وهذه كالنحاس .

وبينما يصحّ هذه الحسّ عند معافاة البدن ، يصحّ ذلك الحسّ عند انهياره وتلفه .

فاطلب صحّة هذا الحسّ عند الطبيب ، وانشد صحّة ذلك الحسّ عند الحبيب !»

ونار ، لأنها كانت لغير الله تعالى ، ولأن المصلي ارتكب بفعله محرماً ، إذ الرياء في العبادة حرام .

ومن ثم فإن الأعمال التي يفعلها الإنسان في الدنيا ستوجد هناك في صورتها الملكوتية ، فتظهر الذنوب والمعاصي الكبيرة في صورة النار والأغلال ، وفي صورة الزقوم والحميم والفلز المصهور يُصب في الأفواه ، وبصورة مهل يشوي الوجوه ، فينقلب وضع اللحم حين تمسه النار ، وتسود الوجوه وتُظلم ، وفي النهاية فإنها ستظهر في صورة ظلمات وعقبات ومخاوف وأهوال .

إن هذه الصفات الرذيلة التي يمتلكها الإنسان تلذع نفسه الناطقة القدسية باستمرار كالحيات والأفاعي دون أن يعي الإنسان ذلك ، أي أنه لا يمنح نفسه الفرصة لتفهم ، ولا يكون في صدد الفهم والإدراك . ثم يفتر من الحيات والعقارب الخارجية ويخاف منها ، بينما يتوجب عليه أن يخاف حيات نفسه الأمارة وعقاربها .

يتخيل المسكين أن ليس هناك من شيء ، فنفسه هادئة مطمئنة بذلك الخيال ؛ أما حين تطلع شمس الحقيقة وتسطع ، فإن بواطن الإنسان وذاته وصفاته ستطلع بجلاء في صورها الواقعية والملكوتية ، إذ تُعرض الموجودات في ذلك العالم بحقيقتها لا بمجازها ، إذ العالم عالم الحقيقة ، والحساب لا يتوجه إلى المظاهر .

افرضوا أننا نقف في صحراء ممتدة مكتظة في إحدى جهاتها بأنواع الورود والرياحين وأزهار السوسن والنرجس والياسمين ، ومكتظة في الجهة الأخرى بأنواع القاذورات والأوساخ ؛ وأن الوقت الآن ليل والهواء بارد عليل ، والشمس لم تشرق بعد ، والثلوج تغطي الأرض ؛ فسنشاهد أن جميع هذه الموجودات في حال خفاء ؛ الأفاعي والحيات قد نامت في

جحورها ، والشرائط غير مناسبة للظهور والبروز .
 أمّا حين ينقضي الليل ويطلّ الفجر برأسه من وراء الأفق ، ثمّ تملأ
 الشمس العالم بضياءها ، وتبعث للأرض بنورها ودفئها من خلال وهج
 من النور والحرارة ؛ فإنّ الثلوج ستذوب ، وستعقب الأوراد والرياحين
 بشذاها رويداً رويداً ، فتنهمك البلابل وطيور الكناري بالترنم والشدو على
 الأفنان ؛ ومن الجانب الآخر فإنّ الأقدار والأوساخ ستبعث روائحها العفنة
 التي تزكم الأنوف ؛ وستزحف الحيات والعقارب خارجة من جحورها ،
 سيظهر كلّ موجود في هذه الصحراء الممتدة الحارّة المضاء حقيقة
 وجوده ، ويعرض كمالاته على مسرح الوجود . هذه هي لازمة طلوع شمس
 الحقيقة .

آنكه كه آفتاب حقيقت شود پديد

شرمنده رهروى كه عمل بر مجاز كرد^١
 إنّ القيامة هي محلّ ظهور نور التوحيد وشمس الحقيقة الوهاجة ،
 ومن ثمّ فإنّ جميع الأعمال ستظهر وتبرز ، وسيمثل ما يصل إلى الإنسان من
 مثوبات وعقوبات نتيجة أعماله ، بل نفس أعماله وسلوكه قد أظهرت
 حقيقتها وواقعها في ضوء نور التوحيد .
 وهناك بحث يدور بين العلماء الأعلام في أمر الجزاء الذي يُجازى به
 الإنسان يوم القيامة على أعماله في دار الدنيا ، أهو أمرٌ خارجيّ يُجزى به ،
 أو أنّه يمثل تجسّد الأعمال ونفس ظهور فعل الإنسان وسيرته ؟
 وقد أثبتنا بصورة وافية في مباحث عالم المثال والبرزخ اعتماداً على
 الآيات القرآنية والروايات الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام أنّ

١- يقول : «عندما تستبين شمس الحقيقة ، فسيحجل كلّ سالكٍ عمل بالمجازا!» .

جزاء الأعمال ليس خارجاً عنها ، وأنه نفس تجسّد الأعمال وبروزها وظهورها . وقد برهن المرحوم صدر المتألّهين علي هذا الأمر في مواضع كثيرة ، سواءً في كتابه «الأسفار» أم في سائر كتبه الأخرى .

لذا لا يمكن للإنسان الاحتجاج على ربّه يوم القيامة ، بل لله الحجة البالغة دوماً على الإنسان ، لأنّ الإنسان يرى نفس عمله ، ويرى الجنة وجهنم عين سلوكه وفعله وقد تجلّى في صورة ملكوتية :

وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ^١

وحين يرى الإنسان أنّ وقود جهنم هو نفس مدركات قلبه ونواياه الباطنة ويرى أنّ الجنة والحدور العين ورضوان من الله أكبر هي نفس مفرزات ذهنه وخلوصه وإخلاصه ؛ فأيّ حجة سيمكنه - من ثم - إقامتها عند ربّه ؟ وكيف ستكون له الحجة على ربّه ؟

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في الدعاء الذي علّمه لكميل بن زياد النخعي: وَلَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَلَا حُجَّةَ لِي فِيمَا جَرَى عَلَيَّ فِيهِ قَضَاؤُكَ^٢.

١- النصف الثاني من الآية ٤٦ ، من السورة ٤١ : فصلّت .

٢- دعاء كميل من الأدعية القيّمة ذات المضامين العالية . وقد أورده الشيخ الطوسي في «مصباح المتّهجد» ص ٥٨٧ إلى ٥٩٢ ، في أعمال ليلة النصف من شعبان . وأورده المجلسي في «زاد المعاد» ص ٦١ إلى ٧٣ ؛ كما أورده الشيخ إبراهيم الكفعمي في «مصباح الكفعمي» ص ٥٥٥ إلى ٥٦٠ ، وفي «البلد الأمين» ص ١٨٨ إلى ١٩١ . أمّا المرحوم السيّد ابن طاووس فقد أورده في «الإقبال» ص ٧٠٦ إلى ٧١٠ في أعمال ليلة النصف من شعبان ، حيث نقله بسندين : الأوّل عن جدّه الشيخ الطوسي رحمة الله عليه بهذا المضمون أنّه روي أنّ كميل بن زياد النخعي رأى أمير المؤمنين عليه السلام ساجداً يدعو بهذا الدعاء في ليلة النصف من شعبان .

والثاني في رواية أخرى بهذا المضمون : قال كميل بن زياد : كنْتُ جالساً مع مولاي ☞

المقدمة الخامسة : إنّ المعاد هو الرجوع إلى الله تعالى ، وليس في عرض هذا العالم ، بل هو في طوله . وإيضاح هذا الأمر نقول :

معنى تقدّم وتأخّر عوالم الطبع والبرزخ والقيامة قياساً إلى بعضها :
يظنّ عامة الناس أنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم في الجنة في زمن معيّن ، ثمّ سلّط الشيطان عليه ، ثمّ أخرجه من الجنة فهبط على الأرض ، حتّى انتهى الأمر بتعاقب الأزمان إلى عصرنا هذا الذي ولدنا فيه ، وأننا سنعمّر على امتداد هذا الزمان حتّى نموت ، ثمّ يكون لنا برزخ في زمنٍ لاحق ، وحين ينقضي ذلك الزمن فإنّنا سنذهب إلى القيامة .

أي أنّهم يتصوّرون أنّ عالم المثال الذي سبق هذا العالم يجسّده زمناً معيّناً في عرض هذا العالم ، وأنّ عالم البرزخ الذي يتبع هذا العالم يمثل أيضاً زمناً آخر في عرض هذا العالم . ويعني ذلك أنّنا نطوي في هذه الدنيا المراحل الزمنية الواحدة تلو الأخرى ، فنرد البرزخ بعد انتهاء تلك المراحل وضمن هذه السلسلة الزمنية ، ثمّ ينتهي زمن البرزخ في هذه السلسلة فنرد عالم القيامة . والأمر على هذا النحو بالنسبة إلى القيامة التي تمثّل زمناً معيّناً

هو أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد البصرة ومعه جماعة من أصحابه فقال بعضهم : ما معنى قول الله عزّ وجلّ «فيها يفرق كلّ أمرٍ حكيم» ؟ قال عليه السلام : ليلة النصف من شعبان ؛ والذي نفس عليّ بيده إنّه مامن عبديّ إلاّ وجميع ما يجري عليه من خير وشرّ مقسوم له في ليلة النصف من شعبان إلى آخر السنة في مثل تلك الليلة المقبلة ، وما من عبديّ يُحييها ويدعو بدعاء الخضر عليه السلام إلاّ أُجيب له . فلمّا انصرف طرقته ليلاً فقال : ما جاء بك يا كميل ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ! دعاء الخضر . فقال : اجلس يا كميل ، إذا حفظت هذا الدعاء فادعُ به كلّ ليلة جمعة أو في الشهر مرّة أو في السنة مرّة أو في عمرك مرّة تُكفّ وتُنصر وتُرزق ولن تُعدم المغفرة . يا كميل ! أوحبّ لك طول الصلوة لنا أن نجود لك بما سألت . ثمّ قال : اكتب : اللهمّ إنّي أسألك برحمتك - الدعاء

تتعاقب أوقاته حتى يحكم الله بين الناس .
وترجع الكثير من الإشكالات والأخطاء التي تدور في أذهان الناس - صرّحوا بها أم لم يصرّحوا - إلى هذه الطريقة الخاطئة من فهم الأمر .
فهم يقولون : ما الذي سيحصل بعد القيامة ؟ وما الذي سيحصل لو انقضت مليون سنة أخرى ؟ وما الذي سيحصل لو مرّت مليون سنة ؟ مع أنّ القيامة ليست في عرض هذا العالم ، ومع أنّ جميع هذه الأسئلة ستكون - من ثمّ - أسئلة لا مبرّر لها .

ولبيان هذه الحقيقة نقول : إنّ العوالم متداخلة عمقاً ؛ أي أنّ عالم البرزخ ليس عالماً يتبع هذا العالم ، بل هو عالم محيط بهذا العالم الماديّ الطبيعيّ ، كما أنّه لن يوجد في وقت لاحق ، لأنّه موجود في الوقت الحاضر .

كما أنّ عالم النفس والقيامة محيط بنا ، ومحيط بعالم الطبيعة والمادة وبالعالم البرزخيّ كليهما . فهو موجود - إذأً - ومتحقّق ، لا أنّه سيوجد فيما بعد ويولي هذا العالم .

افرضوا أنّ الزمن الذي نولد فيه ونتحرّك إلى الأمام إثر حركة الزمن حتّى نفارق الدنيا يمثل إناءً ووعاءً معيّناً ؛ فسيمثّل عالم البرزخ عالماً محيطاً بجميع هذا الوعاء ، وسيمثّل عالم القيامة - بدوره - عالماً محيطاً بهذا العالم وبالعالم البرزخيّ كليهما .

فإن شئنا - والأمر كذلك - أن نصل إلى البرزخ ، فلن يتوجب أن ينقضي عمرنا لنذهب عند موتنا إلى عالم البرزخ ، لأنّ البرزخ موجود فعلاً . ولو أردنا الاطلاع على برزخنا فليس علينا أن نسير عرضيّاً ، بل علينا أن نسير طوليّاً إلى الأعلى ، أي أن نتحرّك حركة معنوية صوب مقام التجرد وعوالم المعنى لنصل إلى البرزخ ، ثمّ نسير من هناك سيراً طوليّاً ونرتقي

إلى الأعلى لنصل إلى القيامة ، سواءً قمنا بهذا العمل بعد موتنا أم خلال حياتنا .

ولو نال امرؤ ما مقام التجرد في الدنيا فإنه سيموت موتاً اختيارياً بحيث يتخطى عالم الصورة ويصل إلى القيامة . ولو خرج امرؤ في الدنيا من عالم الشهوة والهوى والآمال وتخطى محبة الدنيا من خلال تهذيب النفس واتباع الشريعة واقتفاء أثر تعاليم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبواسطة رعاية الجوانب المعنوية للأمور الشرعية والعبادية وصولاً إلى حيازة ملكة التقوى ؛ فإنه سيسير إلى الله تعالى سيراً من لوازمه الوصول إلى البرزخ في المنزل الأول . ومن ثم فإنه سيدرك برزخه بلا شك ولا ريب .

ما هو البرزخ ؟ هو عالم الصورة ، وهو التجرد من المادة . أي أن يرى الإنسان نفسه مجرداً من المادة ، ويُدرك الموجودات البرزخية التي تمتلك صورة إلا أنها عديمة الثقل والمادة .

فإن تحرّك من هناك إلى الأمام من خلال تهذيب النفس واتباع أوامر رسول الله ، وتحرّك في مسيرة طولية تصاعدية - لا في عرض الزمان - وارتقى إلى الأعلى في مسيره إلى الله تعالى ، فإنه سيصل إلى القيامة فيدرك قيامته بجميع آثارها وخصائصها .

لذا ورد في الحديث: لَنْ يَلِجَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ مَنْ لَمْ يُولَدْ مَرَّتَيْنِ . وإذا لم يوفق الإنسان خلال حياته لإدراك هذه العوالم اختياراً ، فإنه سيصلها ويدركها بعد موته اضطراراً .

أي أن الإنسان سيدخل البرزخ من خلال السير العرضي حين يقطع علاقته بالبدن وحين يصل موعد موته . ثم ينقضي البرزخ فيرد القيامة من خلال سيره العرضي .

هذه هي حقيقة السير إلى الله تعالى ، لأننا نذهب . إليه سبحانه عند موتنا ؛ أفلسنا نقول : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ؟ أَوَلَمْ نذكر عند مطلع البحث آيات : إِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ، إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ، إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ؟ فأين هو الله تعالى ؟ ليس له مكان ولا زمان ، وهو موجود في كل مكان وفي كل آن وزمان . فنحن - إذاً - نُحْشَرُ إليه ، أي أننا نسير إلى الأعلى في تقربنا وسيرنا الطولي حتى نصل إلى حيث نراه محيطاً بكل شيء ؟

لقد بُعثت فينا الروح ووُلدنا وأطلق علينا أبونا العزيز اسماً وأقام وليمة في الليلة السابعة لولادتنا وعق عنا ودعى الأرحام والأصدقاء ، ثم كبرنا وترعرعنا شيئاً فشيئاً وبلغ عمرنا سنتين ثم أربع سنوات ، ثم ذهبنا إلى المدرسة ، ثم أدركنا سن البلوغ والشباب ثم الكهولة ، ثم إننا نموت ، وذلك في مسيرة متوالية تجاه الله تعالى . ثم إننا نذهب إلى عالم البرزخ ثم إلى القيامة ونجتاز كل هذه الأزمنة الواقعة في عرض العالم حتى نصل إلى الله سبحانه . فهو - إذاً - إله واقع في أقصى العالم . وكم هو إله مظلوم ، وكم نحن بشر ظالمون ! لأننا نأتي إلى الإله المحيط بكل شيء والموجود مع كل شيء ، الذي له المعية مع كل شيء ، لا تخلو منه لحظة في العالم ، الإله الذي نقرأ عنه : **وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** .

نأتي إليه فنسلب منه كل هذه الأمور ، ثم نرده إلى الوراثة ونجعله في تلك الزاوية البعيدة من العالم . وحصيلة القول أننا نجعل الله موجوداً ضعيفاً بلا خاصية ولا إرادة ، إلهاً عاجزاً عن فعل أي شيء ، إلهاً قد سلب منه كل شيء وأوكل إلى أمور التكوين ، إلهاً نجعله في هذه الزاوية وتلك الزاوية من العالم ، أي في الزاويتين الأولى والأخيرة من العالم ، ثم نعتبر معنى الأزل والأبد الزمنيين الأول والآخر . فأكرم بهذا الوضع وهذا الحساب !! وهو كلام خاطئ بأجمعه ومُجانب للصواب . فالله تعالى موجود ، وهو

موجود دوماً في كل مكان ومع كل شيء ؛ والقيامة موجودة والبرزخ موجود ، والعوالم التي تعلو القيامة (أي الأسماء والصفات الكلّية الإلهية) موجودة ، والذات المقدسة لله تعالى موجودة .

معنى الأزل والأبد :

لا يعني الأزل بداية الزمان ، كما لا يعني الأبد نهاية أمد الزمان وطوله ، بل إنّ معنى الأزل باللحاظ الطولي قياساً إلى هذا العالم يتمثل في نقطة ابتداء الخلقة في الدرجات العالية ومراتب القدرة والعلم . أما الأبد فيعني نقطة انتهاء الخلقة في الدرجات العالية ومراتب العلم والقدرة . فنقطتي الأزل والأبد واحدة ، إلّا أنّها واحدة باعتبارين ، فهي تدعى بالأزل بلحاظ بداية الخلقة ، وتدعى بالأبد باعتبار نهايتها .

أي أنّ الأزل عبارة عن النقطة التي أراد الله عزّ اسمه فيها خلق عوالم الكثرة والعوالم الملكوتية من ذاته المقدسة في أعلى الدرجات والمقامات ، كما أنّ الأبد هو النقطة التي تصلها جميع الموجودات والمخلوقات في سيرها إلى الذات المقدسة في أعلى الدرجات والمقامات .

أين ازل عين ابد آمد يقين ظاهر اينجا عين باطن شد ببين^١
ولو فرضنا - من باب المثال - أنّ الذات الأحديّة ومقام غيب الغيوب وما لا اسم له يمثل نقطة لا بُعد لها (نقطة رياضية لا نقطة فيزيائية) ، وأنّ أوّل نقطة ظهور الكثرات تمثل الإرادة والمشية ، وأنّ كثرات عالم الملكوت توجد من هناك الواحدة تلو الأخرى وتتنزّل إلى الأسفل وصولاً إلى عالم الطبع والمادة الأوسع - بلحاظ الكثرة - من جميع العوالم والأضيق منها بلحاظ الحياة والعلم والقدرة ، فإنّ شكلاً مخروطياً سيتشكل بحيث

١ - يقول : «لقد صار الأزل عين الأبد نقباً ، فانظر كيف صار الظاهر هنا عين الباطن» .

تمثّل قمتّه مقام اسم الأحد ، ثمّ في مقام أدنى منه اسم الحيّ والعليم القدير ، ثمّ الأدنى وهو مقام الإرادة والمشیئة الذي نشأ منه العالم ، ثمّ تليها كثرات العالم متعاقبة كلّما اتّجهنا نحو الأسفل ، حتّى نصل إلى قاعدة المخروط التي تمثّل عالم المادّة وهو أظلم العوالم .

ولقد خلّق كلّ واحد من الموجودات من نقطة معيّنة بإرادة الخالق تعالى ، ثمّ إنّها طوت قوس النزول والحركة إلى عالم المادّة ، فتحرّكت - من ثمّ - إلى جهة المبدأ ، لتصل من خلال طيّ قوس الصعود إلى تلك النقطة التي بدأت منها ، وصولاً إلى فنائها في تلك النقطة : كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ^١ . ومن هنا فإنّ جميع الموجودات تعود إلى الله تعالى ، إذ إنّ ذات الحقّ القدسيّة هي غاية سير جهاز الخلقة ومنتهى حرّكته : وَأَنَّ إِلَهِيَّ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى^٢ .

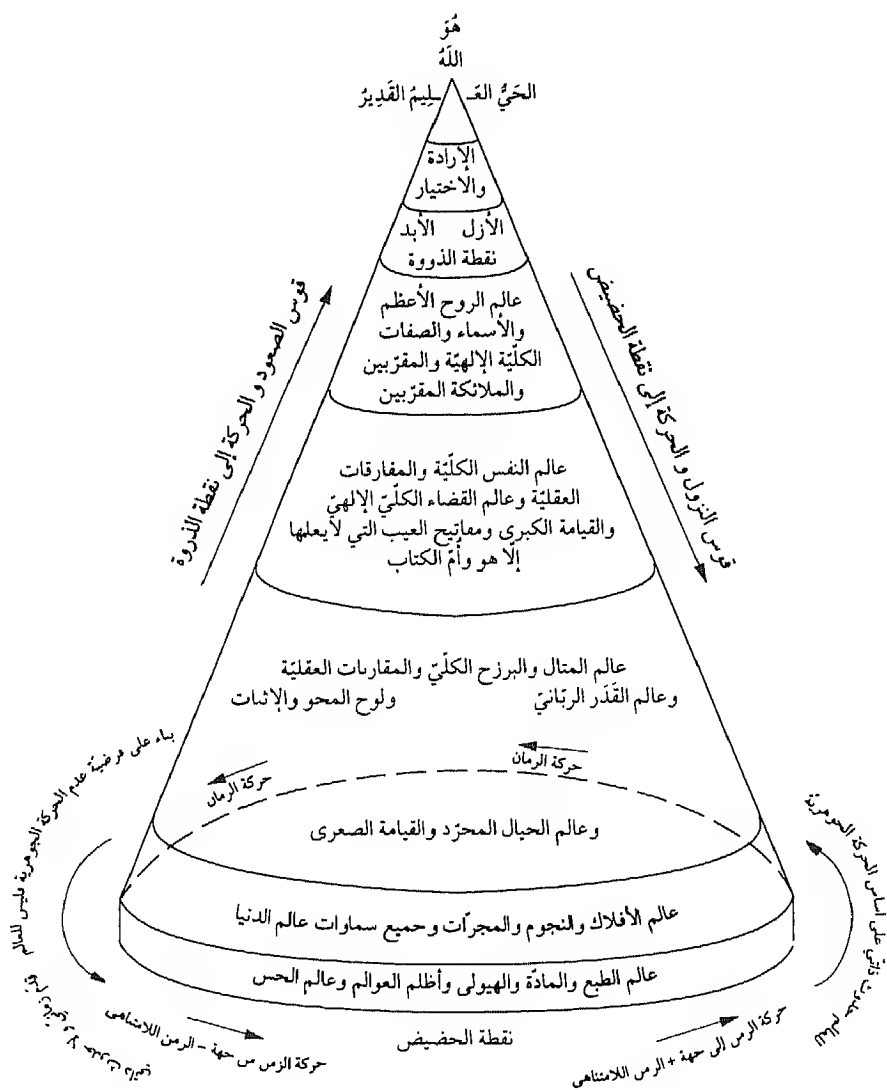
ولا يخفى أنّنا جعلنا قمته المخروط تمثّل الذات الأحديّة التي ليس لها اسم ولا رسم بأيّ وجه من الوجوه ، وإلاّ فإنّ قدرة الخالق وعلمه وحياته وسائر أسمائه وصفاته موجودة في جميع هذا المخروط ومثبتة حتّى في قاعدته التي تمثّل عالم الكثرات المادّيّة والطبيعيّة ، بل إنّها ملأت جميع هذا المخروط بحيث إنّنا لا نجد ذرّة ولا نقطة واحدة في هذا المخروط خالية من الله تعالى ولم يصل اسمه وصفته وفعله .

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^٣ .

١- المقطع الأخير من الآية ٢٩ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٢- الآية ٤٢ ، من السورة ٥٣ : النجم .

٣- الآية ٣٥ ، من السورة ٢٤ : النور .



ومن هنا فإن اسم الواحد (وهو مقام ظهور نور الذات في مظاهر العالم) يشكّل مجموعة المخروط .

ويتّضح ممّا قيل معنى الأزل والأبد :

الأزل : أوّل نقطة الحضيض لطّي قوس النزول في عالم الكثرة .

الأبد : آخر نقطة الذروة بعد طّي قوس الصعود إلى عالم الوحدة .

وعلمنا جيّداً - تبعاً لهذه المقدّمة - أين عالم البرزخ ، وأين عالم القيامة ، فعالم البرزخ موجود الآن ، وعالم القيامة موجود كذلك . ولا يمكننا القول بأنّ القيامة موجودة الآن ، لأنّ «الآن» تعني في هذا الزمن ، بينما ليس للقيامة زمان ، وهي ما فوق الزمان .

تماماً كما نقول إنّ بدننا موجود الآن ، إلّا أنّ من الخطأ أن نقول بأنّ روحنا موجودة الآن . علينا أن نقول : الروح موجودة ، لأنّ الروح مجرّدة عن الزمان ولا يسعها الزمان .

بلى يمكننا القول بأنّها موجودة في هذه الساعة بلحاظ أنّ روحنا قد وسعت هذه الساعة وهذه اللحظة أيضاً ، كما أنّنا نستطيع القول بهذا اللحاظ إنّ القيامة موجودة في هذه الساعة ، بل إنّنا نستطيع القول بأنّ الله تعالى موجود في هذه الساعة .

إنّ روح الإنسان ونفسه الناطقة مجرّدة وليست مقيدة بالزمان بأيّ وجه ، اللهم إلّا باعتبار تعلّقها بالبدن بلحاظ إدراك صاحبها أمّا لو شاهد امرؤ روحه وجداناً ، لرآها فوق الزمان والمكان ، بل لرآها مهيمنة على الزمان وقد طبقت جميع العوالم ، فجميع العوالم كالجزوة في قبضتها .

لكنّا لم ندرك روحنا ، وتصوّرنّا أنّ وجودنا ليس إلّا هذا الوجود الماديّ الطبيعيّ ، وأتّه محدود بالزمان والمكان ، فتصوّرنّا - من ثمّ - أنّ روحنا زمانيّة بدورها ، وصرنا نقول بأنّنا موجودون الآن ، وبأنّ روحنا

موجودة الآن ، وعلينا أن نحذف قيد «الآن» ليصَحَّ تعبيرنا .
 إنّ عالم البرزخ من تتمات عالم الدنيا ، وليس عالماً مجرداً محضاً ،
 فهو يمتلك صورة على الرغم من خلوه من المادّة . وتبعاً لذلك فإنه يتضمّن
 زماناً ويمكننا لذلك أن نقول بأنّ عالم البرزخ موجود الآن . أمّا القيامة
 فمجردة من الصورة والمادّة كليهما ولا زمان لها ، ومن هنا يجب التعبير
 عنها بعبارة : القيامة موجودة . وإذا ما كانت القيامة مجردة والروح مجردة ،
 فلماذا لا ندرك القيامة يا ترى ؟ الإجابة : لأننا لم نصبح مجردين ولم ندرك
 التجرد ولم نفهم مقولة «رو مجرد شو مجرد را بين»^١ .
 يقول الحافظ الشيرازي رضوان الله عليه في مقام التعليم والوعظ في
 هذا المجال بيانٍ بديع :

به سرّ جام جم آنکه نظر توانی کرد
 که خاک می‌کده کُحل بصر توانی کرد
 مباش بی می و مطرب که زیر طاق سپهر
 بدین ترانه غم از دل بدر توانی کرد
 گدائی در میخانه طُرفه اکسیرست
 گر این عمل بکنی خاک زر توانی کرد^٢

١- يقول : «اذهب وكن مجرداً لتري المجرد» .

٢- «ديوان حافظ» حرف الدال ، ص ٥١ ، طعة يزمان .

يقول : «سيمكك الاطلاع على سرّ كأس الملك جم (على سرّ قلب العارف) حير
 تكحل ناظرليك بتراب الحانة !
 ولا تبقيّن دون مطرب و شراب ، فتحت قبة السماء سيمكك بهذه الأغنية طرد الغم
 من قلبك .
 الاستحذاء على باب الحانة كيمياء عجيبة ، فإن فعلت ذلك صار بإمكانك قلب التراب
 ذهباً»

به عزم مرحلة عشق پیش نه قدمی
 که سودها کنی ار این سفر توانی کرد
 بیا که چاره ذوق حضور و نظم امور
 به فیض بخشی اهل نظر توانی کرد
 گل مراد تو آنگه نقاب بگشاید
 که خدمتش چو سیم سحر توانی کرد
 تو کز سرای طبیعت نمی روی بیرون
 کجا به کوی طریقت گذر توانی کرد
 جمال یار ندارد نقاب و پرده ولی
 غبار ره بشان تا نظر توانی کرد
 گرت ز نور ریاضت خبر شود حافظ
 چو شمع خنده زنان ترک سر توانی کرد
 ولی تو نال معشوق و جام می خواهی
 طمع مدار که کار دگر توانی کرد^۱

۱- مولا «احط إلى الأمام قاصدا منزل العسو، فسنحني الكثير لو أمكنك السفر.
 عال فإن الحصول على ذوق الحضور وانتظام الأمور ممكن لو من أهل النظر مضيه
 والنفائهم

و سسفر وردك المشنهة النقاب إن أمكنك مدارها كنسيم السحر
 وآسى لك - آى الذى لم خط' خارج فناء الطسعة - أن يضع قدمك على طريق الحققة
 لس لحمال الحب نقاب وستار . فأزل غار الطريق لنراه حلنا .
 لو اطلع على نور الرياضة ما حافظ ، لأمكنك - كالسمع - أن تحلى عن رأسك
 صاحبك

ولكن ما دمت سعى إلى سفة المعسوق والكأس ، فلا طمع في فعل أمر آخر»

وما أروع بيان المغربي لحال التجرد بعد نيله والوصول إليه :
 دلي نداشتم آن هم كه بود يار ببرد
 کدام دل كه نه آن يار غمگسار ببرد
 به نيم غمزه روان من هزار ربود
 به يك كرشمه دل همچو من هزار ببرد
 هزار نقش برانگيخت آن نگار ظريف
 كه تا به نقش دل ار دستم آن نگار ببرد
 به يادگار دلي داشتم ز حضرت دوست
 ندانم از چه سبب دوست يادگار ببرد
 دلم كه آينه روى اوست داشت غبار
 صفای چهره او از دلم غبار ببرد
 چو در ميانه در آمد خرد كناره گرفت
 چو در كنار در آمد دل از كنار ببرد^١

١- «ديوان مغربي» ص ٥٠ .

نمولى . «لم أملك فلاناً ، فقد خطف الحبيب قلبي ، وأني فلت - ترى - لا يحطفه ذلك
 الحبيب مجلى الهموم ؟
 فقد حطف الهزار روجي بنصف لحظ من العين ؛ وسلب الآلاف متلي بغمزة واحدة
 لقد أثار ذلك الكاتب الطريف ألف صورة في قلبي ، حتى إذا ارتسمت في القلب
 صادرها من لدى
 كان لي - ذكرى من الحبيب - قلت ؛ لست أدري لم استعاد النذكار مني الحبيب .
 قد علا الغبار قلبي الذي كان مرآة وجهه ، فحلى صفاء طلعته عن قلبي العبار .
 حين حل في القلب تحكى العقل حائناً ، وحين صار إلى الجنب حطف القلب من
 الجيب .

اگر چه در دل مسکین من قرار گرفت
ولیکن از دل مسکین من قرار ببرد
به هوش بودم و با اختیار دار همه کار
ز من به عشوه گری هوش و اختیار ببرد
کنون نه جان و نه دل دارم و نه عقل و نه هوش
چو عقل و هوش و دل و جان هر چهار ببرد
چو آمد به میان رفت مغربی زمیان
چو او به کار درآمد مرا ز کار ببرد^١
وحین یُزاح الستار فستتجلی هذه الحقائق كالشمس : فَكَشَفْنَا عَنْكَ
غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ^٢.

المقدمة السادسة : إنّ عالم الحشر ، أي عالم الجمع ؛ فالنفوس التي
ترحل عن هذا العالم متجهة إلى الله تعالى تتجه إلى نفس النقطة التي تمثل
بداية خلقتها والتي تنزلت عنها إلى هذا العالم .

جميع الموجودات لها عالم معاد : إنّ جميع موجودات هذا العالم لها
معاد وحركة باتجاه الله المتعال ، ومن ثمّ فإنّ جميع النفوس لها معاد ،
الإنسان والحيوان والنبات ، وحتى الجمادات ، كما أنّ نفوس الملائكة
والأنبياء وجميع الموجودات المجردة للعالم العلويّ لها معاد ، ومعادها

١- يقول : «ومع أنّه قد استقرّ في قلبي المسكين ، إلّا أنّه قد سلب الاستمرار عنه .
كنت صاحباً مختاراً في جميع أموري ، فسلبت بفتنته وغنجه صحتي واختياري .
فصرت لا روح ولا قلب لي ولا عقل ولا شعور ؛ فقد سلب العقل والشعور والقلب
والروح جميعاً .

حيث قدّم ، رال المغربيّ عني البين ، لأنّه قد أزالني بمجيئه» .

٢- النصف الثاني من الآية ٢٢ ، من السورة ٥٠ : ق .

عبارة عن الاندكاك والفناء في ذلك الاسم من أسماء ذات الحق الذي وجدت منه .

هذه البعوضة لها معاد ، أي أنّ القوس النزولي الذي طوته في الخلقة ينبغي عليها أن ترتقيه ثانية فتضمحل وتفنى وتندك في ذلك الاسم والصفة التي أوجبت بدءها ونشأتها :

كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ^١

كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ^٢

إنّ الله تعالى خلق أول ما خلق العقل ، حيث ورد في الرواية : أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ .

أو النور ، حيث ورد ذلك في الرواية أيضاً ؛ أو الماء الذي يقصد به الوجود المنبسط وسعة رحمة الله ؛ حيث ورد : أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْمَاءَ .

وعلى كلّ تقدير فإنّ معادها سيكون إلى الذات المقدسة . ثمّ إنّ الله تعالى خلق من ذلك الاسم والخلق الأول الموجودات المجردة كأرواح الملائكة والعقول والنفوس القدسيّة والنفوس الناطقة ، ثمّ خلق منها الأسماء الجزئية والموجودات المتكثّرة بترتيب النزول من رأس المخروط إلى قاعدته .

ومن هنا فإنّ معاد كلّ موجود في هذه السلسلة من المراتب ، عبارة عن العودة والرجوع إلى المبدأ الذي خُلِقَ منه ، والفناء والاندكاك في ذلك الاسم للحيّ القيوم . وقد صرّح بهذه المطالب بصورة كاملة في دعاء السمات ، وهو من أرقى الأدعية الحاوية لنكات ودقائق عرفانية عجيبة ، كما

١- مقطع من الآية ٢٩ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٢- مقطع من الآية ١٠٤ ، من السورة ٢١ الأنبياء .

صرّح بذلك في الروايات التي تذكر كيفية نشوء العالم من أسماء الله تعالى .
والإنسان - بدوره - يعود إلى المبدأ الذي خُلق منه ، وإلى المكان
الذي جُبلت منه طبيئته ، سواءً كان من عليّين أم من سَجّين .

وتدعى حركة الإنسان من عالم الكثرة إلى مقام الوحدة ، ومن
الاعتبار إلى الحقيقة حشراً ، أي أنّ عالم الجمع عالمٌ يجمع فيه الإنسان
وينطوي ويفنى ويندك ويضمحل .

جاء في كتاب «أقرب الموارد» أنّ الحشر بمعنى الجمع : وَيَوْمَ الْحَشْرِ
يَوْمُ الْبَعْثِ وَالْمَعَادِ ، وَهُوَ مَا خُذُ مِنْ حَشَرِ الْقَوْمِ إِذَا جَمَعَهُمْ .

وقال الجوهريّ في «صاحح اللغة» : حَشَرْتُ النَّاسَ أَخَشَرُهُمْ
وَأَخَشَرُهُمْ : جَمَعْتُهُمْ ، وَمِنْهُ يَوْمُ الْحَشْرِ .

وقال ابن منظور في «لسان العرب» بعد نقله مقولة «الصاحح» :
وَالْحَشْرُ جَمْعُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وبطبيعة الحال فإنّ للحشر معنى آخر ، وهو اجتماع الناس مع
بعضهم يوم القيامة ، حيث ورد : ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ
مَّشْهُودٌ^١ .

افرضوا - من باب المثال - أنّ أفكاركم تضطرب في وقتٍ ما ، وأنّ
الخواطر الذهنيّة تهاجمكم من كلّ صوب ، وأنكم مهما حاولتم تصفية
أذهانكم من هذه الخواطر والأوهام فشلتكم وعجزتم ، ثمّ إنكم تعمدون إلى
تسكين أنفسكم بكلّ وسائل التسكين والتهدئة ، فتختلون بأنفسكم
وتزورون أهل القبور ، وتعودون المرضى والبائسين ، وتذكرون الآخرة
والموت وتلقنون أنفسكم بأنّ الدنيا فانية زائلة ، حتّى يهدأ بالكم شيئاً

١- الآية ١٠٣ ، من السورة ١١ هود .

فشيئاً ، وتغادركم الخواطر المضطربة ، وتنصرفون إلى أنفسكم وتنغمرون في الطمأنينة وسكينة خاطر وهدوء البال ، ويصفو ذهنكم من المنغصات والمكدرات ومن الأفكار المبهجة أو المُحزنة .

علينا أن نتجه إلى حيث يصفو ذهننا من كل ما سوى الله تعالى ، وإلى حيث يفنى وجودنا في ذاته القدسية ، وهذا هو معنى وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . هناك حيث لا ظلمة ولا معصية ولا أوهام ولا أفكار مشوشة ، هناك حيث عالم الجمع ومقام التجرد المطلق .

المقدمة السابعة : إنه عالم النشر ، والنشر بمعنى البسط ، حيث إن لدينا عالماً للنشر يلي عالم الحشر ، أي أن ذلك النحو من الجمع والفناء يعود فيُيسط ويُنشر أشبه بلفافة قماشية مطوية تُفتح الآن فيعرض للأنظار جميع خصائصها ومساحتها وشكلها وأبعادها .

قال العلامة الطباطبائي مد ظله العالی في تفسير الآية : وَكُلُّوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ^١ : النشر إحياء الميت بعد موته ، وأصله من نَشَرَ الصَّحِيفَةَ وَالثَّوبَ إِذَا بَسَطَهُمَا بَعْدَ طَيِّهِمَا .

وقوله وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ، أي ويرجع إليه نشر الأموات بإخراجهم من الأرض وإحيائهم للحساب والجزاء^٢ .

وجاء في «أقرب الموارد» : وَنَشَرَ الثَّوبَ وَالكِتَابَ نَشْرًا : بَسَطَهُ ، خِلافَ طَوَاهُ ، وَنَشَرَ اللَّهُ الْمَوْتَى نَشْرًا وَنُشُورًا ، أَحْيَاهُمْ فَكَأَنَّهُمْ خَرَجُوا وَنُشِرُوا بَعْدَ مَا طَوَوْا^٣ .

١- الآية ١٥ ، من السورة ٦٧ الملك

٢- «تفسير الميزان» ج ٢٠ ، ص ١٤ .

٣- «أقرب الموارد» ج ٢ ، ص ١٣٠٠ .

وقال الجوهري في «صاح اللغة»: وَنَشَرَ الْمَتَاعَ وَغَيْرُهُ يُنْشَرُهُ نَشْراً بَسْطَةً؛ وَمِنْهُ رِيحٌ نُشُورٌ، وَرِيَا حٌ نُشْرٌ، وَنُشِرَ الْمَيْتُ يُنْشَرُ نُشُوراً، أَي عَاشَ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ قَالَ الْأَعَشَى:

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَا عَجَباً لِلْمَيْتِ النَّاشِرِ
وَمِنْهُ يَوْمُ النُّشُورِ، وَأَنْشَرَهُمُ اللَّهُ أَي أَحْيَاهُمْ.^١

وأورد ابن الأثير في «النهاية» أنه في حديث الدعاء:
لَكَ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ؛ يُقَالُ نُشِرَ الْمَيْتُ يُنْشَرُ نُشُوراً:
إِذَا عَاشَ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَنْشَرَهُ اللَّهُ أَي أَحْيَاهُ.^٢
وأورده في «لسان العرب» بنفس هذه الألفاظ وعقب عليه بقوله:
وَمِنْهُ يَوْمُ النُّشُورِ.^٣

ويستخلص مما قيل أن عالم النشر يعني عالم الحياة، أي أن الناس
يفنون في سيرهم إلى الله تعالى ثم يتحرّكون ثانية من الفناء إلى البقاء،
وينشرون مثل نشر لفافة الثوب المطوية ويحصل لهم إحاطة وجودية
وإحاطة علمية بأعمالهم ويتعرّضون للحساب والجزاء والعرض والسؤال.
تماماً مثل لفافة مكتوبة طويلة كتبت وطُويت فلم يعد لأحد علم
بمضمونها ومطالبها، لكنّها تُفتح وتُبسّط فيتّضح ما فيها.
وهذا العالم هو عالم البقاء بالله، الذي يُدعى أيضاً بالبقاء بعد الفناء،
وقد ورد في عالم المعاد والحشر تعبير: إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ، أي أنكم تقلّبون إلى
الله فيطوى عالم الكثرة ويضمحل. كما ورد تعبير:

١- «صاح اللغة» ج ١، ص ٣٠٦.

٢- «النهاية» لـ ابن الأثير، ج ٥، ص ٥٤.

٣- «لسان العرب» ج «رر» ص ٢٠٦.

وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ، أي أن ما كنتم تتخيلون وتزعمون سيفنى ويذول ويتلاشى . أما في عالم النشر فالأمر على العكس ، إذ يبعث جميع الأموات وتظهر المخفيات ، ويقف الإنسان على جميع أعماله وعباداته ومعاصيه ونواياه وأخلاقه وملكاته وعقائده .

أما الآن وقد اتضحت هذه المقدمات السبع فنقول :

إن الإنسان سيصل إلى مقام البقاء بعد أن يصل إلى مقام الفناء ، وأدنى درجات ذلك أن تحصل له الإحاطة العلمية والوجودية بكشاته . أي أنه سيحصل على السيطرة على عالمي الزمان والمكان ، وسيقف على نفسه منذ زمن ولادته إلى موته ، وذلك بهذا البدن العنصري ومع جميع الأفعال التي عملها ، وسيحصل على السيطرة الوجودية على جميع سيرته من الأعمال الصالحة والطالحة . أي أنه سيدرك بدنه المادي العنصري وجداناً ، ليس للحظة واحدة ، بل لجميع مدة عمره مع جميع الآثار والخصائص والمستلزمات . وكما تحيط روحنا ببدننا في هذه اللحظة ، فإن روح الإنسان ستجد الإحاطة الوجودية ببدنه في جميع مدة عمره ومع جميع خصوصياته ومقارناته ، وستهيمن عليه بتمام معنى الكلمة ، وسيكون للروح علم حضوري ببدنها وسيرته .

وكما سبق أن ذكرنا ، فباعتبار أن الإنسان سيتجلى مع أعماله في ذلك العالم في صورة ملكوتية ، وأن حقائق الأشياء ستتكشف له ، وأن الجنة وجهنم ، الثواب والعقاب ، هي - من جهة أخرى - نفس توفية الأعمال وحقائق الأفعال وتجسد روحها وواقعها ، فإن الإنسان سيحصل - من ثم - على الإحاطة بجميع بدنه العنصري مع النيران التي سقرها أو الورود والياسمين التي غرسها ، وليست هذه الإحاطة مجرد علم وإحاطة تصوورية ، بل هي إحاطة وجودية أشبه بالروح المجردة ، والله العالم .

الْجَلِيسُ الْأَيْعُونُ

الْمَعَادُ الْجِسْمَانِي الْعُنْصَرِي، وَعَالَمُ عَرْضٍ وَتَشْرِيجِ الْمَوْجُودَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :
يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ^١
لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ .
يستفاد من هذه الآية الكريمة أنّ أمام الإنسان يوماً يرى فيه جميع
أعماله حاضرة أمامه ومشاهدة ومحسوسة ، وأنّه سيجد أعماله السيئة
حاضرة - بدورها - أمامه باعتبار ملازمتها لنفسه ولأنّها أثّر نفسه ، فيودّ من
شناعتها وشدة قبحها ومن إحساسه بالصغار والخجل والانزعاج لو كان بينه
وبين تلك الأعمال القبيحة فاصلاً بعيداً .
ولكن - ومع الأسف - فليس هناك من فاصل بينه وبينها ، فتلك
الأعمال تلازمه وتلاصقه لأنّها ارتكبت بإرادته واختياره ، ولأنّها من آثاره
وتبعاته ووليدة علمه ، لذا فهي قرينه الذي لا ينفك عنه .
وقد ذكرنا في البحث السابق على أساس المقدمات السبع أنّ المعاد
لن يكون معاداً جسمانياً فحسب ، بل إنّ البدن العنصريّ سيمثل مع عمله

١- الآية ٣٠ ، من السورة ٣ : آل عمران .

في محضر الله تعالى بجميع خصائص ذلك العمل ولوازمه وآثاره وخفياه ونواياه . ليس خلال لحظة واحدة فحسب ، بل إنه سيمثل أمام الإنسان كبذن جارٍ منذ نقطة الولادة إلى نقطة الموت ، فجميع هذا الزمان سيمثل أمام الإنسان بحيث لا يحتاج الأمر إلى خمسين سنة ليُشاهد الإنسان جميع الأحداث والأعمال التي فعلها خلال السنوات الخمسين المنصرمة ، بل إنه سيحيط خلال لحظة واحدة بجميع هذه الأعمال التي فعلها خلال هذه السنوات .

والعلة في الأمر أن ذلك الإنسان هو إنسان فوق الزمن ، وأن الإدراك الذي يحصل للإنسان في ذلك العالم تجاه الموجودات الزمانية لا يحتاج إلى زمن ، بمعنى أن التجرد الذي تحصل عليه النفس في تلك المراحل يكفيها لتدرك كل ذلك في لحظة واحدة . بل لا وجود آنذاك للحظة واحدة ، فهذه التعبيرات من باب ضيق العبارة ، فالإنسان يجد الإحاطة - خلال لحظة واحدة هي دهر في نفس الوقت - بجميع الزمان والزمانيات . ومن بينها الأعمال التي فعلها بنفسه .

وهذا ما يحصل بعد مقام الفناء بالله تعالى الذي يمثل مقام الجمع والحشر ، وفي مقام البقاء بالله الذي يُدعى بالفَرْق والحَشْر .

وليس هناك في مقام الفناء من أمر معين ، أي حين تتحرك النفس في عالم الجمع والحشر صوب الخالق المتعال ، فليس ثمة من أمر غير التحير وجهل كل ما سواه . وليس ثمة شيء غير الاستغراق في الذات المقدسة للخالق تعالى .

وبعد أن يحصل - بأمر الله تعالى - البقاء بعد الفناء (الذي يُدعى بمقام جمع المجموع) ، فإن الإنسان سيُحيط بجميع عوالم الزمان والزمانيات ، ومن بينها الأعمال التي صدرت منه منذ ولادته إلى موته ، وهذه الأعمال

لا تدون في صحيفة فيُعطاها في يده ، بل إن حقيقة هذه الأعمال تُرى للإنسان ، كما ليست صحيفة الأعمال عبارة عن كتاب مدون قد سُجل فيه ما فعله في اليوم الفلاني وما ارتكبه في الساعة الفلانية ، بل إن صحيفة الأعمال هي كتاب التكوين والتحقيق المدون في عالمي الخارج والوجود .

وسيمثل في كتاب الوجود والحدوث ذلك ما نشأ من الإنسان ، فنفس العمل وحقيقته موجودان في كتاب التكوين ، وسيعرضان للإنسان فيراهما بأُمة عينيه ، ليس كمن ينظر إلى ستار السينما ويتفرج على الأحداث المصوّرة المعروضة عليه ، ومن بينها الأعمال التي فعلها بنفسه ، إذ ليس الأمر على هذا النحو .

بل إن العلم الذي يحصل للإنسان بأعماله علم حضوري لا حصولي . أي أن ذلك المعلوم ليس خارجاً من دائرة نفسه ، بل من علوم نفسه ، فنفسه محيطة بتلك العلوم وبأنفسها ، لأنها قد أشرقت في مقام التجرد ووصلت إلى مقام البقاء وخرجت من مقام الفناء وحصلت بعد الفناء على البقاء بالله تعالى ، لذا فإنها ستحصل من خلال حال التجرد تلك على السيطرة على عالم كثرتها .

وكما نحيط الآن بجميع قوانا ، أي كما أن جميع قوانا موجودة لدينا ؛ وكما أن ذهننا لنا ، وكما أن عقلنا لنا ، وكما أن حسنا المشترك والقوة الحافظة والقوة الواهمة هي لنا ، وكما أن لدينا علماً حضورياً - لا حصولياً - بالنسبة إلى قوانا هذه ؛ فالأمر كذلك هناك ، حيث يحصل للإنسان علم حضوري بجميع أعماله ، فيهيمن ويُسيطر على حقيقة أعماله منذ زمن ولادته إلى زمن موته . وسيجد في لحظة واحدة جميع هذا الزمن المتطاوّل مع جميع تفاصيله وحالاته ولحظاته من أعمال الشر والخير وجميع نواياه وأفكاره وأخلاقه وملكاته وعقائده ، وليست تلك اللحظة لحظة لتزول من

ثم ، لأنّ العالم هناك ليس عالماً زمنياً ، وليس من تدريج وتغير وتبدّل ، بل هو عالم الوجدان . وهو عالم مدهش ومثير للعجب ، يسيطر فيه الإنسان ويهيمن على نفسه وعلى جميع أعماله ويرى ما الذي فعل وما الذي اجترح ، ويدعى ذلك العالم بعالم العَرَض الذي يمثل أحد العوالم التي تنتظرنا بعد عالمي الحشر والنشر . فقد كان عالم الحشر عالم الجمع ، وكان عالم النشر عالم البسط والبقاء ونشر النفس في كثراتها ، أما عالم العَرَض فيلي البقاء ، حيث يُعرض على الله تعالى الإنسان المحيط بأعماله وأفعاله وسيرته ، وحيث يدرك الإنسان بالوجدان نفسه مع جميع ما قدّم في سابق الأيام وفي أواخرها : عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ .^١

فيُعرض ذلك كله في محضر الله تعالى : وَعَرَّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا .^٢
لقد تركتم جميع الآمال وخلفتم الزوجة والولد والأمور الاعتبارية التي أحاطتكم من كلّ جهة ، والتي اعتمدتم عليها في عالم المجاز والاعتبار ، تركتموها بأجمعها وراءكم وأتيتم إلى هذا العالم فرادى كما هي حالكم حين أتيتم إلى الدنيا . ولم تكونوا تحسبون أبداً أنّ لكم موعداً ستحضرون فيه لدينا ، ولو ظننتم ذلك لأعددتكم - على أقلّ تقدير - مستلزمات سفركم لئلا تُبتلون هنا بهذه الآثار والأعمال التي قدّمتوها فصارت تلازم أنفسكم .

يَوْمَئِذٍ تُعَرِّضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ .^٣

١- الآية ٥ ، من السورة ٨٢ : الانفطار .

٢- الآية ٤٨ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٣- الآية ١٨ ، من السورة ٦٩ : الحاقة .

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ
الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا.^١

أي أنكم أذهبتم طيباتكم وثرواتكم الطيبة الزكية من العمر والعقل
والقدرة والعلم والحياة والراحة والأمن وأمثالها في الحياة الدنيا الحيوانية
الوضيعة لا في الحياة السامية ؛ ولقد منّ الله عليكم بمقامكم ومنصبكم
الحقيقي من أجل كسب الكمال وطّي سبيل التقرب إلى الله تعالى وإعداد
الزاد والراحلة لسفر لقاء الله وزيارة الخالق المتعال ، وللسير تجاه مقام
التجرد والعثور على النفس ؛ لكنكم بدلاً من أن توظفوا هذه الثروات
لإضاءة عقبات الطريق الموحشة وفتح مخابئ العدو والنفس الأمارة التي
تكنن باستمرار لقاصدي هذا السفر ، لتكونوا في مأمن الصدق ، فقد أنفقتم
تلك الطيبات خلال الحياة الدنيا في الغفلة والشهوات وإعمال القوى
الغضبية والوهمية بلا داع ولا مبرر ، وانصرفتم إلى الاستكبار والتكابر
واكتناز المال بلا مبرر ، وكسب الجاه والاعتبار الكاذب والحيثية والكرامة
التي لا قيمة لها ، وأنفقتم تلك الطيبات في هذه الحياة المعاشة الوضعية
الحيوانية ، وقدمتم إلى هنا بأيدي خالية دون أن تكسبوا كمالاً ، فمكانكم في
النار !

إن تلك الطيبات ثروتكم التجارية وعُدَّتكم في العمل لسفر الآخرة ،
وقد أهدرتموها وضيعتموها فليس لكم اليوم ثمّة شيء يمكنه العبور بكم
من هذه المراحل :

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ.^٢

١- الآية ٢٠ ، من السورة ٤٦ : الأحقاف .

٢- الآية ٣٤ ، من السورة ٤٦ : الأحقاف .

ولو افترضنا أنّ الإنسان يمكنه هناك أن يُنكر كلّ شيء إلاّ أنّه لن يمكنه أن يُنكر وجوده وآثاره ولوازمه المترشّحة عن وجوده . وآنذاك فإنّ الإنسان سيجد على نحو العلم الحضوريّ أفعاله وأعماله التي تبدّلت إلى نار ، فيُسأل منه على نحو الاستفهام التقريريّ : أليس هذا بالحقّ ؟ بلى حقّ هو ، وليس هناك ثمة حقّ بمثل هذا الوضوح والجلال .

هذه هي حقيقة المعاد ، ليس هو المعاد الروحانيّ فقط ، وليس هو المعاد الجسمانيّ فقط لنقول بأنّ الله يستبقي ذرّة من الموادّ الأصليّة ليكون كذا وكذا ... هذا من الأقوال الخاطئة من أساسها .

لقد أخطأ البعض في بعض هذه المقدمات السبع أو في جميعها فظنّوا - في العاقبة - مثل هذه الأمور ، فقد اعتبروا أنّ عالم المعاد في عرض هذا العالم ، وأنّ عالم البرزخ وعالم القيامة يبدأ بعد انقضاء زمن هذه الدنيا ، وقد اتّضح - بناءً على المقدمات السالفة الذكر - أنّ عالم المعاد في طول هذا العالم لا في عرضه .

إنّ المعاد الجسمانيّ من ضروريّات الإسلام ، ومن الأمور التي لا يمكن إنكارها ، أمّا المعاد المادّيّ العنصريّ فلم يعدّه أحد من الضروريّات ، ولم يرقم المرحوم صدر المتألّهين والمرحوم الحكيم السبزواريّ بإثباته ،^١ لكنّ الله العليم منّ علينا فبرهنا على المعاد المادّيّ العنصريّ بالطريق الذي ذكرناه اعتماداً على موازين البرهان ، ولله الحمد وله المنة على نواله .

وعلى الآن أن نرى هل الحشر والمعاد مختصّان بالإنسان ، أم أنّهما

١- لا يخطر ببالنا أن أحداً من الفلاسفة المسلمين من أمثال شيخ الإشراق ابن سينا ، وبهمنيار وغيرهما قد قام بإثبات هذا المعاد .

يشملان سائر الموجودات كذلك ؟

لقد ورد في آيات القرآن الكريم : **إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**^١ **أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ**^٢ **إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**^٣.

يقول صدر المتألهين في «الأسفار» في معاد وحشر جميع الموجودات «إن من تأمل وتدبر في هذه الأصول والقوانين العشرة التي أحكمنا بنيانها وشيدنا أركانها ببراهين ساطعة وحجج قاطعة لامعة مذكورة في كتبنا وصحفنا سيما هذا الكتاب تأملاً كافياً وتدبراً وافياً بشرط سلامة فطرته عن آفة الغواية والاعوجاج ، ومرض الحسد والعناد ، وعادة العصبية والافتخار والاستكبار ، لم يبق له شك وريب في مسألة المعاد وحشر النفوس والأجساد ، ويعلم يقيناً ويحكم بأن هذا البدن بعينه سيحشر يوم القيامة بصورة الأجساد ، وينكشف له أن المُعاد في المعاد مجموع النفس والبدن بعينهما وشخصهما ، وأن المبعوث في القيامة هذا البدن بعينه لا بدن آخر مباين له عنصرياً كان ، كما ذهب إليه جمع من الإسلاميين ، أو مثاليّاً كما ذهب إليه الإشراقيون ؛ فهذا هو الاعتقاد الصحيح المطابق للشرعية والملة ، الموافق للبرهان والحكمة ، فمن صدق وآمن بهذا فقد آمن بيوم الجزاء ، وقد أصبح مؤمناً حقاً ، والنقصان عن هذا الإيمان خذلان وقصور عن درجة العرفان ، وقول بتعطيل أكثر القوى والطبائع عن البلوغ إلى غاياتها والوصول إلى كمالاتها ونتائج أشواقها وحركاتها .

ويلزم أن يكون ما أودعه الله في غرائز الطبائع الكونية وجبالاتها من

١- الآية ٢٨ ، من السورة ٣ . آل عمران ؛ والآية ١٨ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

٢- الآية ٥٣ ، من السورة ٤٢ : الشورى

٣- وذكرت هذه الآية في ستة مواضع من القرآن الكريم .

طلب الكمال والتوجه إلى ما فوقها هباءً وعبثاً وباطلاً وهدرًا ، فلكلّ قوّة من القوى النفسانيّة وغيرها كمال يخصّها ولذّة وألم وملاءمة ومنافرة تليق بها ، وبحسب كلّ ما كسبته أو فعلته يلزم لها في الطبيعة الجزاء والوفاء ، كما قرّرتّه الحكماء من إثبات الغايات الطبيعيّة لجميع المبادي والقوى ، عالية كانت أم سافلة :

فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا^١

وقوله : وَلِكُلِّ وِجْهٌ هُوَ مُوَلِّيُهَا^٢

وإليه الإشارة بقوله تعالى : مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^٣

وكلّ ما في الكون من الجواهر الطبيعيّة دابّة لما بيّناه من حركاتها الذاتيّة ، فالله آخذ بناصية نفوسها وطبائعها وهو مولّيها نحوه وجاذبها إليه ، ومن تحقّق بهذا تيقّن بلزوم عود الكلّ ولم يشته عليه ذلك ، وهذا مقتضى الحكمة والوفاء بالوعد والوعيد ولزوم المكافاة في الطبيعة والمجازاة . ولنا رسالة على حدة في هذا الباب بيّنا فيها حشر جميع الأشياء الكائنة حتّى الجماد والنبات إلى الدار الآخرة وحشر الكلّ إليه تعالى ببيانات واضحة وقواعد صحيحة برهانيّة مبناها على أن لا معطل في الطبيعة ولا ساكن في الخليقة ، فالكلّ يتوجّه نحو الغاية المطلوبة ، إلّا أن حشر كلّ أحد إلى ما يناسبه ويجانسه ، فلإنسان بحسبه وللشياطين بحسبهم وللحيوانات بحسبها ، وللنبات والجماد بحسبهما كما قال تعالى في حشر أفراد الناس :

١- مقطع من الآية ١٤٨ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- مقطع من الآية ١٤٨ ، من السورة ٢ : البقرة .

٣- الآية ٥٦ ، من السورة ١١ : هود .

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا.^١

وفي (حشر) الشياطين: فَو رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ.^٢ وفي (حشر) الحيوانات: وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ.^٣ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُؤْ أَوَابٌ.^٤ وفي (حشر) النبات: وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ.^٥ وقوله تعالى: وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً^٦ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ،^٧ إلى قوله: وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ.^٨ وَفِي حَقِّ الْجَمِيعِ: وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا.^٩ وقوله: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ.^{١٠} وقوله تعالى: كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ.^{١١}

١- الآيتان ٨٥ و ٨٦، من السورة ١٩: مريم.

٢- الآية ٦٨، من السورة ١٩: مريم.

٣- الآية ٥، من السورة ٨١: التكويد.

٤- الآية ١٩، من السورة ٣٨: ص.

٥- الآية ٦، من السورة ٥٥: الرحمن.

٦- وردت الآية في الطبعتين الحروفية والحجرية للأسفار بلفظ «بارزة» بدل «هامة» خطأ، إذ وردت في القرآن الكريم بلفظ «هامة».

٧- الآية ٥، من السورة ٢٢: الحج.

٨- الآية ٧، من السورة ٢٢: الحج.

٩- الآيتان ٤٧ و ٤٨، من السورة ١٨: الكهف.

١٠- الآية ٤٠، من السورة ١٩: مريم.

١١- «الأسفار» ج ٩، ص ١٩٧ إلى ١٩٩، الطبعة الحروفية. والآية هي: ١٠٤، من

السورة ٢١: الأنبياء.

ومع أنّ «رسالة الحشر» لصدر المتألهين رسالة في منتهى الإيجاز والاختصار ، فإنّها تتضمّن خزائن العلم والمعرفة وتعدّ من نفائس ذخائر الكتب ، حيث طبعت في حاشية كتاب «المبدأ والمعاد» وجمعت - إضافة إلى ذلك - مع ثمان رسائل أخرى لصدر المتألهين وطُبعت في مجموعة مستقلة عرفت باسم «رسائل الملاء صبرا» .

وقد جرى في هذه الرسالة إثبات أنّ جميع الموجودات - من ضمنها الملائكة والإنسان والجنّ والنباتات والجمادات - تمتلك معاداً وحشراً ، فقد قسّم الموجودات ابتداءً إلى خمس مجاميع ، ثم قال :

الطبقة الأولى : المفارقات العقلية ؛ وعالمهم عالم القضاء الإلهي وهي صور علم الله بالأنواع الكائنة ومفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلّا هو وخزائن الرحمة التي ما ينزلها إلّا بقدر معلوم .

الطبقة الثانية : هي الأرواح المدبّرة العقلية المتعلقة بالأجرام العلوية والسفلية ضرباً من التعلّق ، وعالمهم عالم القدر الربانيّ ولوح المحو والإثبات .

والطبقة الثالثة : هي الأرواح المدبّرة الجزئية والنفوس الخيالية المتعلقة بالأجرام السفلية الدخانية أو النارية ، ومنها ضرب من الإنس والجنّ والشياطين .

والطبقة الرابعة : هي النفوس النباتية وغيرها من الطبائع السارية في الأجسام المحركة إيّاها ، المتحرّكة بتحريكها ، المتجددة في كلّ آن ، وهي المشار إليها بقوله :

غَلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ^١

١- الآية ٦ ، من السورة ٦٦ : التحريم .

وإنما جمعت بصيغة ذوي العقول لمدبرها العقلي ومحركها الروحاني كما ستعلم ، ومن هذه الطبقة أيضاً من الجهة التي أوأنا إليها الزبانية وسدنة جهنم المأمورون بقوله تعالى : خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ.^١

ومنهم الموكّلون على السحاب والأمطار والبحار والجبال والأرض والمعادن والنباتات وغيرها .

والطبقة الخامسة : هي الأبعاد والأجرام ، وهي أسفل السافلين ومهوى النازلين ومثوى المتكبرين .

فإذا تمهد هذا فلنرجع إلى حشر كلّ من هذه الطبقات إليه تعالى بياناً على التفصيل بعد ذكر إجماليّ يعتمها ، وهو أنّ الله تعالى لم يخلق شيئاً إلّا لغاية ، فإنّه ما من موجود ممكن إلّا وله فاعل وغاية ، ومن الموجودات وهي المركّبات ما له علل أربع ، هما مع المادّة والصورة ، إلّا أنّ البسيط لا يكون له من العلل إلّا الفاعل والغاية ، لأنّ صورته بعينها ذاته ولا مادّة له ، وقد ثبت بالبرهان أنّ الغاية الأخيرة في فعله تعالى هي ذاته ، وذاته غاية الغايات كما أنّه مبدأ المبادي ، ولا شك أنّ غاية الشيء ما له بالذات أن يصل إليه وينتهي به إلّا أن يعوقه عائق ، وكلّ ما لا يمكن الوصول إليه لم يكن إطلاق اسم الغاية عليه إلّا بالمجاز ، فلا يكون غاية بالحقيقة . وقد فرض أنّه غاية ، هذا خلف .

فثبت بما ذكر أنّ جميع الممكنات بحسب الجبلّة الغريزية طالبة له تعالى متحرّكة إليه تعالى حركة معنوية ، مشتاقة إلى لقائه بالوصول ، وهذه الحركة والرغبة لكونها مرتكزة من الله تعالى في ذاتها يجب أن لا تكون

١- الآيات ٣٠ إلى ٣٢ ، من السورة ٦٩ : الحاقة .

عبثاً ولا معطلاً ، فلا محالة متحققة في غالب الأمر بلا عائق وقاسر ، والقسر على الطبع كما ثبت في مقامه لا يكون دائماً ولا أكثرية فيزول لا محالة ولو بعد زمان طويل ، فيعود حكم الطبيعة ، ومن هنا يعلم أن كل طبيعة نوعية تؤدي يوماً إلى غايتها الأصلية ، وغاية الشيء أشرف من الشيء ذي الغاية ، وغاية الجوهر أكمل جوهرية منه وأقوى وجوداً في ذاتها ، وننقل الكلام إلى نفس تلك الغاية وتوجهها الذاتي إلى غاية الغاية ، وهكذا إلى أن ينتهي إلى غاية لا غاية وراءها وهي غَايَةُ الْغَايَاتِ وَمُنْتَهَى الْحَرَكَاتِ وَالرَّغَبَاتِ وَمَأْوَى الْعُشَّاقِ الْإِلَهِيِّينَ وَالْمُشْتَاقِينَ مِنْ ذَوِي الْحَاجَاتِ^١.

كان هذا هو البيان الإجمالي لصدر المتألهين في رسالة «الحشر» ، أما بيانه التفصيلي فإنه يتضمن درجة من التعقيد بحيث يعسر فهمه لعامة الناس فضلاً عن اقترانه بالمصطلحات الفلسفية ، لذا فقد أوردنا تلك المطالب في قالب بسيط ولغة سهلة استخدمنا فيها اصطلاحات القرآن الكريم والروايات ، ونقدمه للقراء المحترمين بهذه الكيفية :

إن الحشر والمعاد أمر عام لجميع الموجودات حتى الجمادات والمادة والهيولى الأولية ، وصولاً إلى العقول المفارقة وأرواح عالم العلين والملائكة المقدسين والروح الأعظم ، وللملائكة الثانويين والنفوس الإنسانية والشياطين والحيوان والنبات .

ولدينا موجودات تفوق جميع الموجودات الأخرى بلحاظ القدرة وشدة الحياة والعلم والقدرة ، وتدعى بلسان الشرع الأسماء والصفات الإلهية الكلية والروح والملائكة المقرين ، وقد عبر عنها الفلاسفة بالعقول المجردة والعقول المفارقة وبتعبيرات مختلفة أخرى . ولهذه مقامات في

١- «رسالة الحشر» ص ٣٤١ و ٣٤٢ .

غاية الرفعة ولها إحاطة كبيرة ، مثل جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل الذين يمثلون واسطة الفيض من الذات القدسيّة للحضرة الأحديّة عزّ وجلّ إلى جميع العوالم ، ووجودهم وعلمهم وقدرتهم في غاية العظمة .

فميكائيل - مثلاً - واسطة الرزق من جانب الله تعالى لجميع العوالم في جميع لحظات عالم الدهر والزمان ، فالرزق في يده سواء الرزق الروحانيّ والمعنويّ أم الصوريّ والذهنيّ أم المادّي والطبيعيّ . وبطبيعة الحال فإنّ عمله ليس منفصلاً عن الله تعالى ، بل إنّ الله سبحانه يرزق من خلال نافذة ومرآة وشبكة هذا الملك المقرب الوجوديّة ؛ كما أنّ جبرائيل يمنح عالم الإمكان الفهم والعلم والشعور ، ويفيض على الكائنات العلم والشعور .

أمّا إسرافيل فوظيفته بسط عالم الحياة ، حياة الكرات السماوية ، حياة عالم المادّة ، حياة عالم البرزخ والقيامة ، حياة الطبع والمثال والنفس والعقل ، حياة حيتان البحار وطيور السماء ووحوش الفلوات ، وفي نهاية الأمر حياة جميع الموجودات . وينبغي ألاّ يتصوّر أنّ معنى الحياة هو ما يحصل في بداية الأمر لموجودٍ معيّن ، كالإنسان الذي يحيى مثلاً ، أو كالبيضة التي تتبدّل إلى فروج ، أو كبيض الجراد والنمل التي تفقس عن صغارها ؛ بل إنّ هناك حياةً جديدة في كلّ لحظة ، وحياةً بعد حياة ، ومنحاً لحياة مستمرة متعاقبة .

وكما ينفخ الحداد في كيره باستمرار لثلاً تخمد النار وتخبو ، فإنّ إسرافيل يُحيي باستمرار وينفخ في الموجودات الحيّة نفّس الحياة ويبعث فيها حياةً دائمة مستمرة .

أمّا عزرائيل فمكلّف بالإماتة وقبض أرواح جميع الموجودات ، ليس الموت الطبيعيّ المعهود لوحده ، بل إنّهُ يقبض حياةً ويسبّب موتاً في

معرفة المعاد (٦) المعاد الجسمانيّ المنصريّ ، وعالم عرض وحشر جميع الموجودات

كلّ لحظة . إنّ لدينا موتاً وحياتاً في كلّ لحظة ، وهذا الخلع واللبس المستمرّ ، وهذه الحياة والموت المستمرّان للفرد في كلّ لحظة ، إنّما يحصلان لتكامل الفرد ووصوله إلى المعاد والحشر ولقاء الله تعالى :

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْغَفُورُ .^١

وهذا اللبس المتعاقب يحصل على يد إسرافيل ، وهذا الخلع المتعاقب يحصل على يد عزرائيل ، فهذا يخلع وذاك يُلبس ، هذا يمنح الموت وذاك يمنح الحياة .

على أنّ مقام الروح أشرف وأعظم وأفضل من هؤلاء الملائكة المقربين ، لذا نرى أنّ القرآن الكريم قد ذكر الملائكة بصيغة الجمع والروح بصيغة المفرد: تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ .^٢ وبطبيعة الحال فإنّ المراد من الروح ليس هذه الأرواح الإنسانيّة ، بل إنّ هذه الأرواح الجزئية الإنسانيّة منطوية تحت ذلك الروح الكلّي والروح الأعظم .

كما أنّ خلقه ذلك الروح الأعظم عجيبة بلحاظ الإحاطة والسعة .

وحين يريد الروح والملائكة المقربون الخروج إلى الله سبحانه ، فإنّ ذلك يستغرق منهم خمسين ألف سنة : مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ .^٣

والمراد من اليوم هنا المرحلة الزمنيّة ، أي أنّ ذلك الخروج سيتمّ في

١- الآية ٢ ، من السورة ٦٧ : الملك .

٢- الآية ٤ ، من السورة ٩٧ : القدر .

٣- الآيتان ٣ و ٤ ، من السورة ٧٠ : المعارج .

مرحلة زمنية طولها خمسون ألف سنة . ومن ثم فإنّ ما تتناقله الأفواه من أنّ لدينا يوماً في القيامة طوله خمسون ألف سنة ليس صحيحاً ، لأنّ المراد بذلك مرحلة عروج وعودة الروح والملائكة مع جميع العوالم المنظوية تحت تدبيرهم ، فذلك الروح وأولئك الملائكة يأتون إلى الأرض في مهمّة ما ، ثم يعودون إلى مقامهم الأوّل ويعرجون إلى الله تعالى بعد تكامل دورة طبيعتهم وأنفسهم ، فيستخرق هذا العروج خمسين ألف سنة .

ولدينا في القرآن الكريم : رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ (أي ذو عرش الحكم على جميع العوالم ، ذلك العرش الواسع الذي يتسع لجميع موجودات العالم العلوي والسفلي ، المُلْكِي والمَلَكُوتِي وعالم الوجود) يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ^١.

فمن اتّصل به الروح الأعظم صار بإمكانه إنذار الناس وإيقاظهم ولفت أنظارهم ، أمّا من لم يتّصل بالروح ولم يرتو من معينه ، فإنّه لن يتمكّن من إنذار الناس . وذلك الروح يُلقى على الأنبياء والأئمّة لينذروا الناس من خلال الارتباط المعنوي مع ذلك الروح الأعظم ؛ وبغير ذلك فأتى للغافل النائم أن يوقظ الغافل ؟

وهذا المنصب والمقام (أي مقام الارتباط بالروح) مختصّ بأولئك الأنبياء والأئمّة ، أمّا باقي أفراد البشر فلا يعلمون شيئاً عن ذلك الروح الأعظم ، إلّا أولياء الله والمخلصين والمقرّبين الذين تحرّكوا في متابعة الأنبياء والأئمّة وحظوا بذلك الفوز العظيم ووصلوا إلى مقام التوحيد .

والخلاصة فإنّ فناء الروح الأعظم والملائكة المقرّبين وحشرهم يحصل في ذات الله تعالى ، أمّا الأرواح الجزئية الإنسانية (المدبرة للبدن

١- الآية ١٥ ، من السورة ٤٠ عافر .

والطبيعة) ففناؤها في المبدأ الذي جاءت منه وتفرقت عنه . كما أنّ الأرواح الجزئية للأتبياء العظام والأئمة الكرام والمقربين ذوي العز والإكرام تفنى في الروح الأعظم . فهم ينفون في ذلك الروح الأعظم ، والروح ينفى - بدوره - في ذات الحق تعالى ، والفاني في الفاني في شيء إنما ينفى في ذلك الشيء ؛ فالجميع - من ثم - فانون في ذات الحق تعالى .
وقد ذكر الروح الأعظم والملائكة المقربون في الأخبار بتعبيرات مختلفة مثل أول ما خلق الله ، أو عالم القضاء ، أو أم الكتاب ، أو اللوح المحفوظ .

ومن هناك يجري تقدير كل موجود يريد الظهور بشكل وأبعاد معينة ، أي أنّ عالم القضاء الكليّ الإلهي يقضي بتقديره ، فيتشخص شكل وأبعاد ذلك الموجود الواقع في عالم أدنى هو عالم التقدير ، ثم يرتدي لباس التحقق والوجود في عالم أدنى .
وعالم القدر الذي يُدعى أيضاً بلوح المحو والإثبات ، له معاد وحشر في عالم أعلى منه ، أي في عالم قضاء الله تعالى ، وهي بحار واسعة من خزائن العلم والقدرة والحياة تقوم بالتقدير ، ثمّ تعين - بالمقدّرات - موجودات هذا العالم .

والأدنى من ذلك الملائكة الجزئيون الذين يدبرون العالم العلوي والعالم السفلي والأفلاك والأرض ؛ حيث ورد في القرآن الكريم :
وَأَلْمُرْسَلَتِ عُرْفًا * فَأَلْعَصِفَتِ عَصْفًا * وَالنَّشِرَاتِ نَشْرًا *
فَأَلْفَرِقَتِ فَرْقًا * فَأَلْمَلِقَتِ ذِكْرًا^١ .
كما ورد : وَالنَّزْعَتِ غَرْقًا * وَالنَّشِطَتِ نَشْطًا * وَالسَّيِّحَتِ

١- الآيات ١ إلى ٥ ، من السورة ٧٧ . المرسلات .

سَبَّحًا * فَالَسَّيْقَتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا^١.

وهؤلاء الملائكة يعملون وفق ما يؤمرون به ، ويدعون بالأرواح المدبرة الجزئية ، ومحلهم ومسكنهم - كما ذكر سابقاً - أدنى من عالم القدر ولوح المحو والإثبات .

ووفقاً للآية القرآنية ، فإنّ نزول الأمر من عالم الأمر إلى الدنيا يحصل بواسطة هؤلاء الملائكة ، حيث ينجز هؤلاء ما عهد إليهم ثم يعرجون إلى الله المتعال في ألف سنة من هذه السنوات التي نعدّها :

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ^٢ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ^٣.

ليس من السنين اللاهوتية ، ولا من السنين الجبروتية ، ولا من السنين الملكوتية ، بل من هذه السنين الطبيعية التي تعدونها .

هذا هو نزول الملائكة من عالم الأمر إلى الدنيا وتنفيذهم المهام وعودتهم إلى الله تعالى . أي أنّ هبوطهم يستغرق خمسمائة عام ، وصعودهم وعودتهم يستغرق - بدوره - خمسمائة عام ، فيكون المجموع ألف سنة .

ومن هنا فإنّ نزول الروح الأعظم والملائكة المقربة الإلهية الكلية من الذات القدسية للحضرة الأحديّة إلى عالم القدر ، ومن هناك إلى عوالم الملائكة الجزئية المأمورة بتدبير الأمور ، ثم إلى عالم الطبيعة ، وإتمام قوس

١- الآيات ١ إلى ٥ ، من السورة ٧٩ : النازعات .

٢- البوم في العالم الربوبيّ مرحله زمنيّة قدرها ألف سنة من السنوات العادية ، يقول تعالى في القرآن الكريم :

وإنّ يَوْمًا عند ربّك كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (الآية ٤٧ ، من السورة ٢٢ : الحج) .

٣- الآية ٥ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

النزول في عوالم الكثرة ، ثم عروجهم وصعودهم بقوس الصعود ووصولهم إلى نقطة الذروة وطَيَّ جميع العوالم خلال الطريق وإتمام قوسي الدائرة يستغرق بكامله مائة ألف سنة . وذلك لأنَّ عروجهم يستغرق خمسين ألف سنة ، وينبغي أن يستغرق نزولهم بدوره خمسين ألف سنة أخرى .

ومن هنا فإنَّ الحركة من نقطة الذروة في قوس النزول ، وصولاً إلى نقطة الحضيض ، والحركة من نقطة الحضيض إلى نقطة الذروة حيث تختتم دورة الحركة ستستغرق مائة ألف سنة .

وعلى هذا فإنَّ دورة قوسي نزول وصعود الملائكة الجزئية ستستغرق ألف سنة ، ودورة قوسي نزول وصعود الروح والملائكة المقربين ستستغرق مائة ألف سنة .

وإذا ما شئنا الآن بيان معنى السنة ، ومعنى النزول ، فإنَّ طبيعة بحثنا لا تتسع للخوض في هذا المجال ، يُضاف إلى ذلك أننا لم نفهم حقيقته التي تُعدُّ من أسرار القرآن الكريم .

أذكر أنني استفسرت من سماحة أستاذي العلامة الطباطبائي مدَّ ظله قبل عشر سنوات تقريباً ، عن معنى هذه الآية وعن كَيْفِيَّة النزول وسرَّ تقديره بخمسين ألف سنة ، فأجاب : لا أعلم !

قلت : أليس زمن العروج بقدر زمن النزول ؟ وأساساً فليس هناك ثمة زمان في العوالم الربوبية ؛ فهل المراد بالخمسين ألف سنة زمن النزول من عالم الأمر والصورة إلى الدنيا الزمنية ؟ قال : لا أعلم !

وخلاصة القول ، فحيثما دار البحث في هذا الموضوع قال العلامة : لا أعلم ؟ ولقد كان جاذباً في قوله : لا أعلم ، وأنا بدوري لا أعلم ، فالعلم عند الله تعالى .

كان هذا حديثاً عن عروج الملائكة الجزئيين وحشرهم بالاندكك

والحضور في أرواح الملائكة المقربين ، وفي الروح الأعظم في خاتمة المطاف ، ومن ثم حشرهم بواسطة الروح وفنائهم في ذات الحضرة الأحديّة .
الثالث : معاد وحشر تلك النفوس الجزئية التي تدبّر موادّ هذا العالم ، وتلك النفوس الخيالية المتعلقة بالأجرام من قبيل الدخان أو النار ، ومثل الشياطين والجانّ وبعض أصناف البشر من أمثال الكفار المنكرين المعاندين .

والفرق بين الشيطان والإنسان والجانّ، أنّ مادة الإنسان والحيوان من التراب ، ومادة الشياطين من النار ، أمّا الجانّ فهم من الدخان ، إلّا أنّهم يمتلكون نفوساً وأرواحاً كما نمتلك أبداناً وأرواحاً ، ومعادهم ليس إلّا منجم النار ومعندنها، وروح الحرارة والانصهار .

ولدينا في القرآن الكريم : وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِمْ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا^١.

وحين تميل نفوس هؤلاء الضالّين في الدنيا إلى الهدوء أحياناً بواسطة الوعظ والنصحية ، فإنهم سرعان ما ينشغلون بالفساد والفتنة ثانية ، ولو تابوا حقّاً لما استعرت ثانية نار جهنّم حين تنطفئ وتخبو .

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ^٢.
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ^٣.

١- الآية ٩٧ ، من السورة ١٧ . الإسراء

٢- الآية ١٧٩ ، من السورة ٧ . الأعراف .

٣- الآية ١٨ ، من السورة ٤٦ . الأحقاف

وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.^١
 وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ.^٢
 وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ.^٣
 وعلى كلّ حال ، فقد كانت هذه بعض الآيات القرآنيّة الكريمة الدالّة على حشر طائفة الجنّ ، كما أنّ لبعضها دلالة على حشر طائفة الإنس .
 وقلنا بأنّ هؤلاء الذين يُعرضون على جهنّم سيكون حشرهم في روح النار والدخان تلك ،^٤ كما أنّ أفراد البشر من أهل الجنّة إن كانوا من المقرّبين فإنّ حشرهم سيكون في الروح الأعظم ، أمّا إن كانوا من أصحاب اليمين والمتوسّطين ، فإنّ حشرهم سيكون في الجنّة ولذا نذكرها .
 كما ورد بشأن هؤلاء الأفراد من البشر : وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا.^٥

وهم المخلّدون في عالم ملكاتهم وصفاتهم ، والمتنعمون بتلك الصفات والملكات ، كما يقول :
 وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ

١- الآية ١٣ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

٢- الآية ١٥٨ ، من السورة ٣٧ : الصافات .

٣- الآية ١٢٨ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٤- أمّا عن حشر الشيطان والشياطين فقد ورد في القرآن الكريم .

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (آية ٦٨ ، من السورة ١٩ : مريم) أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مُسْتُلُونَ. (الآيات ٢٢ إلى ٢٤ ، من السورة ٣٧ : الصافات) .

٥- الآية ٢١ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.^١

أما الحيوانات فكلُّ منها يُحشر إلى الروح الكليّة المدبّرة لها ، ومن ثم فإنّ مرجعها ومعادها سيكون إلى ربّ النوع أو الملك الذي كان يدبّرها ويحافظ عليها ، كما أنّ بعض الحيوانات التي تصبح غذاءً للإنسان ستفنى وتندك في الإنسان : وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ.^٢

إنّ معاد الحيوانات - شأنه شأن معاد الإنسان والشیاطين - يمثل عوداً إلى نقطة بدء وجودها ، فهي تعود خلال رجوعها باتجاه الله تعالى إلى نفس النقطة التي نزلت منها في عالم الملكوت والتي قدّرت منها ماهيتها الوجوديّة وتشكّلت منها جبلتها ، فتفنى هناك .

وسيكون حشر كل طائفة من الحيوانات المختلفة في الملك الخاص والروح الكليّة المسماة بلغة الفلسفة برّب نوعها ، ثمّ إنّ ذلك الملك سيفنى في الروح الكليّة العليا منه ، وتلك تفنى بدورها ، وصولاً إلى الفناء في الذات القدسيّة للحضرة الأحديّة التي تمثّل محلّ فناء وعودة وحشر جميع الموجودات :

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.^٣

وخلاصة المطلب ، أننا لو غرضنا النظر عن ذات الخالق القدسيّة ، فإنّ جميع الموجودات الأخرى التي خلقها الله تعالى ، لم يخلقها بلحاظ

١- الآية ٢٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- الآية ٣٨ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٣- الآية ٢٠٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

واحد ومن محلّ واحد ومبدأ واحد ؛ فالأسماء والصفات الكلّية متعلّقة بالذات ، أمّا الأسماء والصفات الأوطأ فمتعلّقة بتلك الأسماء والصفات الكلّية ؛ كما أنّ الأسماء والصفات الجزئية الأدنى في عالم الكثرات متعلّقة بالأسماء والصفات الأعلى منها ، وصولاً إلى الحجر وكُتل الطين والحيوانات والنباتات الضعيفة جداً بلحاظ السعة الوجوديّة ، وذات الماهيات الضيّقة جداً والمحدودة ، والتي تمتلك بأجمعها معاداً إلى نقطة بداية وجودها ، وهكذا الأمر بالنسبة إلى الإنسان الذي يعود إلى النقطة التي مثلت بداية خلقه .

قال صدر المتألّهين في حشر النفوس الناطقة الكاملة :

« هذه النفوس إمّا كاملة كملاً عقليّاً أو ناقصة ؛ أمّا النفوس الكاملة التي خرجت ذاتها من القوّة العقليّة إلى الفعل وصارت عقلاً بالفعل ، فهي لا محالة محشورة إلى الله تعالى ، لأنّها محشورة إلى العقل ، والعقل محشور إليه تعالى كما سبق ، والمحشور إلى شيء محشور إليه ، فالنفس محشورة إليه.»^١

وقال في حشر النفوس الحيوانيّة :

« فهي عند موتها وفساد أجسادها راجعة أفراد كلّ نوع منها إلى مدبّرّها العقليّ الذي هو ربّ طلسمها ومقصود صنمها وصورة عقلها ومعقولها كمرجوع قوى النفس الإنسانيّة من المشاعر الإدراكيّة والمبادي الشهويّة والغضبّيّة إليها عند انقطاعها عن هذا العالم ، وقد حقق في مظانّه أنّ هذه المشاعر والقوى النفسانيّة كلّها في النفس على وجه آلف وأبسط . وهي إنّما اختلفت وتفرّقت في مواضع البدن ، لأنّ عالم الطبيعة عالم التفرقة

١- «رسالة الحسر» من رسائل الملاً صدرا ، ص ٢٤٧ .

والتضاد لبُعدها عن عالم الوحدة . ومن نظر في الحواس الخمس وافتراقها في أعضاء البدن واتحادها في الحس المشترك سهل عليه التصديق بأن قوى النفس الواحدة مجتمعة فيها متفرقة في الأعضاء ، بل هذه الأعضاء أيضاً في مقام النفس واحدة ليس موضع العين غير موضع السمع ولا موضع اليد غير موضع الرجل ولا مواضع الأعضاء هناك كلها مختلفة ، لأن النفس - كما عُلِمَ - أمر روحاني وجميع أعضائها روحانية ، والروحانيات لا تزاحم ولا تضايق بينها سواء كانت النفس عقلانية وأعضاؤها عقلية أم حيوانية وأعضاؤها مثالية ، كما أوضحه معلّم الفلسفة ، وبيّن أن في الإنسان الحسيّ ، الإنسان النفسيّ والإنسان العقليّ ، وبيّن أن جميع الأعضاء التي في الإنسان الحسيّ هي في الإنسان النفسيّ على وجهٍ لطف ، وكذا جميع الأعضاء التي في الإنسان النفسيّ هي أيضاً في الإنسان العقليّ على وجهٍ أعلى وأشرف ، وأمعن في ذلك إمعاناً شديداً لو نقلنا ما ذكره لأدى إلى الإطّباب ؛ فعُلِمَ أن هذه القوى الطبيعيّة والحواس المتوزعة في البدن الطبيعيّ الحسيّ كلّها متصلة بالنفس المتخيّلة محشورة إليها ، وهي بجميع قواها وحواسّها المثاليّة متصلة بالعقل الفعّال في أنفسها المعبر عنه بالإنسان العقليّ الذي هو الروح المضاف إلى الله تعالى في قوله : وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ؛ وهي كلمة الله وأمره المُشار إليها في قوله : إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ . وقوله : قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي .

وهي التي من الله مشرقها وإلى الله مغربها ؛ وفي الحديث عن بعض أئمّتنا عليهم السلام : إِنَّ رُوحَ الْمُؤْمِنِ لَأَشَدُّ انِّصَالاً بِرُوحِ اللَّهِ مِنْ اتِّصَالِ شُعَاعِ الشَّمْسِ بِهَا .

فإذن كما أن قوى النفس الإنسانية العقلية راجعة إليها متصلة بها اتصال الأشعة بالشمس ، فكذلك نفوس كلّ واحد من أنواع الحيوان يتصل

عند الرجوع بعقل ذلك الحيوان ، إذ التحقيق أنّ لكلّ حيوان عقلاً مفارقاً كما قاله الفيلسوف الأوّل ، إلّا أنّ الحياة والعقل - كما ذكره في بعضها - أبين وأظهر ، وفي بعضها أخفى ^١.

الرابع : حشر النباتات .

إنّ النباتات باعتبار امتلاكها للحياة والشعور ، كما يظهر من بعض أفعالها وآثارها ، فإنّها أقوى من الجمادات بلحاظ تقسيم المراتب الوجوديّة ، وقد أطلق عليها - بهذه المناسبة - اسم النفس في ثلاث مراتب من عملها ، وهي مراتب التغذية والنمو والتكاثر .

ومن هنا فإنّ حشرها قريب من حشر الحيوانات ، لذا فإنّها تطوي مراحل من الكمال في وجودها الطبيعيّ وتقترّب من المبدأ الفعّال الذي له في وجودها حكم القوة المحرّكة والمدرّبة . كما أنّ بعضها ممّن يمتلك نقطة متحرّكة يقترب من مقام الحيوان في مراحل الترقّي والكمال ، ويتخطّى بعضها الآخر هذا المقام فيحلّ في نطفة الإنسان ويقترب من مقام الإنسانيّة . ومن هنا فإنّ حشر ذلك البعض سيكون أتمّ ، وقيامه في محضر الله تعالى يوم القيامة سيكون أقرب . وعدا ذلك فإنّ النباتات تحتاج إلى الكمال النباتيّ لتصل إلى الله تعالى في سعيها وحركتها . ولأنّ وجود الغذاء وفوريّة النمو والتكاثر شديد فيها ، فإنّ امتلاكها لهذه الشدّة والحدّة في هذه المرتبة المتسافلة سيعيقها من الصعود والترقيّ إلى العالم الأكمل .

ولذلك فإنّ معادها وحشرها إلى الله تعالى سيكون في مقام أدنى وأسفل ، ومن ثمّ فحين تجفّ الشجرة أو تُستأصل فإنّ قوّة تلك الشجرة ستعود إلى مدبرها النوعيّ وإلى ملكها الأخرويّ .

١ - «رسالة الحشر» ص ٣٤٨ و ٣٤٩ .

قال الفيلسوف الأول في كتاب «الربوبية» :

فإن قال قائل : إن كانت قوة النفس تفارق الشجرة بعد قطع أصلها ، فأين تذهب تلك القوة أو تلك النفس ؟ قلنا : تصير إلى المكان الذي لم تفارقه ، وهو العالم العقلي .^١

وهذه الحركة والبعث من النبات يمثلان سيره إلى حشره ومعاذه ، إذ : وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ .^٢

الخامس : حشر الجمادات :

إن جميع الجمادات لها حشر ، حتى المادة الأولى والهيولى البحتة الصرفة ، لأنها لم توجد في عالم الوجود عبثاً ، ولأنها خلقت لهدف وقصد معينين تسعى إليهما بوجودها وحركتها ، سواء كانت حركتها جوهرية أم غير جوهرية ؛ محاولة سد نقصها من خلال الوصول إلى ذلك الهدف ، وتبديل حركتها إلى سكون واستقرار .

قال صدر المتألهين : «وكل صورة ناقصة لا يمكن وجودها إلا بصورة مجددة متممة لها محيطية بها مخرجة إياها عن القوة إلى الفعل . ولولاها لم يكن لهذه الناقصة وجود ، إذ الناقص لا يقوم بذاته إلا بالكامل . والقوة والإمكان لا يوجدان إلا بالفعلية والوجود . فالكمال أبداً قبل النقص، والوجود دائماً قبل الإمكان . وما بالفعل البتة قبل ما بالقوة ، قبلتيته بالذات . والذي يُوقع الناس في الغلط والاشتباه ما يرون في هذا العالم من تقدم القوة والنقص على الفعلية والكمال تقدماً بالزمان ، كالذر على الثمرة والنطفة على الحيوان . أو لم يعلموا أن هذا التقدم الزماني ليس من الأسباب

١- «رسالة الحشر» ، ص ٣٥١ .

٢- الآية ٤٤ ، من السورة ١٧ . الإسراء .

الذاتية للشيء المعلوم ، بل هو مهية للمادة ومعد لقبول الصورة من مبدئها الذاتي ، فإذا ثبت وتحقق أن لكل من الصور العنصرية والجمادية صورة أخرى كمالية في ذاتها غائبة عن أبصارها قريبة منها ، وليست هي بعينها العقل الفعال بلا متوسط لأننا قد أشرنا إلى أن الأدنى لا يصدر من الأعلى إلا بمتوسط مناسب للجانبين ، فلكل من هذه الصور صور غيبية هذه شهادتها وأخرى دنياها .

إلا أن منازل الآخرة كمنازل الدنيا متفاوتة في اللطافة والكثافة ومرتبة في القرب من الله والبعد عنه ، ومعاد الخلائق في الآخرة على حسب مراتبها في الدنيا ، فالأشرف يُعاد إلى الأشرف والأخس إلى الأخس ، ومتى انتقلت صورة في هذا العالم من خسة إلى شرف ومن نقص إلى كمال كما انتقلت صورة الجماد إلى النبات ، أو صورة النبات إلى صورة الحيوان ، كان معادها إلى معاد ما انتقلت إليه وكان ذلك ، كما أن الرجل الكافر إذا أسلم ، أو الرجل الفاجر الفاسق إذا تاب عن فسقه وفجوره وصار امرئاً فاضلاً صالحاً انتقل معاده الذي كان إلى بعض طبقات الجحيم وأبوابها كائناً إلى بعض طبقات الجنان وأبوابها على حسب مقامه وحاله في الدنيا . فإذا ما من موجود من الموجودات الطبيعية المادية إلا وله صورة

مثالية في الآخرة ، ولصورته المثالية صورة عقلية في عالم آخر فوقها هي دار المقربين ومقعد العليين ، والدليل على أن كل صورة حسية باطنها صورة مثالية تتقوم بها وتعود إليها ، وكل صورة مثالية باطنها صورة عقلية تتقوم بها وتحى بحياتها وتعود إليها ، أنا متى أحسنا بشيء ووقعت صورته في قوة حسنا واستكمل حسنا بها ، تصورت بها أيضاً قوة خيالنا التي أقمنا البراهين في كتبنا على تجردها وتجرد ما تصور فيها ، وتمثل لها ، وكذلك انتقلت في عقلنا صورتها العقلية ، فلولا أن بين محسوسها

ومتخيلها ومتعقلها علاقة ذاتية لما كان الأمر كذلك ، وكذلك الأمر بالعكس فمتى تعقلنا صورة عقلية ووقعت منها حكاية تطابقها في خيالنا ، وإذا اشتد وجود الصورة في عالم الخيال تمثلت بين يدي حسنا منها صورة في الخارج ، كما قال تعالى : **فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**^١.

ومن هذا القبيل رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم صورة جبرائيل كأنه طبق الخافقين ، وكذا التي يراها الإنسان في عالم الجنان من الأشجار والأنهار والغرفات والصور الحسان والحوار والغلمان ، وكذا ما يراها أصحاب الجحيم من السلاسل والأغلال والحميم والزقوم والعقارب والحيات وغير ذلك إنما يبرز من الباطن إلى الظاهر ، وكل صورة حسية هيولى للصورة النفسانية وهي للعقلية .

وقد علمت أن الصورة تمام الهيولى التي بها تصير موجودة بالفعل وبها بقاؤها وكمالها ، فبقاء الحس بالنفس وبقاء النفس بالعقل وبقاء العقل بالباري الحق فاعل الكل وغاية الكل وتمام صورة الكل ، ونقول أيضاً إن الصور الحسية قوالب للخيالية وهي أرواحها ، والخيالية قوالب للعقلية وهي حقائقها ، فإذا حشر الأبدان الطبيعية إلى الأبدان الأخروية ، وحشر تلك الأبدان إلى الصور العقلية وحشرها إلى الله تعالى .

قال الفيلسوف في الميمر الثامن إن هيولى العقل شريفة جداً ، لأنها بسيطة عقلية غير أن العقل أشد منها انبساطاً وهو محيط بها ، وإن هيولى النفس شريفة جداً ، لأنها بسيطة نفسانية غير أن النفس أشد انبساطاً منها وهي محيطة بها ومؤثرة فيها الآثار العجيبة بمعونة العقل ، فلذلك صارت أشرف وأكرم من الهيولى ، لأنها تحيط بها وتصور فيها الصور العجيبة .

١- الآية ١٧ ، من السورة ١٩ : مريم .

والدليل على ذلك العالم الحسي ، فإن من يراه يكثُر منه عجبُه ، ولا سيّما إذا رأى عظمتَه وحسنَه وشرفَه وحركته المتّصلة الدائمة السائرة التي فيها الظاهرة منها والخفية والأرواح الساكنة في هذا العالم من الحيوان والهواء والنبات وسائر الأشكال كلّها ، إذا رأى هذه الأشياء الحسية التي في هذا السفلي الحسي فليرتقي بعقله إلى العالم الأعلى الحق الذي إنّما هذا العالم مثال له ويُلقب بصره عليه ، فإنّه سيرى الأشياء كلّها التي رآها في هذا العالم هناك ، غير أنّه يراها هناك عقلية دائمة متّصلة ذات فضائل وحياة نقيّة ليس يشوبها شيء من الأدناس ، ويرى هناك الأشياء ممتلئة عقلاً وحكمة من أجل النور الفائض عليها ، وكلّ واحد يحرص على الترقّي إلى درجة صاحبه ، وأن يدنو من النور الأوّل الفائض على ذلك العالم ، وذلك العالم محيط بالأشياء كلّها ، الدائم الذي لا يموت ، والمحيط بجميع العقول والأنفس - انتهى كلامه .

فثبت وتحقق من جميع ما ذكرناه ونقلناه أنّ لكلّ صورة حسية صورة نفسانية في عالم الغيب هي معاد هذه الصورة ومرجعها الذي تُحشر إليه بعد زوالها عن هذا العالم ، أي عالم الحس والشهادة ، وهي الآن أيضاً متّصلة بها راجعة إليها لكنّها لمّا كانت مغمورة في الهيولى مشوبةً بالنقايس والإعدام ، محجوبةً بالغواشي لا يتبيّن حشرها إلى تلك الصورة النفسانية لمن أراد أن يراها ويشاهدها إلّا أهل المعرفة الذين يشاهدون أحوال الآخرة بأعين البصائر ، فإذا انفسخت صورتها المادّية وتجرّدت عن هذه الغواشي الجسمانية التي هي بالحقيقة مقبرة ما في علم الله ، برزت إلى ذلك العالم وحُشرت إلى دار الآخرة كما قال تعالى : **وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى^١**

١- الآية ٣٦ ، من السورة ٧٩ : النازعات .

والجحيم التي ستبرز في دار الآخرة بحيث يُشاهدها الخلائق عند ذلك بعلم اليقين ثم بعين اليقين هي باطن هذه الصورة السفلية الطبيعية التي تحرق نارها الأبدان وتبدل الجلود بالاستحالة والذوبان ، لكنها مستورة ها هنا على هذه الحواس الدائرة الفانية ، فإذا خرجت النفوس عن هذا العالم وبُعثر ما في القبور وحُصِّل ما في الصدور نراها ذلك اليوم بصورتها الكامنة اليوم ، كما في قوله تعالى :

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ^١.

ومن العجب أنه كما أنّ باطن هذه النار الحسّية نار أخروية ، كذلك باطن الماء وغيره من الصور السفلية نار أخروية أيضاً ؛ كما في قوله تعالى :

أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا^٢.

وقوله : وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ^٣.

ويروى عن الضحّاك في قوله تعالى أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا : «هي حالة واحدة في الدنيا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب آخر » .

وعن بعضهم : يَا بَحْرُ ! مَتَى تَصِيرُ نَارًا ؟

وهي النار التي وقودها الناس والحجارة ، وهذه النار غير النار النفسانية الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، وهما جميعاً غير النار الحقة التي هي صورة عقلية تفيض عنها الصورة النفسانية النارية ، وهذه النار المحسوسة هي كسائر الأمور التي لها صورة حسّية في هذا العالم وصورة

١- الآيات ٥ إلى ٧ من السورة ١٠٢ . التكاثر .

٢- الآية ٢٥ ، من السورة ٧١ : نوح

٣- الآية ٦ ، من السورة ٨١ . التكوثر .

معرفة المعاد (٦) المعاد الجسماني العنصري، وعالم عرض وحشر جميع الموجودات

مثالية حيوانية في عالم الآخرة ، وهي التي تعود وتحشر إليها هذه المحسوسة عند تبدل نشأتها الهولوية ، وصورة عقلية في عالم آخر فوق العالمين ، وهي التي تعود وتحشر إليها هاتان الصورتان»^١.

ثم قال بعد بيان موجز :

«إذا رجعت الأشياء إلى مقارها الأصلية بعد خروجها عن عالم الحركات والاستحالات والشروع والآلام والأحزان بالموت والفساد والفرع والصعق ، تعطف عليها الرحمة الإلهية تارة أخرى بالحياة التي لا موت فيها والبقاء الذي لا انقطاع له ، ولهذا قال :

ثُمَّ يُفْخَعُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ^٢.

وقال : وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا^٣.

وتلك الأرض الأخروية المقبوضة هي صورة ذات حياة ، نسبتها إلى هذه الأرض التي نحن الآن عليها نسبة السماء إلى الأرض ، وجميع ما في ذلك العالم صورة حيوانية إدراكية ليس لها موضوع أو مادة لا حياة لها كهيولى هذا العالم ، وأجسادها التي تكون الحياة عرضية لها عارية عليها من النفس ، وكذلك الماء والنار والهواء والشجر والجبال والأبنية والبيوت كلها موجودة هناك بوجود صورتي نفسي بلا مادة وحركة وقوة وإمكان ، لأن صورتها معلقة قائمة لا في مادة ، على أنها ليست إلا جزئية مشاهدة محسوسة بحواس غير دائرة ولا فانية ، لأن كلها في موضوع النفس ،^٤ كأنها

١- «رسالة الحشر» ص ٣٥٥ إلى ٣٥٨ .

٢- الآية ٦٨ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

٣- الآية ٦٩ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

٤- لقد جعل المرحوم المآل صدرا عالم البقاء بالله نفسانياً ، بد أننا فد أبتنا سابقاً

- ضمن إثبات المعاد الجسماني العنصري المادي - أن النفس تحصل بعد الفناء على الإحاطة به

قوة واحدة مع أنها كثيرة الصور المرئية والأشكال العظام والمقادير
الجسام ، وهذا من العجايب التي يسهل إدراكها والإذعان بوجودها لأولي
البصائر ، وإن صعب على غيرهم الإذعان إلا من طريق السماع والتقليد ^١.
ای بلبل جان چونی اندر قفس تنها

تا چند در این تنها مانی تو تن تنها
ای بلبل خوش الحان زان گلشن و زان بستان
چون بود که افتادی ناگاه به گلخنها
گوئی که فراموش گردیده در این گلخن
آن روضه و آن گلشن و آن سنبل و سوسنها
بشکن قفس تن را پس تثن تن کوبان
از مرتبه گلخن بخرام به گلشنها
مرغان هم آواز مجموع از این گلخن
پرّنده به گلشن شد بگرفته نشمینها ^٢

« بحقیقة عالم الرمان والمادة ، وتحصل على إدراك نفسها وبدنها طيلة عمرها وجداناً .

١- «رسالة الحشر» ضمن «رسائل الملائة صدر» ص ٣٥٩ و ٣٦٠ .

٢- «ديوان مغربی» ص ٩ .

بقول الشاعر : «يا عندليب الروح ! كيف حالك في قفص الأبدان ؟ إلى متى سنبقى في
هذه الأبدان فرداً وحيداً .

أيها العندليب العريد في هذا الروض والبساتين ! كيف - يا ترى - سقطت فجأة في هذه
المواقد السوداء ؟

كأنك نسيت في هذا الموقد تلك الروضة وذلك البستان وتلك السنابل وزهور
السوسن !

فحطّ قفص البدن وسرّ مترنماً في يه ودلال من مرتبة الموقد إلى الرياص !
لقد طار كل الطيور التي صدحت معك من هذا الموقد واتخذت في الروض أوكاراً ..

در بیشه دام و دژ مأوی نتوان کردن
 زین جای مخوف ایجان رو جانب مأمن‌ها
 ای طایر افلاکی در دام تن خاکی
 از بهر دو سه دانه وامانده ز خرمن‌ها
 باری چو نمی‌یاری بیرون شدن از قالب
 بر منظره‌اش بنشین بگشاده روزن‌ها
 ای مغربی مسکین اینجا چه شوی ساکن
 کانجاست برای تو پرداخته مسکن‌ها^۱

۱- يقول: «وَأَتَى يَمُكُنَ الْعُنُورِ عَلَى مَأْوَى فِي أَجْمَةِ الْوَحْشِ وَالسَّرَاكِ ، فَبَا أَيْتَهَا الرُّوحُ غَادِرِي هَذَا الْمَكَانَ الْمَخُوفَ وَاتَّجِهِي إِلَى الْجَانِبِ الْأَمَنِ .
 يَا طَائِرَ الْأَفْلاكِ السَّاقِطِ فِي أَحْبُولَةِ الْبَدَنِ الْرَابِي ! لَقَدْ حُرِّمْتَ - مِنْ أَجْلِ حَبَاتِ فَلَائِلٍ - مِنْ هَذِهِ الْبِيَادِرِ !
 وَلَأَنْتَ لَا تَتِمَكَّنُ مِنَ التَّخَلِّيِ عَنْ فَالِ الْبَدَنِ ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَفَكَّرَ فِي سَبِيلِ لَفْحِ نَوَافِدِ (لِحَرِيرِ رُوحِكَ) .
 وَأَتَهَا «الْمَغْرِبِي» الْمَسْكِينُ ! مَاذَا عَسَاكَ لَأَنْ تَسْكُنَ هُنَا بِنَمَا هُئِثْتَ لَكَ الْمَسَاكِينُ هَاكَ ؟!» .

لِلْمَجْلِسِ الْحَاذِي وَالْآتِي

تَطَايُرُ الْكُتُبِ وَصِفَةُ صَحِيفَةِ الْأَعْمَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :
وَكُلَّ إِنْسَنٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبِيرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا^١
أحد عوالم القيامة عالم تطاير الكتب ، وقد شاهدتم بطبيعة الحال
الوصايا المدونة وقد كُتِبَ فيها : أشهد أن الموت حق ، وأن القبر حق ،
وسؤال منكر ونكير حق ، والحشر حق ، والصراط والميزان حق ، وتطاير
الكتب حق ... إلى آخر هذه الشهادات .
وتطاير الكتب يعني فتح صحائف الأعمال ونشرها. فَلِمَ يُدعى تطايراً
إذاً ؟ لأنه مُنْتَزَع من هذه الآية المباركة: وَكُلَّ إِنْسَنٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبِيرَهُ فِي عُنُقِهِ.
والطائر من الحيوان كل ما يطير بجناحين؛ وقد ورد في تفسير «مجمع البيان»:
«وَكُلَّ إِنْسَنٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبِيرَهُ فِي عُنُقِهِ» ؛ مَعْنَاهُ وَأَلْزَمْنَا كُلَّ إِنْسَانٍ
عَمَلَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فِي عُنُقِهِ كَالطَّوْقِ لَا يُفَارِقُهُ ؛ وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْعَمَلِ : طَائِرٌ
عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي قَوْلِهِمْ : جَرَى طَائِرُهُ بِكَذَا.

١- الآيتان ١٣ و ١٤ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

وَقِيلَ : طَائِرُهُ يُمْنُهُ وَشَوْمُهُ ؛ وَهُوَ مَا يُتَطَيَّرُ بِهِ ؛ وَقِيلَ : طَائِرُهُ حَظُّهُ مِنْ
الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ؛ وَخُصَّ الْعُنُقُ لِأَنَّهُ مَحَلُّ الطَّوْقِ الَّذِي يُزَيِّنُ الْمُحْسِنَ وَالْغُلَّ
الَّذِي يَشِينُ الْمُسِيءَ ؛ وَقِيلَ : طَائِرُهُ كِتَابُهُ ؛ وَقِيلَ مَعْنَاهُ : جَعَلْنَا لِكُلِّ إِنْسَانٍ
دَلِيلًا مِنْ نَفْسِهِ.^١

فتطائر الكتب - إذاً - يعني تطائر صحائف الأعمال ، إذ توضع
الصحائف في رقبة الإنسان كالطوق ، وحين تُفتح فإنها تتطائر كما يطير
الطائر وتتجه إما صوب المقرّبين أو صوب أصحاب اليمين أو صوب
أصحاب الشمال ، باعتبار وقوف المقرّبين والمخلصين في مكان خاص
يوم القيامة ، والأمر كذلك بالنسبة إلى أصحاب اليمين وإلى أصحاب
الشمال . فكلّ عمل عمله الإنسان سيلحق بالمقرّبين بمقدار ما له من درجة
القرب ؛ أمّا إذا كان لعمل الإنسان سنجية مع أعمال أصحاب اليمين فسيطير
صوب أصحاب اليمين ، أمّا لو كانت سنجيته مع أعمال أصحاب الشمال
فسيطير تجاههم .

ومن هنا فإنّ عالم تطائر الكتب يعني العالم الذي تتطائر فيه صحائف
الأعمال فيتجه كلّ منها إلى محلّه وموضعه ، وهذا هو المعنى الذي يمكن
بيانه لتطائر الكتب على أنّه يمكن ذكر معنى آخر للطائر ، وهو أنّ الطائر
كناية عن المقدّرات التي تُعطى للإنسان جزاء عمله ، إذ يتفأل العرب
بالطائر يميناً وشؤماً ؛ فهم يعتقدون - مثلاً - أنّ الغراب لو طار من الشمال إلى
اليمين كان ذلك يميناً ، أمّا لو طار من اليمين إلى الشمال كان ذلك شؤماً ،
فإن شاهد الإنسان عند خروجه من داره غراباً يطير بهذه الكيفية أو تلك
كان ذلك له يميناً أو شؤماً .

١- «مجمع البيان» ج ٣ ص ٤٠٤ ، طبعة صيدا .

وإن هبطت بوم على سطح منزل ، دلّ ذلك على الموت والفناء ، أما لو هبطت حمامة ورقاء ، دلّ ذلك على اليُمن والسعادة . ولا يعترف الإسلام بمثل هذه الأمور لعدم وجود حقيقة وواقع لها ، أما الأثر المترتب عليها فليس إلا الأثر النفسي لا غير ؛ وتبعاً لذلك فقد نهى الإسلام عن الطَّيرة .

فالطائر - إذاً - كناية عن السعادة أو الشقاء الذي يصيب من نصيب الإنسان إثر عمله الصالح أو الطالح ، منتهى الأمر أنّه إذا تَفأل بذلك الطائر دُعي ذلك تفؤلاً ، وإن تشاء منه دُعي تشاؤماً .

والطائر يعني المقدّرات التي تلازم الإنسان إثر العمل الحسن أو القبيح ، وطائر الإنسان يعني مقدّراته التي تلحقه إثر العمل . وكما يقدر الإنسان مقدّراته بذلك الطائر ، فإنّ تلك المقدّرات وتلك الأعمال وذلك الجزاء الذي يلحق الإنسان إثر العمل الحسن أو السيّء فيلزمه ويقارنه قد عبّر عنها كنايةً بالطائر .

إنّا سنخرج هذا الطائر للإنسان يوم القيامة ، وحين يشاهد الإنسان صحيفة عمله المدوّنة ، فإنّه سيُشاهد جميع مقدّراته من الأعمال الحسنة أو القبيحة التي فعلها ، والتي ستكون بأجمعها ظاهرة لفاعلها .

وعليّنا أن نرى العلة التي من أجلها قال تعالى : **أَلَزَمْنَاهُ طَبِيرَهُ فِي عُنُقِهِ** . وذلك باعتبار أنّ عنق الإنسان يمثل محلّ تعليق الطوق والعقد من المجوهرات ليزهو فوق صدره إن كان مُحسناً مستحقاً للشواب والجائزة ، ومحلّ تعليق الغلّ والسلاسل للمسيء المجرم .

فالرقبة - إذاً - هي محلّ جزاء المحسنين والمسيئين قبال ما لهم من إحسان أو إساءة .

وعلى هذا الأساس فقد ورد في التعبير هنا كناية عن أن صحيفة الإنسان تعلّق في عنقه وتلازم وجوده ، أي أنّ من عمل عملاً في الدنيا فإنّ

ذلك العمل سيُطوى ويعلّق في عنقه . سيلفّ العمل ويطوى فوق العمل الآخر ، فلا يعود يبدو في النظر . إنّ جميع الأعمال التي فعلناها ليست ماثلة الآن أمام أعيننا ، فنحن نعمل العمل فيذهب وينقضي ، أشبه بالرسائل التي كانت تدوّن في السابق ثمّ تطوى وتُرسل من مدينة إلى أخرى ، وخاصة الأحكام والأوامر التي كان الملوك يصدرونها فتدوّن في هيئة رسالة ذات عرض قليل إلّا أنّ طولها كبير قد يصل إلى عشرة أمتار ، وكانوا يطوون تلك الرسائل ثمّ يختمونها ويضعونها في غلاف ذهبيّ أو فضيّ يلحمون نهايته قبل إرسالها لتكون الرسالة محفوظة من الرطوبة لو قدر للأمطار أن تهطل عليها في الطريق . وحين كانت تلك الرسالة تصل إلى المُرسَل إليه فإنّه كان يفتحها ويمسك بها من طرفها ويقرأها من بدايتها إلى نهايتها حسب الترتيب الذي دوّنت به ، فقد دوّنت وطويت شيئاً فشيئاً حتّى انتهاء ورق الرسالة ، وحين يُراد قراءتها فإنّهم يقرأون المطالب بنفس ذلك الترتيب . وكما يلقون ورق الرسائل بعد تدوينها ، فإنّهم يعكسون الأمر الآن فينشرون الرسالة ويفتحونها : وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ؛ أي مبسوطاً .

إنّا نلفّ الأعمال التي يقوم بها أفراد البشر ونطويها ونعلّقها في أعناقهم لتلازمهم ، إلّا أنّهم لا يرون تلك الأعمال باعتبارها مطوية ملفوفة . أمّا يوم القيامة فإنّا سننشر تلك الأعمال المطوية فيرونها ويقرأونها في هيئة صحيفة طويلة منشورة .

أَقْرَأْ كِتَابَكَ ؛ اقْرَأْ صحيفة عملك وشاهدها بنفسك !

كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا .

وكفى بك اليوم محاسباً لنفسك ؛ أنت اليوم أفضل محاسب لنفسك ،

فليس ثمة من حاجة لمحاسب آخر ليحاسبك ! لماذا ؟

لأنّ تلك الأعمال هي أعمالك التي صارت الآن حاضرة ومشهودة
بمرأى منك ومسمع .

ويُدعى هذا العالم بعالم تطاير الكتب ، وكما ذكرنا سابقاً فإنّ هذا
العالم يمثل نشر الأعمال بعد طيّها .

إنّ الإنسان بعد أن يفنى ثم يجد البقاء بالله تعالى ويعود إلى عالم
الوجود فإنّه سيرى نفسه وجميع أعماله منذ ولادته إلى موته مع جميع
آثاره وخصائصه في كلّ نقطة من الأمكنة وكلّ لحظة من لحظات الزمان ،
مع جميع القرائن المحيطة بالفرد والجماعات التي تعامل معها ، والأخلاق
والصفات التي امتلكها ، والملكات التي حازها ، والنوايا التي انطوى عليها
لفعل تلك الأعمال ؛ سيراها بأجمعها مبسوطة ومنشورة أمامه فيقرأها
ويتلوها . وسيقال له : تعال ؛ فهذا كتاب عملك المتعلق بك ! فينظر الإنسان
إلى هذه الصحيفة ويرى - من جهة - أنّها صحيفته ، لكنّه لا يصدّق - من
جهة أخرى - أنّ هذه الصحيفة على هذا القدر من الدقة ، وأنّها قد دوّنت
الصغيرة والكبيرة ، وأنّها دوّنت الأشياء التي لم تكن تلوح في نظر الإنسان
أساساً ، ليس بكتابه القلم والحبر على الورق ، بل إنّها مكتوبة في عالم
التكوين بقلم التحقق والواقعية . وأنّ نفس عمل الإنسان قد أخذ وسُجّل ،
وأ أنّه سيؤتى بنفس وجود الإنسان مع عمله ، بحيث إنّ الإنسان وعمله ليسا
خارجين عن تلك النفس الناطقة والروح التي له .

بل إنّ الإنسان يرى أنّ هذه الأعمال أعماله وآثاره ، فيعلم بها علماً
حضورياً لا حصولياً ، وهو ممّا يثير العجب والدهشة . سيعجب الإنسان
آنذاك من الأمر ، ويدهش من دقة هذه الصحيفة المدوّنة ، تلك الدقة في
التدوين والتسجيل التي لا تخطر على عقل الإنسان ، لأنّ الله هو المُحصى ،
ولأنّ هذه الصحيفة قد نظّمت بأمره وتحت إشرافه .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام :

وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتُ بِإِبْثَابِهَا الْكَرَامَ الْكَاتِبِينَ الَّذِينَ وَكَّلْتُهُمْ بِحِفْظِ مَا
يَكُونُ مِنِّي وَجَعَلْتُهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ مَعَ جَوَارِحِي وَكُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيَّ
مِنْ وَرَائِهِمْ وَالشَّاهِدَ لِمَا خَفِيَ عَنْهُمْ.^١

ذلك لأن ملائكة تدوين الأعمال وتسجيلها يسجلون جميع الأعمال
الظاهرة والباطنية ، إلا أن بعض النوايا في أعمال القلب على قدر من
اللطافة والخفاء بحيث لا يمكن للملائكة إدراكها ولا رؤيتها ، لا بعين
الظاهر ولا بعين الباطن ، لكن الله تعالى يراها ، إذ لا يخفى عليه شيء ،
لماذا ؟ لأنه : كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرَائِهِمْ وَالشَّاهِدَ لِمَا خَفِيَ عَنْهُمْ .
يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.^٢

وما أكثر الأعمال التي فعلناها ، والنوايا التي انطوينا عليها ، والخواطر
التي مرّت على قلوبنا ، والأفكار الباطلة التي فكّرنا بها ، ثم استترت بمرور
الوقت تحت ستار الغفلة والنسيان ، لكن جهاز التسجيل ذلك يقظ ومنتبه ،
والله تعالى حيّ على الدوام وناظر وشاهد ، فهو يرى الظاهر ويرى الباطن
ويحفظهما بجميع درجاتهما ومراحلهما ، ويعدّ الأعمال الكبيرة والصغيرة ،
ويحفظ الأعمال الظاهرة والباطنة فلا ينسى منها شيئاً ، لأنّ الله على كلّ
شيء شهيد .

١- من فقرات دعاء كميل الذي رواه الشيخ الطوسي في «المصباح» ص ٥٨٧ إلى ٥٩٢
والكفعمي في «مصباح الكفعمي» وفي «البلد الأمين» ، والسيد ابن طاووس في «الإقبال»
والمجلسي في «زاد المعاد» .

٢- الآية ٦ ، من السورة ٥٨ : المجادلة .

بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ^١.

إنّ الله سيأتي بما فعله الإنسان قبل يوم القيامة وأخفاه لئلا يراه زيد وعمره وبكر ، فيظهره للإنسان :

يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^٢.

يوم القيامة هو اليوم الذي يصدر فيه جميع الناس . من أين ؟ من قبورهم . يصدرون متفرقين جماعات ليروا أعمالهم ، فمن عمل منهم قدر ذرة خيراً رآه ، ومن عمل قدر ذرة شراً رآه .

إنّ القبور الآن محلّ للواردات بلا صادرات ، فكلّ ما فيها مراكز للواردات ، اذهبوا إلى غرفة مسؤول المقبرة الواقعة جنب مغسلة الموتى وتطلّعوا إلى دفتره ، فسترون أنّ كلّ ما لديه واردات ، وأنّ ليس ثمة صادرات أبداً . أمّا يوم القيامة فإنّ جميع هذه الواردات ستصدر فيصبح الدفتر سجلاً للصادرات .

يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ^٣.

إنّ الأرض لا ثقل لها الآن ، فهؤلاء الخلائق الذين دُفِنوا فيها خلال آلاف السنين صاروا يخرجون الآن منها ويصدرون كالجراد المنتشر .

وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بَأْسَ رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا^٤.

١- الآية ٢٨ ، من السورة ٦ : الأنعام

٢- الآيات ٦ إلى ٨ ، من السورة ٩٩ : الزلزلة

٣- الآية ٧ ، من السورة ٥٤ : القمر .

٤- الآيات ٢ إلى ٦ ، من السورة ٩٩ : الزلزلة .

سيخرج الناس من القبور جماعات وأفراداً متفرقين ، لماذا؟ ليُروا أعمالهم . فيقول الإنسان : ما الأمر ؟ لماذا تُحدّث الأرض أخبارها وقصصها؟ وكيف تُخبر عن أحوالي ؟ لقد أوحى لها الله وأحيّاها وأيقظها وجعلها تتحدّث بحيث تأخذ الأعمال وتسجلها ، وها هي تحدّث بها وتفصح عنها بكلامها .

وهناك في هذه الآيات القرآنية المباركة عدّة أنواع من التعبير :
أولها أنّ الله قد جعل الأعمال ملازمة للإنسان : أَلَزَمْنَاهُ طَبِيرَهُ؛
وجرى في موضع آخر التعبير بإحصاء الله تعالى : أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ؛
وفي موضع آخر بالظهور والجلاء بعد الخفاء : بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفَوْنَ
مِنْ قَبْلُ؛ أمّا في هذه الآية : لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فيقول : ليرى الناس أعمالهم
ويطلعون على حقيقة عملهم .

أفيستطيع الإنسان أن يُنكر صحيفة عمله تلك ؟ لو سُجِّل صوت
الإنسان وصورته في جهاز ما ثم عُرض له فإنه لن يستطيع الإنكار ، أمّا في
القيامة فالأمر ليس كتابة وتسجيلاً ، وليس تصويراً وعرضاً سينمائيّاً ،
فالأمر فوق هذا وأعلى .

هنالك يؤتى بالإنسان وبالعامل الذي فعله حينما كان متلبساً
بارتكاب ذلك العمل ، لأنّ معنى البقاء بعد الفناء أن يبقى الإنسان ذلك اليوم
يهيمن على بدنه الدنيوي مع جميع أعماله التي قام بها . فيرى الإنسان نفسه
- من ثم - وهو منهمك ، بالقيام بتلك الأعمال .

أنقدر الآن وفي هذه اللحظة أن نُنكر هيتتنا وحالنا الوجودي
الحاضر ؟ أيمكن ذلك أساساً ؟ أيمكننا حين ينتهي حديثنا أن ننكره ؟
أنستطيع - يا ترى - إنكار حديثنا الذي قلناه ؟ أيمكننا إنكار نفس هذا
التحدّث ؟ كلّاً بطبيعة الحال ، لأنّ هذا الإنكار هو عين الإقرار والاعتراف ،

وهذا النفي هو عين الإثبات .

إنّ الإنسان سيكون يوم القيامة منشغلاً بفعل نفس الأعمال التي سبق له فعلها ، منتهى الأمر أنّها كانت في الدنيا في صورة ملكيّة ، وستكون يوم القيامة في صورة ملكوتيّة ، فمن سيستطيع الإنكار يا ترى ؟
وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَيُؤْفِيهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ^١ .
والتوفية من وفى يفي توقى ويتوقى ، ووَقَى يوقى توفيةً ، أي أعطاهم بصورة تامة كاملة .

نحن نقول لزيد - مثلاً - : اذهب واقبض مبلغ خمسة آلاف تومان الذي لنا في ذمة عمرو ! فيذهب ليقبض المبلغ ، فيماطله عمرو ويقول له : تعال غداً ! فيردّ زيد : لا يمكن ذلك !
فيقول عمرو : تعال عصرًا !
فيقول : لا يمكن ذلك !
فيقول : تعال بعد ساعة !
فيردّ زيد : لا يمكن ، وعليك أن تدفع المبلغ الآن .
فيقول عمرو : إذا توجّب عليّ الدفع الآن ، فسأدفع ألف تومان .
فيردّ : لا يمكن !

فيزيده عمرو وهو يرفض مصرّاً على قبض المبلغ بتمامه وإلى آخر ريالٍ منه ، وحين يقبض زيد تمام الخمسة آلاف تومان فإنّ عمله سيُدعى توفيةً .

لِيُؤْفِيَهُمْ أَعْمَالُهُمْ ؛ أي أنّ الأفراد الذين يحضرون يوم القيامة سيُعطون أعمالهم بصورة وافية تامة ؛ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ولا يتعرّضون لحيف

١- الآية ١٩ ، من السورة ٤٦ : الأحقاف .

ولا ظلم لماذا؟ لأن الأعمال هي أعمال الإنسان التي صدرت منه بإرادته واختياره، وها هي نفس تلك الأعمال تُعطى للإنسان في صورتها الملكوتية المتناسبة مع ذلك العالم. فما الذي يعنيه الظلم من ثم؟ ألم نقرأ يا ثرى: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى^١.

على كل فرد أن يحمل وزره - لا وزر غيره - بنفسه، فليس - إذًا - من الظلم أن يوقى الإنسان يوم القيامة نفس أعماله المترشحة عنه، لأنه لم يحمل وزر شخص آخر، ولم يلزم في عنقه طائر امرئ آخر، وسيكون حمله هو وزره الذي ارتكبه في الدنيا باختياره وإرادته. فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ^٢.

فكيف لو جمعناهم ليوم لا شك في تحققه ووقوعه، يومٌ مجموعٌ فيه الناس، ووقينا كل نفس ما عملت دون أن يُظلموا شيئاً. يَوْمَئِذٍ يَنْذَرُ الْآنَسُ وَأَنْتَى لَهُ الذِّكْرَى^٣.

إن الأعمال التي فعلناها موجودة الآن، منتهى الأمر أنها مطوية، ثم تمر الساعات فتطوى هذه الأعمال وتعلق في عنق الإنسان كشریط مسجل، إلا أنه شريط ملكوتي، وهذا الشريط يلتقط الصوت كل لحظة، يلتقط صوت المتكلم، وصوت دقات الساعة، وقرقعة مبردة الهواء، وصوت العطسة التي قد يعطسها البعض، ويسجل كل شيء، حتى ينتهي الشريط. هناك ملكان باسم «رقيب» و «عتيد» جالسان على منكبنا يستلمان

١- الآية ١٨، من السورة ٣٥: فاطر.

٢- الآية ٢٥، من السورة ٣: آل عمران.

٣- الآية ٢٣، من السورة ٨٩: الفجر.

الأعمال يسجلانها على هيئة شريط ، ثم تطوى هذه الأعمال بجميع خصائصها إلى اليوم الذي تُنشر فيه وتُعرض .
وهذا الشريط المسجل في الدنيا قد أُعدّ لغرض معين ، وهو أن يُنشر في ساعة معينة ويُقرأ لاستحصال النتيجة ؛ وبغير ذلك فسيكون اللف والطي دونما بسط ونشر عبثاً ولَهوًّا لا طائل وراءه ؛ فاللف مقدمة للبسط والنشر .
وسينشر الشريط فيطلع الإنسان على جميع أعماله ، لكن الأسى والأسف سيكونان آنذاك بغير فائدة ، إذ ليس ثمة مجال للعودة والتدارك : وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى .

إن المكان الذي يمكن للإنسان أن يصلح فيه هذا الشريط هو الدنيا ، فالذكرى مهمة للإنسان لو حصلت في الدنيا ، أما في الآخرة فلا فائدة تُرجى منها : **الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ** .
وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * **هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ^١ .

نعم ، إن جميع الأحزاب والمجموعات والفئات قد رفعت أصواتها في هذه الدنيا ، وصارت تهزّ الدنيا تحت أقدامها ، لكنهم سيركعون ذلك اليوم خاضعين لماذا ؟ لأنه سيُقال لهم : **تعالوا واقرأوا صحائف أعمالكم !** تلك الصحائف السيئة إلى الحد الذي يبعث على خجلهم وينكس رؤوسهم فلا قدرة لهم بعد على رفعها والشموخ بها ، وسينشغل كلّ منهم بصحيفة عمله :

هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ .

١- الآيتان ٢٨ و ٢٩ ، من السورة ١٤٥ الجاثية

فأي حق أعلى - يا ترى - وأبعد من نفس عمل الإنسان الذي يوقى له ؟ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

لقد كان دأبنا في الدنيا أن نسجل ونستنسخ ما تعملونه ، كي لا يمكنكم إنكار نقطة واحدة منه ، وليس عملنا أضعف أداءً من عملكم في الدنيا ، فأنتم تستنسخون الأسناد والوثائق لئلا يُنكر منكر أو يجحد جاحد ، فإن أنكر أحد قيل له إنّ النسخة الأصلية هنا ، والصورة والهيئة والشمائل والحديث كله مسجل لدينا .

إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ كُلَّ مَا تَفْعَلُونَ ، فما الذي يعنيه الاستنساخ ؟ وكيف تُعرض النسخة هناك ؟

إنه يعني أنّ جميع الموجودات في كلّ زمان ومكان موجودة بجميع خصائصها في كتاب التكوين الذي يسير وينقضي ، فكتاب التكوين هو الإمام المبين ، ونحن نستنسخ منه ما يخصكم ويتعلق بكم فنواجهكم يوم الجزاء بتلك النسخة .

على أنّ كتاب التكوين بأجمعه لا يهتمكم بطبيعة الحال ، فنحن إنّما سنطلعكم يوم القيامة على ما يتعلق بكم فقط ، أمّا الاختلاف الواقع بين الرجل الفلاني والمرأة الفلانية في القرن الفلاني والسنة الفلانية والشهر واليوم والساعة واللحظة الفلانية في النقطة الكذائية من الدنيا ، فهو أمر لا يخصكم بشيء ، ونحن نستنسخ منه نسخة لهما . أمّا بالنسبة إليك فنحن نستنسخ لك ما يتعلق بك ويخصك .

فما هي نسختك ؟ هي عملك ، وهي وجودك في كتاب التكوين منذ ولادتك إلى لحظة موتك . ذلك الوجود الذي سلطناك عليه بعد البقاء الذي منحناك إياه بعد مرحلة فنائك . ومعنى الاستنساخ أن نضع هذا القدر من كتابك تحت سلطتك واختيارك . وهذا القدر الذي عرضناه لك من نسخة

ذلك الكتاب (كتاب التكوين) يمثل تجلّي تلك الأعمال في صورة ملكوتية متناسبة مع ذلك العالم .

ورد في «الكافي» عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث اللوح المحفوظ :

وَهُوَ الْكِتَابُ الْمَكْنُونُ الَّذِي مِنْهُ النُّسخُ كُلُّهَا ؛ أَوَلَسْتُمْ عُرْبًا ؟ فَكَيْفَ لَا تَعْلَمُونَ مَعْنَى الْكَلَامِ وَأَحَدُكُمْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ : انسخْ ذَلِكَ الْكِتَابَ ؟ أَوَلَيْسَ إِنَّمَا يَنْسخُ مِنْ كِتَابٍ آخَرَ مِنَ الْأَصْلِ وَهُوَ قَوْلُهُ : «إِنَّا كُنَّا نُسْتَنْسخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»^١.

والاستنساخ يحصل من ذلك العالم التكويني ، لأننا لسنا إلا موجوداً صغيراً من عالم كوني تتشكل مجموعته من هذا العالم بشمسه وقمره وأرضه وكواكبه مع وضعياتها وحالاتها ، ومن الموجودات الظاهرية والطبيعية المادية والموجودات الملكوتية المعنوية وجميع حقائق هذه الأمور ، التي تمثل بأجمعها اللوح المحفوظ الذي لَا يُرَدُّ وَلَا يُبَدَّلُ .

وقد ذكرنا سابقاً أنّ الشيء إذا ارتدى رداء الوجود فإنّ من المحال أن يعرض عليه العدم والفناء ، إذ إنّهُ سيصبح أمّ الكتاب ، ومن أمّ الكتاب واللوح المحفوظ تُستنسخ النسخة المتعلقة بنا ، فنُمنح يوم القيامة سيطرة على تلك النسخة ويُقال : هَاكَ نَسَخْتِكَ فَانظُرْهَا !

هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ .

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ .
يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا .

فمن أين - يا ترى - تجد العمل وتراه ؟ من النسخة التي استنسخت .

١- «المعاد» للعلامة الطباطبائي ، (الإنسان بعد الدنيا) ، ص ٣٥ .

ورد في «تفسير العياشي» عن خالد بن نجيع ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دُفِعَ إِلَى الْإِنْسَانِ كِتَابُهُ ثُمَّ قِيلَ لَهُ : اقْرَأْ . قُلْتُ : فَيَعْرِفُ مَا فِيهِ ؟

قَالَ : إِنَّ اللَّهَ يُذَكِّرُهُ ، فَمَا مِنْ لَحْظَةٍ وَلَا كَلِمَةٍ وَلَا نَفْلٍ قَدِمَ وَلَا شَيْءٍ فَعَلَهُ إِلَّا ذَكَرَهُ كَأَنَّهُ عَمِلَهُ تِلْكَ السَّاعَةِ فَلِذَلِكَ قَالُوا :

«يَوِيلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا»^١

وحقاً فإن أمثال هذه الروايات الصادرة عن الأئمة المعصومين سلام الله وصلواته عليهم أجمعين معجزة ، أي لأن مثل هذا التوغل في الأسرار الإلهية والمعارف الربانية له دلالة على سعة نفوسهم وإحاطتها ، حتى كأنهم موجودون في القيامة يرونها ويشرحونها لنا ، وكأنهم يشاهدون مناظر القيامة ووقائعها واحداً بعد الآخر ثم يذكرونه لنا .

يقول الإمام إن الإنسان يرى جميع أعماله وكأنه عملها تلك الساعة ، فهو يرى في القيامة في صورة ملكوتية ما عمله في الدنيا في صورة ملكوتية وظاهرية ، فيجد كأنه قد عمل ذلك العمل في تلك الساعة ، لا كمثل من يتفرج على العمل بينما يجلس إلى جانب ؛ فهو يرى العمل كأنه عَمَلُهُ تِلْكَ السَّاعَةِ أَوْ كَأَنَّهُ عَمِلَهُ تِلْكَ السَّاعَةِ .

ومن هذا المنطلق تتصاعد الصرخات ، ويضج الجميع أن :
يَوِيلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا .
إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ^٢ .

١- الآية ٤٩ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٢- الآية ١٢ ، من السورة ٣٦ : يس .

من الممكن أن يرحل الإنسان عن الدنيا فيترك فيها آثاره ، وهذه الآثار ستكتب بدورها في صحيفة عمله ، فالذي بنى مسجداً - مثلاً - سيتوفى بعد مدة ، لكنّ الناس سيأتون فيصلّون في ذلك المسجد الذي يعدّ أثراً منه ، ومثل هذه الآثار ستدوّن في صحيفة عمله . وما أكثر ما تدوّن في صحيفة العمل أعمال كثيرة لم يقم بها بنفسه ، وهي الأعمال التي يقوم بها الناس إثر ترغيبه إياهم في القيام بها .

افرضوا أنّه قد مات قبل ألف سنة ، لكنّ الأمور الخيريّة وأُمور البرّ تنصّب باستمرار في صحيفة عمله ، ثمّ إنّّه يعجب يوم القيامة ، إذ يرى في صحيفة عمله أموراً لم يقم بها في دنياه ، فيتساءل : ما هذه الأمور ؟

ويأتي الجواب : هي ذلك المطلب الذي تحدّث به ، وذلك الكتاب الذي دوّنته ، وذلك العالم المؤمن الذي ربّيته ، والجسر الذي شيّده على النهر لعبور الناس ، والعين والقناة اللتين أجريتهما ، والمستشفى والمستوصف اللذين بنيتهما للفقراء ، فهي بأجمعها صدقات جارية حصلت على يدك ، وحين ينتفع مسلم من مشاريعك النافعة إلى يوم القيامة ، فإنّ ثواباً سيسجّل في صحيفتك بمقدار تلك المنفعة . وحين يصلي امرؤ ركعتين في هذا المسجد ، فإنّ ثواب هاتين الركعتين سيدوّن أيضاً في صحيفة عملك .

وقد ورد في «تفسير عليّ بن إبراهيم» عن أبي الجارود ، عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام في تفسير الآية الشريفة :
يُنَبِّؤُا الْآلَنَسَنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ^١ . قال :
بِمَا قَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَمَا أَخَّرَ فِيمَا سَنَّ مِنْ سُنَّةٍ لِيُسْتَنَّ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ .

فَإِنْ كَانَ شَرًّا كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِهِمْ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ وَزْرِهِمْ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ خَيْرًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجُورِهِمْ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا.^١
وجاء في الرواية: إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا عَنْ ثَلَاثٍ، وَلَدٌّ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَصَدَقَةٌ جَارِيَةٌ.

نعم، من سنّ سُنَّةَ حسنة فله أجر من عمل بها، ومن سنّ سُنَّةَ سيئة فعليه وزر من عمل بها؛ فمن أضاع دين الناس، وألغى حجاب النساء، فإنّ كلّ امرأة ستسير سافرةً إلى يوم القيامة، وكلّ امرأة ستساق إلى الفساد لهذا السبب، وكلّ رجل سيبتلى بالزنا من جزاء نظره إلى النساء العاريات، وكلّ نفس ستضيع وتفسد بسبب هذا العمل، فإنّ نفس تلك المعصية والمذلة ستحتسب لصاحب تلك البدعة. وسيحترق في النار، وستشهدى له نيران جديدة باستمرار، وسيؤجج مالك - خازن النار - لهبها ولظاها بسبب الذنوب الجديدة التي يرتكبها الناس من جزاء تلك البدع، فيصرخ ذلك المسكين وسط النار المستعرة: ما هذه الصنوف الجديدة من العذاب؟ أيها الإله الذي يقول بآته لا يظلم! لماذا هذا العذاب الجديد؟ ما هذه الأجهزة التي شغلت؟ إنني أحترق، أفكانت نيران جهنم التي جزيّنتي بها على أعمال قليلة لتزيدها باستمرار؟ ولترسل لي ناراً من الدنيا؟
فيقول تعالى: وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

لكنك أعمى للأسف (بمفاد الآية الشريفة: وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى، ولو كانت لك أعين تبصر بها لرأيت أنّ هذه النيران هي إثر أعمالك التي تصلك باستمرار من الدنيا، فمن يتدع قانون ضلال في الدنيا، ومن يسنّ سُنَّةَ سيئة، ومن يتدع شيئاً يستدعي أذى الناس وإزعاجهم

١- «تفسير القمّي» ص ٧٠٦.

ومرضهم وتقصير أعمارهم ، أو يسبب إسقاط جنين ، أو يسبب إفساد دين الناس ونواميسهم وإبقائهم في غمرات الجهل ، أو يقطع طريقهم إلى الله تعالى ؛ فإن جميع الآثار التي تحصل لهم ستحصل كذلك لهذا الشخص المبتدع الواضع لذلك القانون والسنّة . وستدوّن جميع تلك المعاصي دونما نقص لمسببها من المقتنين والمنفذين لذلك القانون وتلك السنّة .

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ^١.

والكتاب المبين والإمام المبين هو اللوح المحفوظ ، وهو أم الكتاب الذي يمثل عالم الوجود الذي لا يخفى عنه شيء ، منتهى الأمر أن هذا اللوح المستنسخ عن عالم الوجود هو اللوح المحفوظ ، وأن حقيقة ذلك العالم هو أم الكتاب ؛ فهما نسختان : نسخة اللوح المحفوظ والنسخة الأصلية أم الكتاب .

إن بإمكاننا الآن أن نهدم أحد أساطين المسجد فيكون مهتماً فيما بعد إلا أن هذه الأسطوانة الموجودة في هذه اللحظة لا يمكن أن تكون معدومة ، فوجود هذه الأسطوانة وعدمها في نفس اللحظة أمر غير ممكن . والأمر كذلك بالنسبة إلى أم الكتاب وعالم التكوين ، حيث إن كل موجود يرتدي رداء الوجود والتحقق فإنه لن يرتدي لباس العدم ، فهم يستنسخون على نسخة التحقق والوجود هذه فيدعونها اللوح المحفوظ والكتاب المبين ؛ وهذه النسخة هي إحصاء الله سبحانه .

فهناك - إذأ - لوح خاص لكل واحد من أفراد البشر يمثل صحيفة العمل الخاصة به . وقول الله تعالى : هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ يُشِيرُ

١- الآية ١٢ ، من السورة ٣٦ يس .

إلى تلك الألواح الخاصة بكل فرد ، والتي يشكل مجموعها اللوح المحفوظ ، واستنساخ الأعمال هو عبارة عن إبرازها وإظهارها في المواضع والمواقع المعينة .

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ^١.

ومن هنا فإن اللوح المحفوظ والكتاب المبين والإمام المبين هي مرتبة الظهور والتجلي لأم الكتاب .

فاللوح المحفوظ هو كلمة الله المكتوبة ، وليست الكلمة شيئاً يجب أن يجري على اللسان حتماً ، فإن كلّ موجود يُخبر عن الباطن هو كلمة ، وجميع الموجودات التي تُخبر عن حقيقة ذات الله المقدسة هي كلمات الله تعالى . أما الكتاب الذي يتضمن جميع هذه الكلمات فهو الكتاب المبين ؛ وحين يُستنسخ منه صحيفة عمل كل فرد فإنها استدعى بالإمام المبين ، أي الأسوة والقدوة .

وقد علمنا ولله الحمد وله الشكر معنى عالم الحساب وصحيفة الأعمال وتطائر الكتب والطائر ونظائر ذلك ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ، سيد المرسلين ، محمد وآله الطاهرين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

١- الآية ٦٩ ، من السورة ٣٩ الزمر .

فَهْرِسُ التَّأْلِيفَاتِ

بسم الله الرحمن الرحيم
تقوم مؤسسة ترجمة ونشر
(دورة العلوم والمعارف الإسلامية)
من تأليفات
العلامة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

بنشر وترجمة كتب سماحته وهي كالآتي :

دورة المعارف :

ثلاثة أجزاء	معرفة الله (١) (الله شناسی)
ثمانية عشر جزء	معرفة الإمام (٢) (امام شناسی)
عشرة أجزاء	معرفة المعاد (٣) (معاد شناسی)

دورة العلوم :

الأخلاق والحكمة والعرفان (٤)

١ - رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم

(رسالة سير و سلوك منسوب به بحر العلوم)

فهرس التألیفات

- ٢ - رسالة لبّ الباب في سير وسلوك أُولي الألباب
(رسالة لبّ الباب در سير و سلوك أُولي الألباب)
- ٣ - التوحيد العلمي والعيني (توحيد علمي وعيني)
- ٤ - الشمس الساطعة (مهر تابان)
- ٥ - الروح المعجّز (روح مجرد)

الأبحاث التفسيرية (٥)

- ١ - رسالة بديعة في تفسير آية «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ»
- ٢ - رسالة جديدة في بناء الإسلام على الشهور القمرية (رسالة نوبن)

الأبحاث العلمية والفقهية (٦)

- ١ - رسالة حول مسألة رؤية الهلال
- ٢ - وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام
(وظيفة فرد مسلمان در احیای حکومت اسلام)
- ٣ - ولاية الفقيه في حكومة الإسلام
(ولاية فقيه در حکومت اسلام)
- ٤ - نور ملكوت القرآن (نور ملكوت قرآن)
- ٥ - نظرة على مقالة بسط وقبض نظرية الشريعة للدكتور عبد الكريم سروش
(نگرشی بر مقاله بسط و قبض نظریه شریعت دکتر عبدالکریم سروش)
- ٦ - الرسالة النكاحية : تحديد النسل ضربة قاصمة لكيان المسلمين (درد طبع)

الكتاب في طبعته الأولى بهذا العنوان «الحد من عدد السكان ضربة قاصمة لكان المسلمين»

- (رسالة نكاحية : کاهش جمعیت ، ضربه ای سهمگین بر پیکر مسلمان)
- ٧ - رسالة مسودة القانون الأساسي (نامه پیش نویس قانون اساسی)

فهرس التأليفات

الأبحاث التاريخية (٧)

١ - كمعات الحسين عليه السلام

٢ - الهدية الغديرية : رسالتان قاتمة ومشركة

(هدية غديرية : دو نامه سياه و سپيد)

هذه هي مجموعة من الكتب التي ألفت من قبل المؤلف قدس سره ، والتي بادرت « مؤسسة ترجمة ونشر دورة العلوم والمعارف الإسلامية » إلى ترجمتها وتقديمها تدريجياً إلى القراء المحترمين ، وهناك مجموعة أخرى للمؤلف لم تنشر بعد .

وللحصول على نظرة إجمالية لهذه المؤلفات ، يمكنكم الرجوع إلى نهاية الجزء الأول من هذا الكتاب .

